

مِنْ أَيْدِي التَّرْبِيَةِ

فِي

الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَأَلَّفَ
الدكتور عثمان قدرى مكاني

دار ابن حزم

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ
الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن خزيمة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرّب: ٦٣٦٦/١٤ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

الإهداء

هذه الدنيا متاع
من إذا ناديتُ لبّت
بسمه الأُنس لديها
إن أقلّ «قال الإله»
أسعدتني بالتزام
ترتجي الرضوان صرفاً
فإذا ما ملّتُ نسيّاً
نبّهتني باهتمام
فيه أخلاق حسان -
زوجتي هذا كتابي
صغته لله قريبي
لك فيه حُسن رأي
وهو إهداء إليك

خيرها الزوج الوفيّه
تسرع الخطو رضيّه
تجعل النفس هنيّه
أو نبئي البشريّه
فيه إخلاص ونيّه
من هدى ربّ البريّه
في الحياة الدّعويّه
- فيه لطف وزويّه
للوصايا النبويّه
فيه أفكار سنيّه
أبتغي الدار العليّه
وانتقادات ذكيّه
فاقبلي مني الهديه

عثمان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم.
والصلاة والسلام على المعلم الأول، سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام.

أما بعد:

فقد كان كتابي «التربية النبوية» على صغر حجمه ملفتاً للنظر،
استعرضت فيه بعض أساليب الرسول الكريم والمعلم العظيم في إيصال
الفكرة، وإبداء المعلومة واضحة مفهومة، لأصحابه، وتلاميذه رضوان الله
عليهم.

ثم رأيت أن أتم الفائدة في استعراض بعض أساليب القرآن الكريم في
التعلم والتعليم.

ولا يخفى أن القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه، - لأنه كلام الله العظيم وحبله المتين - بحر زاخر ما تزال العلماء
على شواطئه، تحاول الغوص في لججه، وتشتار العلوم والمعارف من
خضمه، وتستقي الفوائد من ثرّه المعطاء.

هذا القرآن الكريم فيه من الأساليب التعليمية ما نحن بحاجة ماسة
إليها.

وكنت قد طالعت عدداً من الكتب التي تتحدث بعامة عن العلم
وفوائده، وتعرف من أساليب القرآن بعضها. لكنني لم أجد - على ما أظن -

كتاباً يتحدث في طرائق التعليم في القرآن الكريم بشكل خاص، بل رأيت
شذرات في هذا الكتاب وذاك المؤلف.

فقلتُ لعلِّي أكون الرائد في هذا المضممار، فأفتح لإخواني المربين
طريقاً واضحاً، ثم يكملون بهمتهم رصفه وتعييده.

وكنت أقرأ من صغري كل يوم جزءاً من القرآن، فما عدوتُ هذا،
ولكنْ بئْتُ أبحث عن أساليب التعليم وطرائقه في كل جزء، وأضع أرقام
الآيات التي تشكل حجرات البناء لكل أسلوب مجتمعة.. حتى أنهيت ما
فقهته منها في مجموعات تحت عناوين محددة، هي الأساليب التي هداها
الله تعالى إليها.

وهكذا وجدت نفسي في رياض بكرٍ، حلوة المذاق، لذيدة الجنى.
وها أنذا أقدم إلى إخواني الكرام طاقة عبقة، وضمة نفاذة الشذا من
أساليب القرآن الكريم في التربية.

واني لأتمس منهم أن يقوموا عملي، ويرفدوني بآرائهم الصائبة في
سدّ نقص، أو ترميم فكرة، أو وضع لبنة تقوي هذا الصرح التربوي الرائع،
فإن أحسنت فلله الفضل والمنة، وإلا فهو حسبي وللمجتهد أجر إن أخطأ
وأجران إن أصاب، والله أسأل التوفيق والسداد.

أخوكم عثمان

الثقة بالله واللجوء إليه

هي الإيمان عينه، فمن وثق بالله آمن به، ومن آمن به توكل عليه، ومن توكل عليه نال رضاه، والله المن والفضل وإليه يرجع الحمد، ومنه الخير كله.

ولذلك يبدأ الإنسان صلاته بالفاتحة، ففيها الاعتراف بألوهيته وربوبيته، وفيها الالتجاء إليه وعبادته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
(٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) (١).

وهو الذي يعطي ويمنع، ويرفع ويخفض: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦) (٢).

فإذا كان كل شيء بيد الله، فأحرى بنا أن نقصده وحده لا شيء غيره.

ويخبرنا القرآن الكريم أن أنبياء الله جميعاً كانوا خيرة الناس الذين

(١) سورة الفاتحة.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

توكلوا على الله في دعوتهم إليه سبحانه، فكان لهم العون ونصرهم على أعدائهم، وأقر أعينهم، وجعلهم قدوة للناس.

فرسول الله ﷺ علمه ربه أن يلجأ إليه ويستعيز به من شر خلقه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾ (١)، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ ⑥ وَالنَّاسِ ⑦﴾ (٢).

وإن حاول الشيطان صرف القلوب عن الحق والذكر، استعاذ المسلم منه بالله سبحانه: ﴿وَلَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ③﴾ (٣).

وهذا موسى عليه السلام يستعيز بالله من الكفار المعاندين: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ④﴾ (٤).

ويعيش المسلم هادئ النفس حين يلجأ إلى الله من وسوسات الشياطين وفسادهم: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ⑤﴾ (٥) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ⑥﴾ (٦).

وهذه مريم العذراء دخل عليها جبريل، فاستعاذت بالله من أمر قد يسيء إليها: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ⑦﴾ (٧).

ودعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عبادة الله سبحانه وحده، فأبوا

(١) سورة الفلق.

(٢) سورة الناس.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٧.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٦) سورة مريم، الآية: ١٨.

ذلك، فحَوْفُهُمْ عَذَابَهُ وَبَطْشَهُ: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ﴾ (١). وقيل: إن جبريل عليه السلام نزل على إبراهيم وقومه يجهزون لإحراقه فقال له: سل حاجتك، قال إبراهيم: أما إليك فلا! وأما إليه سبحانه فعلمه بحالي يغني عن سؤالي، فجاء الفرج من الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢)، إنها ثقة بالله عظيمة، يحتاج إليها الدعاة إلى الله في مسيرتهم الدعوية ليكون الله عوناً لهم وسنداً، بل إنه عليه السلام يعلنها صراحة معتمداً على الله لاجئاً إليه ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٣) ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ (٤) ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥) ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٦) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُحْيِيهِ﴾ (٩) ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٠).

ولما بشرته الملائكة بإسحاق ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُنِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَهُ يُبَشِّرُونَهُ﴾ (١١) ﴿قَالُوا بِشِّرْكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْفَٰئِطِينَ﴾ (١٢) ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ (١٣) ﴿صَدَقَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمَ، فالمؤمن لا ييأس من رحمة ربه أبداً، فهو يثق بنصره وتأييده ما دام معه.

وهذا ابنه إسماعيل عليه السلام مؤمن بالله، راض بقدره، واثق بحكمته، فلما أراد أبوه أن يذبحه ﴿فَقَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (١٤) ﴿قَالَ يَبْنَئِي أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِن الصَّابِرِينَ﴾ (١٥).

وهذا مؤمن آل فرعون آمن بموسى واجتهد في نصرته، وبذل جهده، وناصره العدا، ومكروا به لكنه لجأ إلى ربه ﴿وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٢.

(٤) سورة الحجر، الآيات: ٥٤ - ٥٦.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

بِالْعِبَادِ فَوَقَّدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِقَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ (١)

وهذا سيدنا نوح يدعو الناس إلى عبادة الله، ويحثهم على تقوى الله وطاعته، لكنهم أبوا هذا، وكيف يؤمنون وأراذل القوم - حسب اعتقادهم - تبعوا نوحاً؟ فلو طردهم لربما تبعوه!!! ولكنه ﷺ أبى طرد المؤمنين فهدده قومه بالرجم، فلجأ إلى ربه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ (١١٧) فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ (٢).

وهذا فرعون يستقبل السحرة، ويعدهم بالمال الوافر والمناصب الرفيعة إن هم علواً بسحرهم على موسى، ولكن أتى لسحر البشر أن يغلب أمر الله! فلما لَقِفَتْ عصا موسى سحرهم أيقنوا أنه لم يغلبهم بسحر، فما لأحد بهم من قوة إنما غلبتهم قوة الله التي أيدت موسى ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنِينَ﴾ (٤٦) قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَأَمْسِرُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا أَقِطِعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْتَضِلَّكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا أَصِلَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ (٣). فماذا فعل السحرة؟ هل خافوا وعادوا يعتذرون إلى الجبار المتغطرس أو سكتوا مذعورين؟ لا هذا ولا ذاك إنما ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ (٤) هكذا يكون الإيمان، وهكذا تكون الثقة في الله.

وهذا يعقوب عليه السلام لم يصدق أن ابنه الثاني قد سرق على الرغم من الاستشهادات التي قدمها أولاده له، إنما وكل أمره إلى الله تعالى ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٢) (٥) وجعلته ثقته في الله، ينتظر ظهور يوسف وأخيه.

فلما ابيضت عيناه من الحزن عاتبه أبناؤه على ذلك، أجاوبهم بلهجة

(١) سورة غافر، الآيات: ٤٤، ٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١١٧ - ١١٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٤٦ - ٤٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٥٠، ٥١.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

المؤمن الواثق بربه المتكل عليه ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّيَّ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ
 مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) يَنْبَغِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا
 تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (١)
 فكان ما قاله حكمة تنير الدرب للسالكين.. إنه لا يئس من روح الله إلا
 القوم الكافرون!!.

فالثقة بالله، واللجوء إليه سبيل المؤمنين، وزاد المتقين، وأمان
 الخائفين، وأمل العاملين نسأل الله تعالى أن نكون منهم.



(١) سورة يوسف، الآيتان: ٨٦، ٨٧.

التعظيم

خلق الإنسان ضعيفاً، إذا عطش وجاع بدا الإرهاق عليه، وإذا مرض أن وشكا، وإذا أصيب جزع وخاف، وإذا فقد عزيزاً بكى وتألم.

ولا يشعر الضعيف بالأمان إلا حين يلجأ للقوي. وهل القوي سوى الله؟! وهل يحس بالراحة من خلق من نطفة، ثم علقه إلا إذا استند إلى ركن ركين، وعز منيع، هو الله تعالى؟!.

ولا عظيم سوى الله، ولا عظيم إلا من عظمه الله.

والله سبحانه وتعالى ينبهنا في كل سورة وآية إلى عظمته في نفسه، وإلى عظمته في صفاته، وإلى عظمته في بديع صنعه وخلقته، وإلى عظمته في وحدانيته، وإلى عظمته في قدرته.

والقرآن الكريم كتاب الله يسطر عظمة الله في السطور، لينتقل أثرها إلى الصدور والعقول والقلوب الحية، فتعيش في كنفه سبحانه مؤمنة به متممة إليه متوكله عليه مسلمة قيادها له، فإذا بها في الخالدين.

فالله سبحانه وتعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١)

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢)
 ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ

(١) سورة الحديد، الآية: ٣

الْجَبَّارُ الْمُنَكَّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿١﴾.

إنه إله عظيم ينبغي توحيده والاعتماد عليه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ
الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ ﴿٢﴾.

وهو الكامل كمالاً مطلقاً، لا تشوبه شائبة ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ ﴿٣﴾.

منه العلم، وإليه العلم: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ
قَبْلَ أَنْ نَفْعَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جَنَّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٨١﴾﴾ ﴿٤﴾.

﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ أَلْبَانَ ﴿٤﴾﴾ ﴿٥﴾.

هو القيوم مالك كل شيء، والمتصرف في كل شيء: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي
بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ ﴿٦﴾.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿٧﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ ﴿٨﴾.

وفي القرآن الكريم أربع عشرة سجدة، كان رسول الله ﷺ يسجد
حين يقرأ آياتها تعظيماً لله سبحانه وتعالى، وإقراراً بربوبيته وألوهيته، مثالها

(١) سورة الحشر، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) سورة الصفات، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة الرحمن، الآيات: ١ - ٤.

(٦) سورة الملك، الآية: ١.

(٧) سورة يس، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

(٨) سورة التوبة، الآية: ١١٦.

في سورة النحل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُونَا ظِلُّهُ عَنِ الشَّيْءِ
وَالشَّمَاكِيلِ سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (١).

وفي سورة السجدة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا
سَجْدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ (٢).

وفي سورة الإسراء: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ
قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
لَمَفْعُولًا ﴿١١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١١٩﴾﴾ (٣).

وفي سورة الروم أمثلة كثيرة وافية شافية على عظيم قدرته سبحانه:
﴿فِي يَضِجُ سِينٌ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾
يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ
وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ (٤)، ﴿فَسَبَّحَنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ
وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿٨﴾
يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
تُخْرِجُونَ ﴿١٩﴾﴾ (٥).

وانظر معي بتدبر وتفكر إلى عظمة الله في أفعاله:

١ - فالله سبحانه خلقنا من تراب ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا
أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٨ - ٥٠.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ - ١٠٩.

(٤) سورة الروم، الآيات: ٤ - ٦.

(٥) سورة الروم، الآيات: ١٧ - ١٩.

٢ - وَرَزَقْنَا زَوْجَاتٍ وَأَلْفَ بَيْنَا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١).

٣ - وَكَانَتِ السَّمَاءُ لَنَا غِطَاءً، وَالْأَرْضُ فِرَاشًا، وَخَالَفَ بَيْنَ أَلْوَانِنَا وَأَلْسِنَتِنَا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ لِسَانِكُمْ وَالْوَنِيمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢).

٤ - وَفَضَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا كَذَلِكَ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لِنَرْتَاحَ فِي سَكُونِ اللَّيْلِ، وَنَعْمَلَ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٢٣).

٥ - وَمَظَاهِرَ الطَّبِيعَةِ دَالَّةً عَلَى التَّرْتِيبِ وَالْفَائِدَةِ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْكَوْكَبَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٤).

٦ - وَأَخِيرًا فَإِلَيْهِ سَبْحَانَهُ مَرْجِعُنَا ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ خَافُونَ﴾ (٢٥) وَلَكِنْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَانِثُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ (١).

وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَصْلُ الْحَيَاةِ ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢)، وَلَا حَيَاةَ بغيرِهِ سَبْحَانَهُ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ (٣).

وَلِذَلِكَ قَرَّرَ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ الْمَعْبُودُ، لَا رَبَّ سِوَاهُ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (٤).

(١) سورة الروم، الآيات: ٢٠ - ٢٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٥.

(٤) سورة طه، الآية: ١٤.

وكلما كان الإنسان قريباً إلى الله، داعياً إليه، عاملاً بأمره، منتهياً عما نهى عنه استمد من عظمة الله عظمة.

فهؤلاء الأنبياء اصطفاهم، فكرمهم ورفع مقاماتهم، لأنهم كانوا أمثلة رائعة للعباد المؤمنين العاملين، فخلد ذكرهم في الدنيا والآخرة.

فمن تعظيم رسول الله ﷺ قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) (١).

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) (٢).

﴿إِنْ نُّوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (٤) (٣).

ومن تعظيم الأنبياء الكرام قوله سبحانه يمدحهم في سورة الصافات: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩)، ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (١١٩)، ﴿سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١٢٠)، ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْلِيسَ﴾ (١٢٥)، ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) (٤).

وكتاب الله الكريم كلام الله سبحانه، أنزله ليكون نبياً يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم: ﴿الْعَرَبُ﴾ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) (٥)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) (٦).

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزِّلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣) (٧).

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) الآيات: ٧٩ - ١٠٩ - ١٢٠ - ١٣٠ - ١٨١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١، ٢.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٧) سورة فصلت، الآيات: ١ - ٣.

وما أعجب هذا التعظيم الذي يجعل القرآن الكريم ذا منزلة عالية.. فهو:

١ - لو كان كتاب من الكتب المنزلة سِرت بتلاوته الجبال، وزعزعت عن أماكنها، لكان هذا القرآن.

٢ - ولو كان كتاب من الكتب المنزلة شُقِّقَتْ به الأرض، حتى تتصدع وتصير قطعاً، لكان هذا القرآن.

٣ - ولو كان كتاب من الكتب المنزلة كُلِّم به الموتى، فأحيها الله وأجاب، لكان هذا القرآن.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ﴾^(١).

وهذا القرآن كلام الله تعالى، لم يفتره رسول الله عليه، وحاشاه ﷺ أن يكون مفترياً، بل هو الصادق الأمين: ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ^(٣) ﴿^(٢)



(١) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١ - ٣.

ذكر الصالحين

إن الأذن لترتاح لسماع أخبارهم، وإن النفس لتتشوق إلى تعرّف أحوالهم ومتابعة أفعالهم، فهم القدوة والمثل، والراغب في الكمال يتأساهم ويتحسس خطاهم.

وقد كان القرآن الكريم يقصّ علينا أخبار الأنبياء الكرام، فبحسّ بالقمم الإنسانية الشامخة ترنو إلينا، فتستنهض هممنا.

ويقصّ علينا أخبار الصالحين من غير الأنبياء، الذين كان لهم الدور الكبير في نشر كلمة لا إله إلا الله، وإعلائها، وتحمّل الأذى، والصبر عليه. ولسنا هنا في صدد سرد المواقف كلها، لكننا نعرض بُدأً لدور هؤلاء العظماء في خدمة الدين، ورفع شأنه.

١ - الأنبياء:

سيدنا نوح عليه السلام: ذلك النبي العظيم، من أولي العزم، الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، ثم كانت قصة الطوفان الذي قضى على الكفار بعد ذلك، ونصر الله به نوحاً وأتباعه.

وهناك ما لا يقل عن إحدى وعشرين سورة ذكرت فيها قصته، ذكر فيها وحده لبيان فضله، أو ذكر مع إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً.

وفي الجزء التاسع والعشرين سورة كاملة باسمه عليه السلام، أما قصة

الطوفان فقد صورت تصويراً رائعاً في سورة هود الآيات [٢٥ - ٤٩].

سيدنا هود عليه السلام: ذلك النبي الكريم الذي أرسل إلى قوم عاد، فكفروا، وكانوا عمالقة متجبرين، فأرسل الله عليهم الريح العقيم، فحصدتهم وأبادتهم.

وهناك حوالي سبع عشرة سورة ذكرت فيها قصته عليه السلام مع قومه، توضح عنادهم واستكبارهم وفسادهم، التي أدت إلى هلاكهم ونجاة النبي وأتباعه.

سيدنا صالح عليه السلام: النبي الكريم الذي أرسل إلى قومه ثمود بعد إهلاك عاد قوم هود، فدعاهم إلى التوحيد، فلما استكبروا وقتلوا الناقة أهلكهم الله بالصيحة، فما أبقى منهم أحداً، وقد ذكرت قصته عليه السلام في أكثر من عشرين سورة في القرآن الكريم، لتكون وقصة أخيه هود مع أقوامها عبرة للدعاة من جهة، والمعاندين المستكبرين من جهة أخرى.

سيدنا إبراهيم خليل الله: هو أبو الأنبياء عليه السلام ذكرت قصته في خمس وعشرين سورة على الأقل، تتحدث عن جهاده في سبيل الله وقوة إيمانه، وفضل الله عليه في إطلاعه على ملكوت السموات والأرض، وحججه الدامغة في مناظراته الكافرين وقوة إيمانه، وسمو مكانته، ويكفيه فخراً أن الله سبحانه وتعالى اتخذه خليلاً، وجعله أمة وحده، وهو الذي بنى الكعبة المشرفة مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، ورزقه الله إسحاق ويشره بحفيده يعقوب لأنه صدق الرؤيا ونقذها.

سيدنا موسى عليه السلام: ذلك النبي العظيم من أولي العزم الذي أرسله الله إلى قومه اليهود، فابتلي بهم، وتحمل منهم الأذى والمكائد والعناد، وأنقذهم من فرعون الذي استضعفهم وسخرهم، فكانت نجاتهم على يد النبي العظيم موسى عليه السلام.

وقد حفل القرآن بقصته مع قومه، وهناك ما لا يقل عن ثلاث وثلاثين سورة توضح جوانب من دعوته، وتحمل سوء أخلاق قومه وفسادهم، وتكاد

السور الكبيرة الحجم والوسطى لا تخلو من مواقف لقومه، يوبخهم الله تعالى على ما اقترفت أيديهم وألسنتهم.

سيدنا عيسى عليه السلام: ذلك النبي الشاب من أولي العزم الذي بعث إلى اليهود، فحاولوا قتله، فنجاه الله منهم، وامتنحت فيه الخلائق حين ولد دون أب، فجعلوه ابن الله سبحانه تارة، وجعلوه الله ذاته - والعياذ بالله - وألوهة وأمه تارة أخرى، وهو إحدى علائم الساعة، ينزل فيكسر الصليان، ويقا تل الكفار، ويدعو إلى التوحيد.

ذكرت قصته في أكثر من اثنتي عشرة سورة توضح ما لقيه من ظلم اليهود ومكرهم.

سيدنا يوسف عليه السلام: النبي الكريم ابن الكريم (يعقوب) ابن الكريم (إسحاق) ابن الكريم (إبراهيم) عليهم السلام.

وقد ذكر في سورة الأنعام، وسورة غافر إلا أن له سورة سميت باسمه في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر، تقص علينا مراحل حياته وما عاناه، لتكون تثبيتاً لفؤاد النبي ﷺ، وكان عليه السلام مثالاً للأخلاق والإيمان والذكاء.. بل قل مثالاً للإنسان المعصوم، الذي رباه الله تعالى على عينه.

وهناك قصص الأنبياء العظام: إسماعيل ويونس، وذو الكفل، وزكريا، ويحيى وإسحاق ويعقوب وهارون، وشعيب وآدم وداود وسليمان... وكثيرين غيرهم عليهم صلوات الله وسلامه، تتحدث عن فضلهم، وعلو كعبهم في خدمة الدين..

٢ - الصالحون:

لقمان الحكيم الذي شكر لله فأتاه الله الحكمة فكان داعية إلى الله، يعظ الناس، ويدلهم إلى الصراط المستقيم، وقد أفرد الله تعالى سورة في الجزء الحادي والعشرين، سماها باسمه «سورة لقمان» فيها من المواعظ التي جرت على لسانه ما يشي بعظمته، وسمو مكانته.

الخضر عليه السلام: صاحب موسى الذي آتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علماً، وقصته في سورة الكهف منبئة عن علمه وفضله. الآيات [٦٠ - ٨٢].

ذو القرنين: الذي مكن الله تعالى له في الأرض، غربها وشرقها، فنشر الإسلام، وقاتل الكفار، وبنى سدّ يأجوج ومأجوج، وقصته في سورة الكهف الآيات [٨٣ - ٩٨].

مؤمن يس: حين أرسل الله تعالى ثلاثة من الأنبياء إلى إحدى المدن، يدعون أهلها إلى الإيمان، فكذبوهم، فجاء «حبيب النجار» يسعى إلى جمعهم مؤيداً هؤلاء الأنبياء الكرام، فما كان من المجرمين إلا أن قتلوه، فدخل الجنة معزراً مكرماً، وقصته في سورة يس الآيات [٢٠ - ٢٧].

مؤمن فرعون: الذي آمن بموسى واتبعه دون خوف من فرعون وملئه، ودعا الناس إلى الإيمان بالله تعالى واتباع موسى، فهو سبيل الرشاد، وخوفهم من عذاب الله ومصير الأمم السالفة، وموقفه في سورة غافر الآيات [٢٨ - ٤٤].

- وهناك قصص عديدة لهؤلاء الصالحات:

منهنّ السيدة مريم العذراء، وقصتها في سورة آل عمران الآيات [٣٥ - ٣٧]، وفي سورة مريم، حين ولدت عيسى عليه السلام، الآيات [١٦ - ٣٢]، وسورة التحريم.

ومنهنّ آسية، زوجة فرعون، التي طلبت من فرعون حين التقطت موسى عليه السلام من النهر أن يبقي عليه، وعرضت عليه المراضع.. وحين رأت من زوجها الاستكبار والكفر، سألت الله تعالى أن ينقذها منه.. وقصتها في سورة التحريم (آخرها).

ومنهنّ أم موسى، تلك المرأة المؤمنة، التي أوحى إليها الله تعالى أن تضع ابنها في النهر، إن خافت عليه جنود فرعون، ووعدّها أنه سبحانه سيعيده إليها، ففعلت مؤمنة مطمئنة، وحرّم الله المراضع على موسى، وكانت أخته تتبعه، وتتقضى موضوعه، فدلّتهم على أمّه ترضعه، فعاد إليها، ونعم بدفء حنانها. وقصتها في سورة القصص الآيات [٧ - ١٣].

تلك أخبار الصالحين وقصصهم، تتقبلها النفس تقبل العطشان للماء
البارد فتتبعش نفسه، وتستروح لها، وتستمد من نسמתها الإيمان واليقين
والصبر والمصابرة، وتعيش في أجوائها ذات اليمن والبركات.

اللهم إنا نحب أنبياءك وأوليائك، فاحشرنا معهم تحت لواء سيد
المرسلين، اللهم آمين.



التذكير بفضل الله تعالى

قد يقسو القلب، فينأى بصاحبه عن طريق الحق، ويعدل به عن الصراط السوي، وقد يتمرّد فيصعب قياده، وقد ينسى إنعام المنعمين، وفضل المتفضلين، فلا يرى لأحدٍ فضلاً عليه. فإذا ما ذكرت له الأيادي البيضاء التي تلقفته في محنته، والقلوب الصافية التي حثّت عليه لان - إن كانت فيه بقية من صلاح - وهدأت نفسه، وأنست إلى التزام الحق والتمسك به..

هذا إن كان صالحاً، أما إن لم يكن كذلك، وتمادى في غيّه، وركب رأسه، فقد أقمت عليه الحجة إن أردت معاقبته، وأعدّرت فيه إن أردت فضحه وإظهاره على حقيقته، كي يرعوي إن ارعوى، أو يحذر منه الناس ويتجنبوه.

وفي القرآن الكريم الكثير الكثير من الآيات التي تذكر الإنسان بفضل الله وكرمه، علّه يستقيم ويتذكر.. إن نفعت الذكرى...

فمن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة مخاطباً اليهود: ﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ٤٩﴾

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ٥٠

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْوَعْدَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ٥١

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٢

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٥٣

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَهْدِمُوا إِنْ كُنْتُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ
فَقَاتِلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ حَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأُنْثِرْتُمْ
نَظَرُونَ ﴿٥٥﴾

ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾
وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَائِفَتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴿الآيَاتِ ٤٩ - ٥٧﴾
﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
أَنْتَنَا عَشْرَةٌ عِمْثًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا
تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ ﴿الآيَةِ ٦٠﴾

ويقول سبحانه مخاطباً المسلمين في سورة آل عمران: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
 اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢٢)
 إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رِجْلَكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 مُزْلَيْنَ﴾ (١٢٣)

بَلَىٰ إِن تَصِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن قَوَرِهِمْ هَذَا يُدْرِكْكُمْ بِحَسْفَةٍ مِّنَ السَّمَاءِ مَآتٍ مُّشْتَرَكَةٍ ۚ وَمَا تَجْعَلُ لَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِلظَّالِمِينَ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّن عِندِ اللَّهِ ۚ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٦﴾ ۝ الْآيَات (١٢٣ - ١٢٦) .

وفي سورة آل عمران كذلك نرى فضل الله على المسلمين في غزوة أحد، في الآيتين [١٥٢ - ١٥٣].

وَنَرَى مِنْ نَعْمِ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُبْطِلُونَ﴾ أَيْ بَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ
أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ (١)

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ نَدْعُونَهُ نَضْرِبُكُمْ وَخُفْيَةً لِّئِن أَجَعْنَا مِن هَٰذِهِ لَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَوْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ (٣).

وقوله تعالى، يذكر فضله على المسلمين في غزوة بدر، في سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِّنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾
الآيات [٩ - ١١].

﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِصُرُوفِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾
وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ الآيات [٦٢ - ٦٣].

وقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِلَّا نَضْرِبُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَالِثَ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٦٣، ٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ١١، ١٠.

إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ الآية [٤٠].

﴿لَكِنِ الرُّسُلُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

الآيات [٨٨ - ٨٩].

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ مِنَ الْمُحَجِّرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ الآية [١٠٠].

﴿وَأَخْرَجُوا عَرِفُوًّا يُذْنِبُ يَمْشِي فِي الْأَرْضِ جَثَلًا هَاهُنَا ذُلًّا هَاهُنَا ۚ خَلَقُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيْثًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ الآية [١٠٢].

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾
 أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي
 بِالْمُصْلِحِينَ ﴿١٥١﴾ ﴿١﴾

وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحْنَ ﴿٦﴾
وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا يَبْلُغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَوُّفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ الْآيَات

[٨ - ٥]

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ الآية [١٤].

﴿وَلَا تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ الآية [١٨].

وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ الآية [٦٦].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ الآية [٧٠].

وقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا وَنُشْفِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسِيًّا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ الآيتان [٤٨ - ٤٩].

وقوله تعالى في سورة العنكبوت، يذكر فضله على أهل مكة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا عَٰمِنَا ويُخَفَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ؟﴾ الآية [٦٧].

وقوله تعالى في سورة لقمان يذكر نعمه الوافرة على عباده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنُهُ﴾ الآية [٢٠].

وقوله سبحانه في سورة الأحزاب، يذكر فضله على المؤمنين في غزوة الخندق، وغزوة بني قريظة: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْطِهِمْ لَمَّا بَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَاسَرُوا وَفَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَدَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ الآيات [٢٥ - ٢٧].

وقوله سبحانه في سورة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ

عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُم بِلَدِّهٖ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾
الآية [١٥].

ويقول الله تعالى في سورة الجمعة، يَمُنُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِإِرسَالِ سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ، يَهْدِيهِمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُتِينٍ﴾ ﴿٢﴾. الآية [٢].

إن الحرَّ حين يرى فضل الله عليه يقرُّ به، ويعترف، ويعاهد الله تعالى
أن يكون له عبداً شكوراً.. «اللهم اجعلنا من عبادك الشاكرين».



الأسوة الحسنة

والأسوة: القدوة والمثل، وتأسى به: احتذاه، وسار على هداه، واقتدى به.

وأسوة المسلم رسول الله ﷺ، والأنبياء الكرام الذين دعوا إلى الله سبحانه، ودلوا البشرية إلى الطريق القويم.

وحين زلَّ آدم، فأمر الله تعالى بإنزاله إلى الأرض، وتاب عليه حدَّ له ولذريته ما يتبعون فقال: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾^(١).

١ - وقد أمرنا الله تعالى أن يكون رسول الله ﷺ قدوتنا، وأمر رسوله الكريم - ونحن من بعده - أن نتخذ من الأنبياء الكرام خير أسوة وأفضل قدوة، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢) فهدفنا اليوم الآخر الذي نربح فيه رضا الله والجنة.

وقال سبحانه آمراً بالاتباع، ومبيناً السبب: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

يَا اللَّهَ وَحَدِّثْ... ﴿١﴾ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ ﴿٢﴾

ولنا قدوة في داود: ﴿أَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿...﴾ ﴿٣﴾

ولنا قدوة في ابنه سليمان: ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿...﴾ ﴿٤﴾

ولنا قدوة أيضاً في أيوب: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿...﴾ ﴿٥﴾

ولنا قدوة في إبراهيم عليه السلام، وأبنائه الكرام: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿...﴾ ﴿٦﴾

- لماذا يا رب؟

- إن فيهم خصلة زادت على غيرهم من أمثالهم.

- فما هي؟

﴿إِنَّا اخْتَصَمْتُم بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿...﴾ ﴿٧﴾

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿...﴾ ﴿٨﴾
ويخشد الله سبحانه وتعالى أسماء ثمانية عشر نبياً، مادحاً إياهم بالهدى

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

(٣) سورة ص، الآية: ١٧.

(٤) سورة ص، الآية: ٣٠.

(٥) سورة ص، الآية: ٤١.

(٦) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٧) سورة ص، الآيتان: ٤٦، ٤٧.

(٨) سورة ص، الآية: ٤٨.

والرشاد أمراً المسلمين بإتباع هداهم: ﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَذَكَرْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)

وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَتَدَّةٌ (١)

٢ - وقد أمر الله سبحانه نبيه الكريم أن يصدع بدعوة الحق، داعياً إلى التزامها بوعى وفهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ (٢).

- وهذه الدعوة القويمة ليس فيها اعوجاج، ولا ميلان عن الحق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (٣).

- وهي سبيل الصالحين السادة الأعلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَن نَّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ...﴾ (٤).

- ومن سلكها لم يكن للشيطان سبيل عليه ولا سلطان: ﴿إِن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٥).

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣ - ٩٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣٨.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

- وفيها التمايز عن المشركين: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وجهيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (٢).

﴿قُلْ لَا أَلْبِسُ أهواءكم قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (٣).

٣ - ولا ينبغي اتباع أحد إلا للوصول معه إلى طريق مستقيم، فيه هدى.

- فهذا سيدنا موسى يقول للرجل الصالح: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٤). وقد نهى القرآن عن إتباع أهل الغي والفساد نهياً شديداً، فاتباعهم يؤدي إلى المهالك في الدنيا والآخرة.

- إنهم ضالون، فهل يقودون من تبعهم إلا إلى الضلال!! ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ (٥).

- قلوبهم غافلة لاهية، وهم أصحاب هوى، لا خير فيهم ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قُلُوبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٦).

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (١٦) (٧).

- أصحاب فتنة، والمفتون لا يهدي بل يضل ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٨).

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٩).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٦.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٧) سورة طه، الآية: ١٦.

(٨) سورة المائدة، الآية: ٤٩.

(٩) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

٤ - ومن اقتدى بالأنبياء وسار على دربهم نجا، ونجح.

- فمن تبع رسول الله ﷺ كان مفلحاً ﴿...﴾ فَأَلْزِمْتَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

- وأتباع عيسى عليه السلام، الحواريون، ومن سار على دربهم قبل بعثة النبي ﷺ جعلهم الله منتصرين على الكفار أبداً ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ (٢).

- وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يحدد هوية من آمن به ﴿فَمَنْ يَعْنِي فَاِنَّهُ مِنِّي ۖ...﴾ (٣).

- ولسان حال كل نبي كريم يقول: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَى﴾^(٤).

- والله سبحانه وتعالى يُجمل المعنى قائلاً: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٥).

٥ - أما من حاد عن الصراط السوي فهو ضال تائه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٦).

- خاسر لأنه اتبع هواه، وحاد على طريق الحق ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (١٦) ﴿٧﴾.

يَحْيَا حَيَاةً مُتَعَبَةً، لَا رَاحَةَ فِيهَا، وَيَحْشُرُ أَعْمَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَيَنْخَشِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٧.

(٥) سورة طه، الآية: ١٢٣.

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٠.

(٧) سورة طه، الآية: ١٦.

﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ ﴿١﴾

- هم أولياء الشيطان، غاؤون ﴿٤٢﴾ ﴿٢﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ

- أما الجبابرة المتكبرون في الدنيا، فإنهم في الآخرة يتبرأون من أتباعهم وأعوانهم حين يرون العذاب، ويتمنى التابعون أن يعودوا إلى الدنيا ليتبرأوا من الطغاة، الذين كانوا لهم أدوات التنفيذ الفاسدة، يعملون لهم دون تفكير وتمحيص ﴿١٢٦﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٢٧﴾ ﴿٣﴾

- والإنسان العاقل لا يقتدي إلا بمن ينفعه في الدنيا والآخرة، ويأخذ بيده إلى دروب النجاة والسلامة..... إنه يقتدي بالهادين المهديين، بالأنبياء المرشدين، وأتباعهم الصالحين.



(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٦، ١٦٧.

الصحة الحسنة

الصاحب - كما يقولون - صاحب .

قل لي مَنْ تصاحب أقل لك من أنت . . مقولة مشهورة أثبتت الأيام صدقها، وقد جاء في الأثر: «المؤمن مرآة أخيه المؤمن» .

وقديماً قالوا: «صاحب السعيد تسعد، وصاحب الشقي تشق» .

ويؤكد هذا القول ويعضده قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالنِّفْمِ وَزُلَّ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ۝٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْعَقْبُ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَنْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ۝٢٧ يَنْوَلْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝٢٩﴾^(١) .

فقد دعا عقبة بن أبي معيط جيرانه إلى وليمة، وكان رسول الله ﷺ من بينهم، فأبى قبولها إلا أن يشهد عقبة شهادة الإسلام، ففعل، فأجاب رسول الله دعوته . . وفي اليوم التالي سمع أبي بن خلف بما فعل عقبة - وكان صاحبه - فجاءه يلومه، ويقول له: وجهي من وجهك حرام إلا أن تكفر بمحمد، فقال له عقبة: ما قلت ما قلت إلا ليقبل دعوتي، ولست بصابئ، فقال له: وتذهب إليه فتشتمه وتبصق في وجهه الكريم . . .

ذهب ذلك المشؤوم، وأسمع رسول الله ﷺ هُجر القول وسفيهه، ثم

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٢٥ - ٢٩ .

لما بصق ارتد البصاق إلى وجهه، فأحرقه.. ثم إن رسول الله ﷺ أسر عقبة يوم بدر، وأمر بقطع عنقه، فبترها علي رضي الله عنه قبل العودة إلى المدينة المنورة.

هذان الكافران عقبة وأبي يندم كل منهما على مصاحبة الآخر يوم القيامة، ولات ساعة مندم.. وفيهما نزلت هذه الآيات، تحذر من اتخاذ الأصحاب الفاسدين.

هؤلاء الأصحاب الذين يلزم بعضهم بعضاً في الدنيا، ويؤازر كل منهم صاحبه في شهواته، وملذاته، وفساده، يتعادون حين تأتي الساعة، ويتبرأ كل منهم من صاحبه، إلا الصحبة في الله، والأخوة في الدين.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٦٦) ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) ﴿١﴾.

وما أضلَّ مَنْ يصاحب من لا دين له، ولا خلاق، يأمر صاحبه بالخنا والفجور، وينهاه عن التقوى، ويكذب بالدين ويكفر بالله، ويطغى حين يصير غنياً ناسياً أنَّ مرجعه إلى الله وأنه محاسب بين يديه.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٍ﴾ (٦) ﴿أَنْ زَاهُ اسْتَفْتَى﴾ (٧) ﴿إِنَّ إِلَهَ رَبِّكَ الْوَاحِدُ﴾ (٨) ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ (٩) ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (١٠) ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾ (١١) ﴿أَوْ أَمَرَ بِالْعَدْلِ﴾ (١٢) ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٣) ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ (١٤) ﴿٢﴾.

ويخاطب الله سبحانه نبيه الكريم ﷺ - ونحن من ورائه - أمراً أن نتبع هذه الشريعة الغراء، التي أنزلها على نبيه الكريم، وأن ننأى بأنفسنا عن الأهواء، وأهل البدع والفساد، فأهل الهوى لا يعلمون حقيقة الحياة، ويقودون من تبعهم إلى الهلاك والشبور، وحين تحق الحقيقة يتبرأون ممن تبعهم ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْكُذَّابَ وَتَفَطَّعَتْ بِهِمْ

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٦٦، ٦٧.

(٢) سورة العلق، الآيات: ٦ - ١٤.

ولولا فضل الله عليّ بتثبيتي على الإيمان لكنت معك في نار جهنم،
أكوى بنارها. ثم خاطبه مستهزئاً ساخراً به كما كان ذاك الفاجر يسخر
بالمؤمن في الدنيا: ألا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتنا
الأولى، وأن لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عذاب؟! ثم التفت إلى
أصحابه وقال: الحمد لله الذي تفضل علينا، فأدخلنا نعيم الجنة. وهذا هو
النجاح والفلاح الأبديان. ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ
مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصْذِقِينَ ﴿٥٢﴾ لَئِنَّا مِنَّا وَكُنَّا قُرَابًا
وَعِظْمًا لَّئِنَّا لَمَلِيكُونَ ﴿٥٣﴾

قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ ﴿٥٤﴾

فَأُطْلِعَ قَرْنَاهُ فِي سَوَاءِ الْحِمِيمِ ﴿٥٥﴾

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتَرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضِرِينَ ﴿٥٧﴾
أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوَئِنَّا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾

إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْفُورُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

لِيُمِثِلَ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ (١)

قال المفسرون: أشارت هذه الآيات الكريمة إلى قصة شريكين، كان
لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد الله، ويقصر في التجارة والنظر
إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلاً على تكثير ماله، فانفصل عن شريكه
لتقصيره، وكان كلما اشترى داراً أو جارية أو بستاناً أو نحو ذلك عرضه
على المؤمن، وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذ سمع ذلك يتصدق
بنحو من ذلك ليشتري له به قصراً في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال: ما
صنعت بمالك؟ قال: تصدقت به لله، فكان يسخر منه، ويقول: إنك لمن
المصدقين؟! فكان أمرهما ما قص الله علينا في كتابه العزيز.



القول الحسن

ماذا يفعل القول الحسن بمن يسمعه أو يُوجَّه إليه؟.

ما موقفك حين ترى مَنْ يقول هجراً؟ وَمَنْ يغلظ في حديثه؟.

كيف تنظر إلى من يتلطف في القول، ولا يُسمِعك إلا ما تحب وتأنس إليه؟.

إن الكلام الطيب كماء نزل من السماء على أرض عطشى، فأنبث الله به زرعاً وثمرأ، وجعلها فتنة للناظرين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(١) فهي تفعل فعل السحر في السامع، وتأخذ بمجامع قلبه، فيفتح إليك، ويأنس بك.

أما الداعية فيعمل، ليصل كلامه إلى أعماق الناس، بما أمر الله من قول حسن ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢)، وترتاح قلوب الناس وعقولهم للكلام الطيب، كما يرتاجون للفاكهة الطيبة الحلوة، فيستمعون بأطياب الكلام، كما يتلذذون بأطياب الطعام.

والله أمر الدعاة أن يقولوا في محاوراتهم، ومخاطباتهم، الكلمة الطيبة، ويختاروا من الكلام اللطيف وأحسنه، وينطقوا دائماً بالحسن، فالكلمة الخسنة

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

سلاح الشيطان، يُسَعِّرُ بها نار الفتنة، ويؤججها ﴿وَقُلْ لِمَا دَى يَقُولُوا أَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (٥٣) (١).

ويأمر الله سبحانه وتعالى الداعية، باللطف، واتخاذ الأسلوب المناسب، لاجتذاب السامعين فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) (٢).

وإذا جادلتهم أهل الكتاب، ودعوتموهم إلى الإسلام، فليكن ذلك بالحسنى، كالدعاء إلى الله بالحجج والبراهين، والحسن من الكلام، وأعلموهم أنكم تؤمنون بالإله الذي يؤمنون به، إلا المحاربين الظالمين، المجاهرين في عداوتهم، فجداهم بالغلظة والشدة، لتوهين حججهم، وتهجين مذهبهم، وهذا ما يليق بالمجرم المشرك الغليظ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجَدُّ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦) (٣).

ويأمرنا الله سبحانه وتعالى، أن نكافئ المحسن في تحيته، بتحية أفضل ليشعر بالأمان، وليرى أن المسلمين، أهل حب وود، فيقترب إلينا، ولا ننس أن الله رقيب علينا، يجازينا بما نعمل من خير أفضل الثواب، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحَيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيرًا﴾ (٨١) (٤).

وتعال معي - أخي الكريم - إلى رؤية ثواب من يقول أفضل كلمة يحبها الله وهي: «الله ربي» فهي هو القرآن الكريم يفصل في ذلك.. يقول سبحانه:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٦.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا

أ - تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ

١ - أَلَّا تَخَافُوا

٢ - وَلَا تَحْزَنُوا

٣ - وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٥﴾

٤ - نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُلِّ آلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

٥ - وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ

٦ - وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٦﴾ نَزَّلَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٧﴾

ب - وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ

١ - دَعَا إِلَى اللَّهِ

٢ - وَعَمِلَ صَالِحًا

٣ - وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾

ج - وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

د - أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٩﴾

هـ - وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُوهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾ (١).

ما أعظم ثواب الكلمة الطيبة، ينميه الله، حتى يصير أعظم من جبل أحد، كما جاء في الأثر.

وانظر إلى العلاقة الطيبة بين إخوة الإسلام، هذه العلاقة التي شدَّ من عروتها، الحب في الله، فترى الخلف يدعو للسلف، ويسألون الله صفاء القلب من الغل والحسد، لإخوانهم في الله:

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ - ٣٥.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

أ - رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ

ب - وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ (١)

أتدرون ما قدوتنا وأسوتنا في القول الحسن؟ إنه قول الله تعالى، القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلِيَنَّ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ . . ﴿٢﴾ (٢)



(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

حَسَنُ الْأَدَبِ

نقصد به القول والفعل اللذين إن اتصف بهما المرء كان من المروءة
بمكان، ونال من الله تعالى الحظوة والقبول، وإن خلا المرء منهما ناله ذم
وقدح، وابتعد عن دائرة الثُّبُل والمروءة.

ولئن كان خلوُ المرء من بعض هذه الصفات لا يعد كبير إثم، إلا أن
بعضها الآخر - إن خلت - منه كان من أهل الكبائر.. لكنها جميعاً آداب
اجتماعية، وأخلاقية ودينية، لا بد للمسلم النبيه أن يحوزها.

من هذه الصفات:

- ردُّ التحية ردّاً له أثره الإيجابي في النفوس.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جِئْتُمْ بِنَحْوَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾^(١).

فالأفضل أن تردّ التحية بأفضل منها، فإن قيل لك: السلام عليكم،
قلت: وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته، ومغفرته، ورضوانه.

وقد جاءت الملائكة إبراهيم فحيّوه بالجملة الفعلية، والفعل يدلُّ على
الحدوث، فأجابهم بتحية دلّت على الثبوت، وذلك بالجملة الاسمية،
فكان رده أحسن ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ۝٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ
فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ۝٢٥﴾^(٢).

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

وقد نعى الله تعالى على اليهود الذين يحرفون الكلم، فإذا دخلوا على رسول الله أو هموه أنهم يسلمون، فيقولون: «السلام عليكم»، والسلام هو الموت. فهم - إذا - يدعون عليه، وكان ﷺ يعرف مرادهم فيردُّ قائلاً: «وعليكم» فيكون رده أبلغ، لأنهم يدعون فلا يستجاب لهم، وهو عليه الصلاة والسلام يدعو عليهم، فيستجاب له. قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَوْ يُحْيِيكَ بِهِ اللَّهُ...﴾ (١).

ومن هذه الصفات أيضاً إكرام اليتيم، والحضُّ على إطعام المسكين، وقد مدح الله تعالى الأنصار، الذين أكرموا إخوانهم المهاجرين إليهم فقال: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنًا وَيَتِيمًا وَآسِيرًا﴾ (٨) إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا تَرْبُدُ مِنْكُمْ جَزَاءٌ وَلَا شُكْرًا (٩) (٢).

كما نعى القرآن على الكفار، الذين لا يحضون على إطعام الفقراء والمحتاجين، ويأكلون مال اليتيم، والمرأة، والضعيف، فلا يعطونهم ميراثهم، ولا يهتمون في أكل المال، أمَّن حرام كان، أم من حلال؟ قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَشْكُرُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) وَلَا تَخْشَوْنَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٨﴾ وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْثَلًا لَّمَّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ (٣).

ويأمر الله تعالى نبيه الكريم - وهو القدوة لنا - فنحن مأمورون بما أمر به - أن يراعي بؤس اليتيم فلا يقهره، وأن يعطي السائل، فإن لم يستطع، رده رداً جميلاً. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ (٤).

كما هدد القرآن من يعيب الناس، ويغتابهم، ويظعن في أعراضهم، أو يلزمهم سرّاً بعينه، أو حاجبه. ويوقع بين الناس، ولا يهتم إلا بجمع المال، يحصيه ويعدّه بالنار والإحراق، فهذا جزاؤه المناسب ﴿وَبَلَّ

(١) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٢) سورة الإنسان، الآيتان: ٨، ٩.

(٣) سورة الفجر، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٤) سورة الضحى، الآيتان: ٩، ١٠.

لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٌ ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوا ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُمْ
أَحْلَمُهُمْ ﴿٣﴾ كَلَّا لِيُبَدَّلَ فِي الْخَطْمَةِ ﴿٤﴾ ﴿١﴾

- وقد نهى القرآن الكريم عن النجوى؛ وغمز المؤمنين، ومعصية
الرسول الكريم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ هُوَ عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا هُوَ عَنْهُ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾؟ ﴿٢﴾

فإذا تحدثوا سرّاً وتناجوا، فلا يكون ذلك بما فيه إثم من قبيح القول،
أو بما هو عدوان على الغير، أو مخالفة ومعصية لأمر الرسول
الكريم، وليتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان، وليخافوا الله فيمتثلوا
أوامره، ويجتنبوا نواهيه، فسوف يجمعهم للحساب، ويوفيهم
أجورهم، ويجازي كلاً بعمله.. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا
تَتَجَبَّعْتُمْ فَلََّا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَأَنْتُمْ
أَلَّهِ الَّذِينَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٣﴾

- وكان المسلمون يتنافسون في مجلس النبي ﷺ، أو غيره من
المجالس. فأمرهم الله بالتواضع والإيثار، وأن يفسحوا في المجلس
لمن أراد الجلوس عند النبي ﷺ، ليتساوى الناس في الأخذ من
حظهم من رسول الله ﷺ. وفي الحديث: «لا يقيمن أحدكم رجلاً من
مجلسه، ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا، وتفصحوا، يفسح الله لكم»،
وقد تكون الفسحة للمطيع في الرزق، والصدر، والقبر، والجنة. وهذا
يوضح فضل الله علينا حين يوسع لنا في خيرات الدنيا والآخرة، كما
أنه إذا قيل لنا انهضوا من المجلس، وقوموا لتوسعوا لغيركم فعلينا
السمع والطاعة، وهذا درس عملي في التواضع، بدءاً من التوسعة
وانتهاء بالقيام.. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا
فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ

(١) سورة الهمزة، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٩.

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾ .

- ومن هذه الصفات حفظ السر، لما فيه من فائدة السلامة والصيانة فرسول الله ﷺ ذكر أمراً لزوجتيه عائشة، وحفصة واستكتمهما إياه، فلم تحفظاه فعوتبتا على ذلك، فما ينبغي لأحد أن يكشف سرَّ أحد إن سألَه أن يحفظه. ﴿وَلَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَّا يَخَبِرَ بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ﴾ (٢) وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبُوًّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (٢).
- وهذا سيدنا إبراهيم حين جاءته الملائكة، فلم يعرفهم وحسبهم بشراً، فماذا فعل؟ :

- ١ - ذهب إلى أهله مسرعاً، في خفية عن ضيفه، لأن من أدب المضيف أن يبادر بإحضار الضيافة، من غير أن يشعر به الضيف حذراً أن يشعر الضيف أنه أثقل عليه، فيمنعه من إحضارها، وأسرع بالعودة حتى يؤنس ضيفه، فلا يتركه وحده.
- ٢ - وجاء بعجل مشوي، وهذا إمعان في إكرام الضيف.
- ٣ - ومن الأدب أن يقدم الطعام إلى الضيف مكان جلوسه، فهذا أوجه وأكرم.
- ٤ - ومن الأدب التلطف بالدعوة إلى الطعام، فلم يقل لهم «كلوا» إنما قال متودداً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ .

قال تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَبِيٍّ إِبراهيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلُهُ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ (٣)

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة التحريم، الآيتان: ٣، ٤.

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ٢٤ - ٢٧.

وهذا لقمان الحكيم يوصي ابنه - ونحن من ورائه - بأمور عدة أمراً وناهياً:

﴿يَبْقَى﴾

- أ - أَقِمِ الصَّلَاةَ
- ب - وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
- ج - وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
- د - وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾
- هـ - وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
- و - وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾
- ز - وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
- ح - وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾^(١)

وفي سورة الإسراء آداب عدة:

- ١ - ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾^(٢)
- ٢ - أ - ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْدُرْ تُبْدِيرًا ﴿٢٦﴾
- ب - إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾
- ج - وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ بَعْثًا رَحِمًا مِنْ رَبِّكَ فَرْجُوهُمْ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾
- ٣ - وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٧ - ١٩.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

تَحْسُرُوا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ
خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾

٤ - وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنَّ رِزْقُهُمْ وَإِنَّا كَاشِفُ الْعَذَابِ عَنْهُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَافِظِينَ
كَيْدًا ﴿٣١﴾

٥ - وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴿١﴾

٦ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾

٧ - وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾

٨ - وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

٩ - وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
عِنْدَهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

١٠ - وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا
﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴿٢﴾

إنها آداب رائعة، وشرائع راقية، تبني مجتمعاً متماسكاً، وأمة حضارية.

وانظر معي إلى الأدب القرآني الرفيع، ففي سورة يوسف نرى هذه
الصورة المعلمة للأدب الراقى ^(٣).

١ - أمر يوسف عليه السلام أن توضع السقاية، وهي من ذهب مرصع
بالجواهر في متاع أخيه بنيامين ليقبضه عنده.

٢ - نادى مناد إخوة يوسف، إنكم سرقتم.

٣ - جاء إخوة يوسف إليهم يسألونهم! ماذا فقدتم؟

٤ - قالوا لهم: فقدنا سقاية الملك، وأنتم أخذتموها، ألم نكرمكم،

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٢٦ - ٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٣٤ - ٣٨.

(٣) عُدْ إلى القصة في سورة يوسف من الآية ٦٩ إلى الآية ٧١.

ونحسن ضيافتكم، ونوفُّ إليكم الكيل، إنا لا نتهم عليها غيركم...
فأين الأدب هنا؟..

إنَّه من إخوة يوسف، فالمنادون اتهموهم بالسرقة، فردَّ عليهم هؤلاء:
«ماذا تفقدون» بدل: «ماذا سرقنا» إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب، وعدم
المجازفة باتهام البريئين الغافلين بالسرقة، ولهذا التزموا معهم الأدب
فأجابوهم: «نفقد صواع الملك» بدل قولهم: «سرقتم صواع الملك».
والأمثلة كثيرة، وسبحان الله معلم الأدب، الدال على الصواب.



الأمان والحرية

قال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ﴾^(١) ويبدأ الرسول ومن تبعه يبلغون الناس رسالات ربهم، فإن وجدوا مناخاً مناسباً، ازدهرت دعوتهم، لأنها دعوة الفطرة، وإن وجدوا محاربة وإيذاء صبروا، فدرّب الدعوة مليء بالشوك والمصاعب، فإن ازداد الإرهاب، وكثر القتل، والسجن، والعذاب، انتقلوا بدعوتهم المباركة هذه إلى مكان أكثر أمناً، وأوسع حرية.

هذا رسول الله ﷺ يترك مكة بعد ثلاثة عشر عاماً إلى المدينة المنورة، لأن أهل مكة ساموه وأصحابه سوء العذاب، ووجد المدينة تمدّ إليه أيدي أبنائها الذين آمنوا بدعوته، فخرج من مكة قائلاً: «والله إنك لأحب أرض الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت» ثم يعود إليها بعد ثماني سنوات فاتحاً، ليرسي فيها دعائم التوحيد والإيمان.

وكان ﷺ وهو بمكة يرى أصحابه وهم يعذبون، ويفتنون، فيأمرهم بالهجرة إلى الحبشة «فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد».

صور من الهجرة قبل الإسلام:

- هذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يكسر أصنام قومه، ويعلن ملة التوحيد، ويدعو الناس إليها، فيجادلهم قومه، فيحاجّهم ويخرسهم، فيرون موقفهم أمامه ضعيفاً، ويخافون أن يؤمن به الدهماء، فيقررون التخلص منه

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٩.

بالإحراق. لكن الله تعالى ينقذه من النار، وتزداد شدة الوطء عليه، فيقرر الهجرة إلى الشمال - إلى حران - ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾^(١)، ثم تبدأ الهجرة الثانية إلى فلسطين ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ﴾^(٢)، وهناك تنتشر الدعوة ويقوى عودها.

- وهذا موسى نبي الله الكليم يقتل نفساً من الأقباط دون قصد، فيأتيه رجل يقول له: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتِيُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوهُمْ فَأَخْرِجْ إِلَىٰكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣) فرج منها خافياً يترقب قال رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٤). ويتوجه تلقاء مدين ويسقي للفتاتين، ويستدعيه أبوهما، فيقص موسى عليه خبره، فيقول له الرجل الصالح: ﴿لَا تَخَفْ بَهِتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥). ويجد الحرية والأمان في مدين، ويربّيه الله تعالى على عينه، ليعود إلى فرعون داعياً، وإلى بني إسرائيل منقذاً.

ويرى موسى عليه السلام وقومه، الصّد والإيذاء والاستعباد، فيقرر الهجرة إلى الشام مرة أخرى، ولكن مع قومه من بني إسرائيل، لأنه هذه المرة لم يعد مسؤولاً عن نفسه فقط، بل عن قومه أيضاً، فهو النبي المرسل إليهم. والله تعالى هو الذي أمره بالهجرة الآن، فما عاد فرعون وقومه يطاقون. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَسْرِ بِمِائِدَتِي إِذْ كُرُّ مُتَّبِعُونَ﴾^(٥) وينجي الله موسى وقومه، ثم يُغْرِقُ فرعون وجنده.

- وأهل الكهف أعلنوا كفرهم بالأوثان، وإيمانهم بهدى الرحمن، وتوحيد الديان، فاغتاظ الملك، وأمرهم أن يعودوا إلى الكفر أو يقتلوا. فتبدأ هجرتهم إلى الله تعالى، ويلجأون سراً إلى كهف قريب من مدينتهم، كي ينطلقوا بعد ذلك في أرض الله الواسعة، ويبعث عنهم الملك وأعوانه،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٤) سورة القصص، الآية: ٢٥.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ٥٢.

فلا يرونهم، ويلقي الله تعالى عليهم النوم ﴿ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾^(١) فتكون هذه هي هجرتهم الطويلة، التي ضربها الله مثلاً راعياً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. ويكون الكهف أماناً لهم، ورحمة من الله تكتنفهم، وتشر عليهم ظلالها، وتهيئ لهم الأمان، والهدوء، والسكينة ﴿وَإِذْ أَغْرَقْنَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْفُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾^(٢).

فوائد الأمان والحرية:

- ١ - إمكانية العبادة لله سبحانه، قال الله تعالى محمداً فائدة الانتقال إلى المكان الآخر ﴿يَعْبُدُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾^(٣).
- ٢ - الحصول على الرزق الواسع، وإغاظة العدو الذي لم يستطع كبج الدعاة المؤمنين ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسِعَةً﴾^(٤).
- ٣ - رضئ الله عنهم، لأنهم تركوا ديارهم ليأمنوا على دينهم، تركوا الأرض التي أحبوا ليمارسوا شعائر دينهم، بحرية، ويدعوا إليه دون رقيب وإيذاء، أفلا يستحقون فضل الله وعفوه وكرمه؟ ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْطَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْلَيْكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٥).
- ٤ - كما أن لهؤلاء الخير في الدنيا - وهذه مثوبة سريعة - ولهم في الآخرة الأجر الكبير ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤١.

٥ - تكفير السيئات، ودخول الجنة، والثواب الجزيل فيها، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ۝﴾ (١).

- بل إن الملائكة المكلفة بأخذ الأرواح، تقول للذين استكانوا إلى الظلمة، ولم يخرجوا إلى أرض، أخرى يقيمون فيها شعائر دينهم، فصاروا أداة قمع في أيدي هؤلاء الظلام، هؤلاء الملائكة يوبخونهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝﴾ (٢).

- ومن الجدير بالذكر أن الذين آمنوا، ولم يهاجروا في سبيل الله، ورضوا أن يعيشوا في ظل القهر، لا ينبغي أن نواليهم أو نصادق منهم أحداً، حتى يحققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد في سبيل الله. قال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۝﴾ (٣)، فالمؤمن لا يكتمل إيمانه حتى يفصل الأعداء ويكون قادراً على التعبير عما في نفسه، محققاً أوامر الله، منتهياً عما نهى في دار الأمان والحرية، وتاريخ الأنبياء والرسالات أوضح أمثلة على ذلك وعلى هذا نفهم قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَفْرَكْتُمْ فِي الَّذِينَ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾ (٤).

فالمسلمون ثلاثة أقسام:

المهاجرون: فهم الأصل، لأنهم هجروا الديار والأوطان ابتغاء رضوان

الله.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

الأنصار: فهم نصرّوا الله ورسوله، وجاهدوا بالنفس والمال، وبين هذين الطرفين الولاء والنصرة.

المؤمنون الذين لم يهاجروا: حرموا الولاية حتى يهاجروا في سبيل الله.

إن البحث عن دار الأمان، والانتقال إليها، ليمارس الإنسان حريته في عبادة الله تعالى أساس لرضوان الله تعالى، ذلك الرضوان والقبول عظيم، لم يحدّه رب العزة إنما جعل تقديره - وهو عظيم - في علمه، وكرمه وجوده سبحانه وتعالى حين قال: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).

١ - ترك البيت - ملاذ الإنسان الذي بناه، وأتعب نفسه للحصول عليه - دليل على بيع الدنيا ولذاتها، والانتقال إلى أرض غريبة بعيدة عن الوطن، والأهل والذكريات، لإقامة منهج الله سبحانه في دار الأمان والاطمئنان.

٢ - واللجوء إلى الله تعالى، ومتابعة رسوله الكريم، دليل آخر على الطاعة والولاء، وبيع النفس والنفس لهذه الدعوة المعطاء.

٣ - الثواب بناءً على هذا عظيم جليل، يوازي هذا العطاء، الذي بذله المؤمن عن رغبة وطواعية، إنه ترك متاع الحياة الزائلة، فحق له أن ينال الأجر الكبير، الذي يصدر عن الإله الكبير، وما يعطيه الجليل لا شك أنه جليل.



(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.

الصبر

هو التجلد وحسن الاحتمال....، وصبر على الأمر: احتمله دون جزع، وصبر عن الشيء: منع نفسه عنه وحبسها، واضطرب بمعنى صبر.

والداعية الصابر من يتحمل الجهد والمكابدة، وصلف المدعوين وجهالتهم، وأذاهم قولاً وفعلاً، في سبيل الله ونشر دعوته.

وهذا ما فعله الأنبياء أولو العزم، فاستحقوا مدح الله سبحانه وتعالى، وبه أمر الله نبيه الكريم تأسيًا بهم، وسيراً على طريقته: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (١).

وقال أيضاً مواسياً نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢).

وكان سيدنا يعقوب من الصابرين، فسجل الله سبحانه ذلك له، فقال: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (٣)، وقال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...﴾ (٤).

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٣.

والصبر الجميل: التسليم لقضاء الله دون تذمر ولا فزع، والرضا به انتظاراً لفرجه سبحانه.

وعلى هذا النوع من الصبر حث الإله العظيم نبيه الكريم... فقال: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾... ﴿١﴾.

وللصبر فوائد جمّة أذكر بعضاً منها:

١ - إنه من الأسباب المعنوية المؤدية إلى النصر، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبِّنَا آفِرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٥١﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿٢﴾.

وقال في ذلك أيضاً: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝٤٦﴾ ﴿٣﴾.

ويقول سبحانه أيضاً، أمراً بالصبر في القتال على مناجزة العدو، كي نحظى بالنصر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ ﴿٤﴾.

٢ - إنه يعين على البلاء والتحمل، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۝٥٥﴾... ﴿٥﴾.

فالصلاة حين يؤديها المصلي بإتقان، وإحسان، فقد أدى نوعاً من الصبر، يرفع معنوياته.

وهؤلاء الرسل الكرام، يقولون للكفار، الذين يؤذونهم ومن آمن: ﴿... وَلَصَبِرٌ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝٦١﴾ ﴿٦﴾.

(١) سورة الماعارج، الآية: ٥.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٥٠، ٢٥١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ١٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣) (١).

٣ - وفي الصبر والتحمل خير لصاحبه من أن يثار لنفسه.. فهو مسلم داعية. قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦) (٢).

وهؤلاء لم ينتظروا خروج الرسول الكريم من حجرته إلى المسجد، فنادوه بصوت عال، وقد أمروا أن يغضوا من أصواتهم في حضرته، فقال تعالى معلماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤) ﴿لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) (٣).

٤ - وعاقبة الصبر محمودة «الجنة»، قال تعالى يبشر المؤمنين الصابرين بالجنة والمال الطيب ﴿.. وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْرَهُونَ فِي الْحُسْنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَمْ يُغَيَّبِ الْأَذَارُ﴾ (٢٢) ﴿جَنَّتْ عَنْهُمْ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤) (٤).

٥ - والصبر يقلب الموازين، فصبرك على أذى الآخرين، ودفع السيئة بالحسنة يجعل العدو صديقاً، ويستل منه سخيمة صدره فينقلب محباً ودوداً.. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢٤) ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٢٥) (٥).

٦ - والصبر يورث الأجر، قال تعالى: ﴿.. إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٤، ٥.

(٤) سورة الرعد، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ (١).

وحين كشف يوسف لإخوته عن نفسه، فرأوا ما هو فيه من عزٍّ ومجدٍ - وقد كانوا يظنون به الموت أو الأذى - قال لهم: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ يَتَقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

ويقول سبحانه مقررًا الأجر الكبير للصابرين المتوكلين على الله في صبرهم: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْتَغِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ (٣).

وحين يشتد العذاب على المؤمنين في بلد ما، عليهم أن يهجروه إلى أرض الله الواسعة، ويصبروا على الغربة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤).

٧- والصبر على الدعوة يرفع الداعية، ويجعله قدوة وإماماً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ يَا مَرْيَمُ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٥) ﴿٢٤﴾ (٥).

وهذا الرجل الصالح صار معلماً لسيدنا موسى عليه السلام - في سورة الكهف - واشتراط عليه أن يصبر عليه، فلا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً، ويجيبه موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦) ولو لم يكن الرجل صابراً، لما صار معلماً له، ولا أمكن أن يأمره بالصبر.

٨- والصبر يقرب العبد من مولاه، ويرفع مقامه، قال تعالى للنبي ﷺ: ﴿يَا مَرْيَمُ الصَّبِرِ، وَالِاسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ، وَالاعْتِمَادَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ

(١) سورة هود، الآية: ١١

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٥) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٦٩.

إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ (١)

وأول المتقين، والمحسنين، وسيدهم، رسول الله ﷺ، وأين مكان من
صبر لحكم ربه، وسبح بحمده في قيامه وصلواته، في ليله وسحره؟
إنه في رعاية الله ومعيته، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ قُومُوا ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ ۖ﴾ (٢).

٩ - وبالصبر النجاح والنصر والحفظ، قال تعالى واصفاً المنافقين وكرههم
للمسلمين، ومؤكداً نصره للمسلمين إن صبروا واتقوا ﴿إِنْ تَمَسَّكْتُمْ
حَسَنَةً سَوْفَ هُمْ وَلِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا
يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ۖ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٣).

وسيكون النصر للرسول الكريم، الذي حقق الصبر، والتزم التقوى،
وهو أهل لها: ﴿... فَأَصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

وماذا قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله - إن استشهدوا في سبيل الله -
والحائزون على نصره إن صبروا ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ
كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فَتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ (٥).

ويأمر الله تعالى نبيه الكريم، وصحبه الأبرار أن يصبروا في القتال،
فما بعد الصبر إلا الظفر: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّفُّ حَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۖ إِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ۖ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٦) أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ
عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ

(١) سورة النحل، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨.

(٢) سورة الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

وَأَن يَكُنْ مِنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ (١)

١٠ - ومدد الله تعالى للمؤمنين بصبرهم وتقواهم، قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُعَذِّبَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ﴾ (١٧٤) بَلَىٰ إِنْ نَصَبُوا وَتَثَقَّوْا يَأْتُواكُم مِّن قُورِهِمْ هَٰذَا يُعَذِّبُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٧٥﴾ (٢)

وحين صبر المسلمون في معركة بدر، واستغاثوا ربهم، وسألوه العون والممدد، لباهم، وكان عند حسن ظنهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ (٩) (٣)

١١ - والمسلم الصابر ممدوح.. ومن الذي مدحه؟ إنه الله تعالى ومن مدحه الله تعالى رفعه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُصِيبِ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٥) (٤)

وقال تعالى يمدح الصابرين على ما أصابهم فيمن مدح: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٥)

ومدح كذلك الصابرين الذين قاتلوا مع أنبيائهم في سبيل الله، وبذلوا كل ما في وسعهم، ورفضوا الخنوع للعدو الكافر، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَكُوا مِّنْ تِلْكَ صَوْلَاتِكُمْ لَكُمْ فِيهَا نَفْعٌ كَثِيرٌ فَلَمَّا هَمَّوْا بِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (١٤٦) (٦)

ومدح الله تعالى بعض أنبيائه لصبرهم - وكلهم صابرون - : ﴿وَاسْمِعُوا لَوْلَا رِيسٌ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٨٥) (٧)

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٤، ١٢٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٨٥.

ومدح أيوب عليه السلام بصبره على ما ابتلاه الله به: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١).

وقد يصير الصابر إلى مقامات عليّة بصبره، نسأل الله تعالى أن يجعلنا
من الصابرين.



(١) سورة ص، الآية: ٤٤.

العدل

هو «أساس الملك» وميزان الحياة الطيبة، وبإقامته في مجالات الحياة يصل الناس إلى حقوقهم، وينتفي الظلم، ويعرف كل إنسان حدوده، وفيه المساواة بين الجميع، والإصلاح بين الفرقاء.

ويتجلى العدل في القول، والعمل، والحكم.

والله سبحانه وتعالى يعلمنا العدل، ويأمرنا به، لأن فعله سبحانه العدل بعينه ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (١).

قال سبحانه آمراً وناهياً بما يقيم العدل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) (٢).

ويقول سبحانه آمراً بالعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، دون نقص ولا طغيان، وإنصاف الناس في أوزانهم دون تطفيف، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ (٣).

وهدد من يطفف الميزان بالويل والشبور، وعظائم الأمور يوم القيامة، فقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الرحمن، الآيات: ٧ - ٩.

كَالْوُثْمِ أَوْ رَزُونُهُمْ يُحْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾ ﴿١﴾. والعاقل من يفهم ويعي، ويجنب نفسه
الخسارة الرهيبة التي لا تعوض في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة،
ويؤكد ذلك في ضرورة الإيفاء في الكيل، والوزن الصحيح، بالعدل والسوية
دون خداع ولا احتيال، فإن فعلوا ذلك وصدقوا نالوا في الآخرة المنزلة
العالية، وفي الدنيا الذكر الحسن: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ
الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٢﴾.

- كما أن الله - سبحانه وتعالى - أرسل أنبياءه جميعاً لهداية البشرية،
فأنزل معهم الكتب السماوية لهداية الناس، والقانون الذي يحكم به بين
الناس، وهو ميزان العدل الإلهي، ليتعاملوا بالعدل والحق في معاملاتهم
فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿٣﴾.

وإقامة العدل والقسط كما ذكرنا يريح العباد، ويشعرهم بالأمن والأمان.
 وإمام الرسل محمد عليه الصلاة والسلام على رأس الأنبياء الذين
أمرهم الله بالعدل، والحكم بالحق فقال: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ
كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ ﴿٤﴾.

وتراه سبحانه يؤكد للرسول ﷺ أن الدين الذي أنزله عليه كان لبيان
الحق ونشر العدل، وإحقاق الحق، ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ ﴿٥﴾.

وعلى الرغم من أن اليهود يكرهون الإسلام، ونبيّه، وكتابه، والمؤمنين
فإن هذا كله لا يمنع أنهم إذا جاءوا يحتكمون إلى رسول الله ﷺ أن يحكم
بينهم - إذا رضي ذلك - بالعدل ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ

(١) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٧.

وَأِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾

ويأمر الله سبحانه وتعالى أن تكونوا - معشر المسلمين - ...

- ١ - ﴿قَوِّمِ لِلَّهِ
- ٢ - شَهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
- ٣ - وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوِّرٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا
- ٤ - أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
- ٥ - وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾

- ويقارن الله سبحانه وتعالى بين رجلين، يضرب بهما مثلاً:

أ - ﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ

ب - هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾

فمكانة من يحكم بالعدل، ويأمر به، ويتقي الله سبحانه، مكانة عظيمة يندبنا الله تعالى إلى التسامي إليها، والعمل لها.

- وتعال معي إلى ذلك الاهتمام الواضح بالمرأة، والزواج بأكثر من واحدة، وقضية الطلاق.

كان العرب يتزوجون ثم يطلقون دون التقيد بعدد الطلقات، وهذا استعباد للمرأة، وقهر لها، فحدد الله تعالى عددها، ومنع أحداً أن يأكل مهرها، فقال: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ

فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفْسِدَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفْسِدَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٦.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا

وَمَنْ يَعْذُ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ (١).

لكن إذا طلبت المرأة نفسها أن تفارق زوجها، ولم تعد تطيق البقاء معه، تخلت عن مهرها، واقتدت نفسها بذلك.

- وعلى الرغم من السماح بالتعدد، فقد نبه القرآن أنه يسمح بالتعدد إذا عُذِلَ بين النساء، وإلا فالواحدة أحسن ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (٢).

فإن اضطر الإنسان إلى التعدد - وهو مباح - ولن يستطيع العدل بين نسائه ولو حرص على ذلك، فليثق الله سبحانه، وليحاول جهده أن لا يميل عن الحق ويجور، فيترك بعض نسائه وكأنهن مطلقات، ويميل إلى إحداهن ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُلْقَةِ...﴾ (٣).

- وقد يحدث قتال بين المسلمين أنفسهم فتجور قبيلة على أختها، فماذا على الحاكم أن يفعل:

أ - ﴿وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَنَلُوا فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا

ب - فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَنِّلُوا آلَیْ تَبَغَى حَقَّ تَفَىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ

ج - فَإِنْ فَاءَتْ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْصُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٤).

وقد يحكم القاضي بين متخاصمين، أحدهما قريب له، فهل يجوز أن يميل إليه في الحكم، ويميت حق صاحب الحق؟ ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (٥) فالقاعدة التي ينبغي للحاكم أن يسير عليها قوله

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

تعالى ﴿وَإِذَا حُكِّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ^(١) فبالعدل نرضي ربنا، فهو الحكم العادل.

والأمثلة على توخي العدل والعمل به وافرة في كتاب الله، تحثنا على الحكم به، والالتزام به، لنكون خير أمة أخرجت للناس.



(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

الغفران والصفح

يقال: غفر له ذنبه: غطى عليه وعفا عنه. وصفح عن ذنبه: أعرض عنه.

فالغفران أكثر تسامحاً وعفواً من الصفح، وفي كل خير.

والقرآن الكريم يعلمنا الصفح والغفران، وأن لا نحمل لأحد في قلوبنا ضغينة، ولا في نفوسنا كشحاً، فالدعاة إلى الله أسوتهم النبي ﷺ الذي ما كان يغضب لنفسه أبداً، وكان أبش الناس وجهاً، لا يقابل الإساءة بالإساءة، بل يقابلها بالعفو والغفران ما لم تكن في جنب الله سبحانه.

١ - والله سبحانه وتعالى غفار الذنوب وستار العيوب، يعلمنا الغفران فيبدأ بنفسه، وهو الذي لا يعجزه شيء، لكنه يحب أن يغفر لنا.

يقول لنا سبحانه: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وأمرنا أن نغفر للناس، ونتشبه به سبحانه فقال: ﴿وَإِن تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

٢ - بل إنه سبحانه أمر ملائكته الكرام أن يستغفروا لنا، وهذا من كرمه وفضله سبحانه فيقول: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ حَوْلُكُمْ يُسْتَخَوْنَ بِحَمْدِ

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.

رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ (١)

ويقول سبحانه: ﴿..... وَالْمَلَكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

وهذا يعقوب عليه السلام يعتذر إليه أبناؤه لخطئهم في حقه، وحق يوسف عليه السلام، فيقول: ﴿..... سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

وهذا سيدنا أبو بكر الصديق حين يرى مسطحاً نال من السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان يتصدق عليه، فأقسم أن لا ينفعه بنافعة أبداً، ولكن الله سبحانه يعلمنا أن نعفو ونغفر، فينزل آية يأمره وغيره أن يعفو ويصفح، فهذا أولى بالمسلم: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤). فقال الصديق: بلى يا رب؛ أحب أن تغفر لي.

وفي معركة أحد خالف الرماة رسول الله ﷺ، فأمره الله سبحانه أن يعفو عنهم، ويستغفر لهم، فهم بشر يخطئون، والعفو عنهم يجمعهم على حب رسول الله ﷺ، والطاعة له، وتصحيح أخطائهم ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ.....﴾ (٥).

(١) سورة غافر، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٠.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٨.

(٤) سورة النور، الآية: ٢٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وكذلك إذا عفا الإنسان عن أخيه، وصفح عنه، أحبه أخوه، وعظم في عينه، وكذلك أُمِرَ رسول الله ﷺ أن يقبل بيعة النساء، ويستغفر لهن إذا التزمّن التوحيد، وامتنعن عن السرقة والزنا، وقتل الأولاد - حين تطرح المرأة نفسها فلا تحبل - ويمتنعن عن إلحاق لقيط برجل ليس أباه، ويلزمّن أنفسهن بطاعة رسول الله ﷺ فَيَايَعُهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١).

وسيدنا يوسف عليه السلام، كان إخوته سبب بلائه، وبعده عن والده مدة أربعين سنة، فلما كشف نفسه لهم، ورأوا مكانته السامية في مصر، اعتذروا له طالبين الصفح والغفران، فعفا عنهم وسأل الله تعالى المغفرة لهم ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِلِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)﴾ (٢).

وما أجمل أن يدعو المسلم لأخيه بظهر الغيب، ويسأل الله أن يغفر لهما، ويجمعهما على ما يجب ويرضى. . إنه الدين الذي جمع قلوب العباد ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَتِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ (٣).

مجتمع فيه تآلف ومحبة، كل واحد يرجو فيه الخير له ولأخيه، هو مجتمع جذوره ذاهبة في الأرض ثباتاً، وذراه ذاهبة في السماء سموّاً وعلوّاً.

- حتى إن القرآن ليذهب أبعد من هذا، فمن أساء إليك، فلا تُسِء إليه إلا بقدر إساءته لك، والأفضل من هذا الصفح والعفو والصبر ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٦٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ . . . (٤)﴾.

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٩١، ٩٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ١٢٦، ١٢٧.

ماذا تفعل مع إنسان أساء إليك، وأنت تريد له الخير، أتمنع الخير عنه وتقول لا بد من عقابه، أم تتناسى إساءته، وكأن شيئاً لم يكن، أم تقابل إساءته بالإحسان إليه؟

لعل القرآن الكريم يريد لك أيها المسلم الداعية أن تكون أكبر من ردة الفعل فلك هدف تصبو إليه... هذا ما يريده القرآن، وصاحب القرآن سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣)

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾
وَمَا يُلْقِئَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

وَمَا يُلْقِئَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (١)

وجعل الله تعالى أخذ الحق أمراً لا يلام الإنسان عليه، لكن العفو أمر يحبه الله تعالى

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا

فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)

وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ (٢)

لكن حين نعلم أن الله تعالى أعد جنة عرضها السموات والأرض للمتقين نسأل عن سمات هؤلاء المتقين، لعلنا نكون منهم:

أ - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

ب - وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

ج - وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٣ - ٣٥.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٠، ٤١.

د - وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

ه - وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ

و - وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

ز - أُولَٰئِكَ جَزَاءُكُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾^(١)

اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.



(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٤ - ١٣٦.

الالتزام بالوعد والعهد

صفة إيجابية يؤديها من كان الصدق ديدنه، والمروءة والشهامة عُدته، ويرفع الالتزام بالوعد صاحبه في أعين الناس، ويقرّبه إلى قلوبهم ونفوسهم، فيعظم فيهم شأنه، وتُعتمد عندهم كلمته.

وإذا كثر هذا في الناس اطمأنت أفئدتهم، وارتاحت نفوسهم.

أما إذا أخلّ الإنسان بعهده، وضيع وعده انقلب أمنه إلى توجُّس وحذر، وخاف الناس بعضهم بعضاً.

ولذلك يحضن المولى تبارك وتعالى على حفظ الأمانة وأدائها إلى أهلها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١).

ويأمرنا بإنفاذ العهد الذي قطعناه على أنفسنا، قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).

ويؤكد سبحانه وتعالى الوفاء بالعهد - أيضاً - في وصاياه في سورة الإسراء: ﴿... وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

أما المنافقون فلم يكونوا أهلاً لحفظ العهد مع الله سبحانه وتعالى،
فما هي عقوبتهم يا أخي الكريم؟!

لقد كان العقاب شديداً ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ
لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥)

فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا
كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ (١)

وهل أشد عقاباً من أن يعيش الإنسان منافقاً، ويلقى الله منافقاً؟ لقد
وفى الله سبحانه لهم بما طلبوا حين آتاهم من فضله، لكنهم بخلوا وأعرضوا
عن الدين القويم، والرسول الكريم، فنالوا جزاءهم.
ولأهمية إنفاذ العهد نرى الفكرة تتكرر مرة أخرى في قوله تعالى في
حق المنافقين في غزوة الأحزاب:

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا
وَيَسْتَنْزِدُونَ فَأَرْسَلَهُ رَبُّكُمُ النَّبِيَّ يَتْلُوَنَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ
إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣)

وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا
يَسِيرًا ﴿١٤﴾

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدِّبْرَ
وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ (٢)

والكفار والمنافقون - على حد سواء - لا يفون بالعهد.. لماذا؟ لأن

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ - ٧٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ١٣ - ١٥.

الذي يفني بعهده عاقل لبيب، يحترم نفسه، وصادق فيما يقول.. وهذه ليست من صفاتهم، إنها صفات المؤمنين.

فحين أرسل الله تعالى على فرعون، وقومه الدم، والضفادع، والقمل، وعدوا موسى أن يؤمنوا بالله إن كشف الله الضر عنهم، وعاهدوه على ذلك، فماذا فعلوا حين كشف الله تعالى عنهم البلاء؟ نقضوا العهد وأخلوا به: ﴿وَقَالُوا يَأَيُّهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يَمَا عَهْدُ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (٥٠) (١) والنكث بالعهد صفة المذمومين ومن لا خلاق لهم.

ولعل سيدنا أيوب الذي مسه الضر وكان جسمه عليلاً مدة طويلة من الزمن، وابتعد الناس عنه، وتقرّزوا من رؤيته، وما كان أحد يدخل عليه، انشغلت زوجته - وهي الإنسان الوحيد الذي ما فارقه - فتأخّرت عنه مرة فأقسم لئن شوفي ليجلدنها مئة مرة.. فلما شفاه الله تعالى لم يطاوعه قلبه أن يعاقب زوجته الصابرة المخلصة، لكن ماذا يفعل وكيف يبرّ بقسمه؟

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبرّ بعهده، دون أن يؤذي زوجته، فأمره أن يجمع مئة عود فيضربها ضربة خفيفة، تكون حلاً لقسمه ﴿وَحُذِّ بِيدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٥٤) (٢).

والله سبحانه وتعالى حذرنا من الشيطان وأحاييله، وسماه العرور، فحذر منه المؤمنون فنجّوا، وتبعه الغاؤون، فكانوا معه في جهنم، كان في الدنيا يزيّن لهم المفسد والأهواء فانغمسوا فيها، وجروا وراءها يلهثون، فلما التقوا معه في العذاب بانّت الحقيقة، ولكن بعد فوات الأوان ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ

وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة ص، الآية: ٤٤.

فَلَا تُلْمُوْنِي وَلَوْ مُوَا أَنْفُسَكُمْ
مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتَ بِمُصْرِخِي
إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ
إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴿١﴾.

وقد بايع أصحاب رسول الله ﷺ قائدهم العظيم في صلح الحديبية، فأعلمهم ربُّ العزة: أنَّ مبايعتهم نبيهم ﷺ مبايعة الله سبحانه وتعالى، وأن الذي يحافظ على البيعة له أجر كبير، أما الذي ينقض البيعة فقد أساء إلى نفسه وظلمها، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوْنِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾﴾ (٢).

ويقول سبحانه أيضاً في سورة الفتح نفسها مادحاً المسلمين: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِدَ كَثِيرَةٍ نَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِدَ كَثِيرَةٍ نَأْخُذُونَهَا ﴿٣﴾﴾.

وقد وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقال: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَتَابٍ ﴿٤٩﴾﴾

جَنَّتٍ عَرْضُهَا مِثْلُ الْمَدِينَةِ لَهَا الْآبُوتُ ﴿٥٠﴾
مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَاجٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَرَابُ ﴿٥٢﴾
هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ ﴿٤﴾.

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة الفتح، الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٤) سورة ص، الآيات: ٤٩ - ٥٣.

وفي سورة الأحقاف نجد صورتين متناقضتين، الأولى للمسلم المؤمن الذي يخاف الله، ويحبه، ويرجو ثوابه، والثانية للكافر الفاسق.

فماذا وعد الله المؤمن؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١)

وبماذا وعد الكافر؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾ (٢).

فمن أي النوعين تريد أن تكون أيها الإنسان العاقل؟.

ويوم القيامة ينبت الناس من الأرض كما ينبت البقل، والمؤمنون متيقنون سابقاً ولاحقاً أن الله سيجمعهم يوم القيامة، أما الكفار فإنهم يتساءلون خائفين: ﴿قَالُوا يَتَوَكَّلْنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣).

فوعده الله حق، لأنه سبحانه هو الحق ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٥).



(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٦.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٨.

(٣) سورة يس، الآية: ٥٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩.

التحجب

يقول الله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ سَنَةٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا... ﴾ (١).

هكذا تفعل الكلمة الطيبة في نفوس السامعين، تدخل القلوب دون استئذان، ويتبوأ صاحبها المكانة المقبولة في نفوسهم، ويستمعون له، ويحبونه، أما الكلمة الخبيثة، فعلى العكس من ذلك تنفر الناس من صاحبها، ويجدون ثقيلًا على أنفسهم، ثقيلًا على قلوبهم.

فحين عاتب الله عز وجل نبيه وحبيبه محمداً عليه الصلاة والسلام حين أذن للمنافقين أن لا يخرجوا معه في غزوة تبوك بدأه بكلمة خفيفة على النفس، محبة لدى المخاطب، فقال سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ (٤٣) (٢).

وحين عاتبه في أمر ابن أم مكتوم، لم يخاطبه مباشرة بل حدثه بضمير الغائب، فقال: ﴿عَسَى وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾﴾ (٣)، ولم يقل عبست وتوليت أن جاءك الأعمى... فإذا كان رب العزة يتحجب إلى خلقه، ويتودد إليهم - وهو الودود الرحيم - أفلا ينبغي لنا أن نسلك هذا الطريق الذلول

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

(٣) سورة عبس، الآيتان: ١، ٢.

لنصل إلى قلوب الناس؟، والمؤمن ألوف مألوف.

والله سبحانه رؤوف بعباده حريص على إيمانهم، يتحجب إليهم برفق قائلًا: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) (١).

ويقول: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ (٥٦) (٢).

ويخاطب رسوله الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) (٣)، ﴿وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٤).

ويخاطب موسى عليه السلام حين أمره أن يترك مصر إلى سيناء بالمؤمنين ﴿فَأَنزِلْ يَحْيَىٰ لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (١٢٣) (٥). فتحجب إلينا بكلمة «عبادي».

وهذا لقمان الحكيم الذي أكرمه الله سبحانه وتعالى بالهداية، فشكره علي نعمته، فزاده منها، يقول لولده متحياً متقرباً ينصحه: ﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٦)، ﴿يَبْنِي إِنَّمَا إِنْ تَكُ يَشْقَىٰ حَبْرٌ مِّنْ خَرَدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَنَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١١) (٧)، ﴿يَبْنِي أَقِرَّ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) (٨). فكرر كلمة «يا بُنَيَّ» وهي كلمة لطيفة أنيسة.

وحين يأمرنا الله تعالى ببر الوالدين، يتلطف معنا، فلا يستعمل صيغة

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الدخان، الآية: ٢٣.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٧) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٨) سورة لقمان، الآية: ١٧.

الأمر كي لا يستثقله الإنسان فينفر منه، بل يأتي بصيغة الماضي والتذكير بالفضل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ...﴾^(١)، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا...﴾^(٢)، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا...﴾^(٣).

وتراه سبحانه وتعالى كثيراً ما يستعيز عن الأمر بالوصية: [ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، ﴿ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤).

- هذا يوسف عليه السلام يخاطب أباه بأدب ولطف وتحبب، فيستعمل كلمة «أَبَتِ» ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾^(٥)، ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ...﴾^(٦).

- وإبراهيم الخليل يتلفظ بالكلمة نفسها لأبيه الكافر، متقرباً إليه، يدعوه إلى الإيمان ويتحجب مكرراً هذه الكلمة التي يعشقها الآباء، ناصحاً وواعظاً:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ

أ - ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا؟﴾

ب - ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾^(٤٣).

ج - ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾^(٤٤).

(١) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

(٤) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ - ١٥٣.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٤.

(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

د - ﴿يَتَابَتِ إِيَّاهُ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (٤٥) (١).

- وهذا ابنه إسماعيل الذبيح يخفف عن أبيه لواعجه، ويساعده على الاستسلام لأمر الله، وطاعته.

﴿يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢).

وهذه البنت الواعية، الموقرة لأبيها تعرض عليه بأدب أن يستأجر موسى عليه السلام بالكلمة نفسها.

﴿يَتَابَتِ أَسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجِرَّتْ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٣).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

كما أن الأنبياء عليهم الصلوات والسلام جميعاً، على الرغم من أذى أقوامهم لهم، وسوء معاملتهم إياهم، تجدهم حين يخاطبونهم، يتوددون إليهم ويتقربون بقولهم: «يا قوم»، وفي القرآن عشرات الأمثلة من هذا التودد منها:

أ - قول موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢١) (٤).

ب - قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُورُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنَّا فَشِرْكُونَ﴾ (٥).

ج - قول نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ (٦).

(١) سورة مريم، الآيات: ٤٢ - ٤٥.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٧٨.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

د - قول هود عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (١).

هـ - قول صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٢).

و - قول شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٣).

ز - الرجل الصالح في سورة يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) ﴿أَتَبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١) ﴿(٤)﴾.

ح - مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ (٢٠) ﴿(٥)﴾.

حتى إن فرعون ذلك المتكبر المتغطرس، حين أراد أن يتقرب إلى الغوغاء من شعبه ليضلهم ﴿قَالَ يَنْقُورِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٦).

فحريّ بنا أن نكون من أتباع الأنبياء، محبين لقومنا، ندعوهم إلى العودة إلى الله سبحانه وتعالى بلطف وتحبب.

وهذا ربّ العزة يمدح النبي ﷺ قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) ﴿(٧)﴾، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّصُتُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٨).

ولنا فيه عليه الصلاة والسلام أسوة حسنة، وفي إخوانه عليهم الصلوات جميعاً.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة غافر، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٥١.

(٧) سورة القلم، الآية: ٤.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

بذل المساعدة

يقول الرسول الكريم ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...».

هذه دعوة إلى الخير، ومساعدة الناس، لما في المساعدة من إغاثة للملهوف، وتخفيف عن المكروب، وعون للمحتاج. وهي تدل على الأخوة الصادقة في المجتمع الموحد. وعلى التماسك القوي بين أفرادها، واللحمة المتينة بين أنسجته، فتزيد أواصره قوةً وروابطه شدة.

والقرآن الكريم سرد لنا بعضاً من صور المساعدة الفردية، والمساعدة الجماعية، لتكون لنا قدوة ودافعاً إلى التكاتف والمحبة.

- فهذا سيدنا موسى عليه السلام يفرّ هارباً من الظالمين الفراعنة، ويسأل الله تعالى أن ينجيه منهم، وينطلق متجهاً إلى الشام، يرجو ربه أن يهديه سواء السبيل ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ (١).

فشهامته على الرغم من خوفه، وغريته، وجوعه، أبت أن يرى فتاتين تنزويان عن الرجال، منتظرتين أن ينتهوا من سقاية أغنامهم ومواشيهم، ففسقيان. وتعجّب أن لا يكون لهما راع، فسألهما، فعرف أنهما ابنتان لرجل

(١) سورة القصص، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

هرم، لا يقوى على السرح بالماشية ورعيها، فاضطرتنا إلى فعل ذلك، فتقدم فسقى الماشية بهمة وقوة ونشاط قبل الرعاة، ودفع بها إلى الفتاتين، فعادتا مبكرتين على غير عادتهما، فسألهما والدهما عن السبب، فأخبرتا بما جرى، فاستدعاه وزوجه إحداهما، ليعمل عنده في رعي الغنم...

- وبذل المساعدة تتأثر بها النفوس، والتصرف الحكيم يعدل الموازين، فتصفو القلوب، وتأرز الأفتدة لصانع المعروف، وتنقلب العداوة قريباً وصداقة، والبغض محبة ووداداً. قال تعالى:

أ - ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

ب - أَذْفَعَ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ

ج - فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

د - وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

هـ - وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حُظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ (١).

فالحسنة فعل تستحسنه النفوس وترجوه، وتأنس إليه وتعظم صاحبه، والسيئة فعل تستقبحه وتنفر منه، وتكرهه وصاحبه، فإذا العدو القالي يصبح صاحباً، وحيبياً، مما تقدم له من عون، وصفح، ووجه بشوش، وابتسامة جذابة. - وهذا ذو القرنين - رضي الله عنه - مكن الله له في الأرض، شرقها وغربها، فلم يتكبر ويتجبر، إنما كان مثلاً يُحتذى في البر والخير، فلما فرغ من نشر الدعوة في الشرق والغرب، انطلق إلى الشمال، حيث الجبال الشاهقة، حتى إذا وصل إلى منطقة بين حاجزين عظيمين، بمنقطع بلاد الترك وجد قوماً متخلفين، لا يكادون يعرفون لساناً غير لسانهم، إلا بمشقة وعسر، لبعدهم عن مخالطة غيرهم، ولم يفهم كلامهم إلا بترجمان، فأخبروه أن قبيلتي «يأجوج ومأجوج» قوم مفسدون، بالقتل والسطب والنهب، يخرجون في الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وسألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً يمنع غائلة المفسدين، وأعلنوا أنهم سيتحملون التكلفة.

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٤، ٣٥.

فلم يأخذ منهم شيئاً، فالله تعالى بسط له القدرة والمال، فما يحتاجهم إلا بالرجال العاملين، وبنى لهم السد الحصين العالي المتين من الحديد المصهور، والنحاس المذاب، الذي صبه عليه فصار جبلاً صلباً ملتصقاً بعضه ببعض، فما استطاعوا نقبه لصلابته وثخانته، ولا أن يعلوه ويتسوروه لملاسته ونعومته ﴿ثُمَّ أَنْعَمَ سَبَأًا﴾ (٩٢) ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣) ﴿قَالُوا يَنْدَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مُفِيدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤) ﴿قَالَ مَا مَكِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٩٥) ﴿آتَوْنِي زَبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفِخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتَوْنِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ (٩٦) ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٧) (١)

- وهؤلاء الأنصار أهل المدينة المنورة من الأوس والخزرج - رضي الله عنهم - يحجون مكة، ويؤمن العشرات منهم برسول الله ﷺ، ويبايعونه على نصرته، ونصرة المؤمنين من أهل مكة وغيرهم، إن أقبل إليهم. وهكذا كان. فانتقل الرسول الكريم وأصحابه إلى المدينة، فاستقبلهم إخوانهم من أهلها استقبالا حسنا، شهد به القرآن الكريم ومدحهم بذلك، فقد آمنوا بالله ورسوله، وأكرموا المسلمين المهاجرين فأسكنوهم ديارهم، وقاسموهم أموالهم، وفضلوهم في الغنائم على أنفسهم دون شئ، ولم يجدوا في أنفسهم غيظاً وحسداً مما أخذوا فاشتدت الألفة بينهم، والحب والأخوة، فأسسوا مجتمعاً طيباً، ينتشر عبقه على مدى الدهور وكر العصور ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) (٢)

- وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بأداء زكاة أموالهم للمحتاجين من إخوانهم، وجعل أداها ركناً من أركان الإسلام، فأفاد أموراً كثيرة منها:

(١) سورة الكهف، الآيات: ٩٢ - ٩٧.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

- ١ - بناء مجتمع متكامل متراحم، تسوده مشاعر المحبة والألفة.
- ٢ - مَحْوُ الضغائن من قلوب الفقراء نحو الأغنياء...
- ٣ - تقليص الهوة بين أفراد المجتمع وطبقاتهم، فلا يكون أغنياء مترفون ولا فقراء مُعْدَمُونَ.

فأمر الله تعالى أن تدفع الزكاة في عديد من المصارف، وحدد الأهم فالأقل أهمية ليتحقق وجود ذلك المجتمع المتجانس المتكالف ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفُرِيِّنَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٠) (١).

وأمرنا أن نعطي الأقرب أولاً - فالأقربون أولى بالمعروف - ثم المسكين، فهو عفيف اليد واللسان، لا يسأل أحداً لكن حياته ناطقة بمعاناته، ثم ابن السبيل الذي انقطع عن بلده ولم يجد ما يبلغه دياره، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٢)، ثم أعقبه بقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وهذا الرجل الصالح معلم سيدنا موسى، يساعد الناس بأمر من الله تعالى، وبطريقة لا نعرفها، فهو يخرق السفينة، وأهلها لا يعرفون، فحين تقع في يد الملك، ويريد أخذها منهم يرى الخرق، فتعافها نفسه ويتركها.

ويقتل الغلام، لأن الله يعلم أن هذا الفتى إن عاش وصار رجلاً فسيرهق أبويه طغياناً وكفراً، ويبدلهما الله خيراً منه فتاة تصير زوجة نبي من أنبياء الله، ثم يبني الجدار في القرية على الرغم من امتناع أهلها أن يقرؤهما لأن صاحبي هذا الجدار ما يزالان طفلين، وقد ينهدم الجدار وتحتة كنز لهما، فيضيع هذا الكنز بأيدي الجشعين. ويبقى الجدار ويظل الكنز خبيثاً

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٨ مكرر.

تحتة، حتى يكبرا، ويشتد عودهما، ويتفعا بالمال.. سبحان الله...

إن المسلم يبذل ما في جهده لمساعدة إخوانه في بقاع الأرض كلها
ليحقق معنى الأخوة الإسلامية^(١).



(١) عد إلى هذه القصة في سورة الكهف.

النصيحة والحض

النصيحة: الوعظ بوذ وإخلاص، والحض: الحمل على الشيء والإغراء به، والحث عليه...

والقرآن الكريم حرص على النصيحة، فهي أسلوب يدفع إلى فعل الخير، وركوب الطريق الصحيح، فعلاً كان أم تفكيراً، بطريقة تدع المنصوح، راغباً دون شعور بالمساءة.

وللنصيحة والحض عليها أساليب عدة، سلكها القرآن، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الشرط: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٢) ^(١)، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١٣٤) ^(٢).

فالقرآن في هاتين الآيتين الكريمتين ينبه إلى أن النفس العظيمة تطلب الشيء النفيس الباقي، وذلك لا يتأتى إلا من الله سبحانه، والإيمان به، وطلب الدار الآخرة.

ونرى موسى عليه السلام، ينصح قومه بالتوكل على الله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ ^(٣)، وعلى هذا الأساس نرى

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٤.

الله سبحانه وتعالى يحض نبيه الكريم، على التوكل على الله، والاكتفاء به حسباً ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١).

وأسلوب الشرط في إسداء النصيحة والحض على الخير كثير في القرآن الكريم.

٢ - لولا التحضيصة: ﴿وَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَمَنٍ عَنْ فَلْسَادٍ فِي الْأَرْضِ...﴾ (٢).

فهلأ... ولكن كان أولئك بعيدين عن التعقل والفهم، ولم يكن منهم أولو ألباب وعقول.

... وفي حديث الإفك، حض على التفكير للوصول إلى معرفة الحقيقة ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (٣).

وحضهم على التزام شرع الله في الوصول إلى الحق، وعودة إلى أول السورة نجد أنه يجب المنجي بأربعة شهداء لإثبات زنا المرأة: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ (٤).

ونصحهم بعدم الخوض بهذا الفساد: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مَبْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ (٥).

٣ - النداء والأمر والنهي: وقد تجتمع في كثير من الآيات، بل في أكثرها.. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٢) سورة هود، الآية: ١٦.

(٣) سورة النور، الآية: ١٢.

(٤) سورة النور، الآية: ١٣.

(٥) سورة النور، الآية: ١٦.

تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلَكِنَّ عَذَابَ آيَةٍ ﴿١٠٤﴾ ﴿١﴾.

فاليهود يقصدون من كلمة «راعنا» المسبة، والشتيمة، كما أنها قد توهم الجفاء، أو التقيص، في مقام يقتضي إظهار المودة والتعظيم.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْثَلَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴿٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٣﴾.

٤ - ويجتمع النداء والنهي: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا يَسَاءَ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ ﴿٤﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِقًا لِلنَّاسِ﴾ ﴿٥﴾.

٥ - ويجتمع النداء والأمر: ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿٦﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ ﴿٧﴾.

٦ - المقارنة والاستفهام: كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٨﴾، وكأنه سبحانه

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٧) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٨) سورة هود، الآية: ٢٤.

يقول لأهل العقول: تذكروا وعوا...

ومنها الاستفهام بـ «هل» كقوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٤) (١).

ومنها الاستفهام بـ «من» كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (٢) (٢).

ومنها الاستفهام بـ «الهمزة» كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٤) (٣).

٧ - الأمر وحده: كقوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَلِيلَيْنِ﴾ (٣٨) (٤).

٨ - النهي والأمر معاً: كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (١٠٥) (٥) وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦) (٥).

٩ - الإخبار: في قصة السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت نجد الأفكار التالية التي يسمعها الرجل العاقل اللبيب فيمتنع أن يكون مثل أصحابها:

أ - نبذ فريق من الذين أوتوا كتاب الله وراء ظهورهم.

ب - جاءهم الحق، فتناسوه كأنهم لا يعلمون.

ج - اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان.

د - لم يكفر سليمان، والشياطين كفروا.

(١) سورة هود، الآية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٥) سورة النساء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

هـ - المتعامل بالسحر ما له في الآخرة من خلاق .

فكان هذا الإخبار نصيحة وحضاً على التزام الطريق الصحيح .

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٤١﴾ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتٌ وَمُرُوتٌ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَئِنَّ مَا شَكَّرُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ١٤٢﴾ (١) .

وكذلك الإخبار في قوله تعالى : ﴿لَن نَّأْلُوا آلِهَةً حَتَّى تُنْفِقُوا مِنَّا مُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَلَهُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ﴾ (٩٢) (٢) .

١٠ - الوصية : وهي أسلوب رفيع في النصيحة والحض عليها .

وقد ذكرت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة في صيغ عديدة فيها الأدب العالي والأخلاق الرفيعة . . فمن أمثلتها :

أ - ما وصى به الأنبياء أولادهم في التزام التوحيد . . قال تعالى : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ١٣٣﴾ (٣) .

ب - ما وصى به الله تعالى أولي العزم من الرسل حين شرع لهم ، قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

(١) سورة البقرة، الآيتان : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٩٢ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٣٢ .

وَصَيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الذِّينَ وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ ﴿١﴾

د - وفي ثلاث آيات من سورة الأنعام نجد وصايا متتالية، مصابيح هداية تنير للمسالكين دروب الهداية، وسبل النجاة، قال تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ

١ - أَلَّا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا

٢ - وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا

٣ - وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ

٤ - وَلَا تَقْرَبُوا أَفْوَاحَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

٥ - وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

٦ - ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ

٧ - وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

٨ - وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

٩ - وَيَعْبُدِ اللَّهَ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

١٠ - ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ ﴿٤﴾

وأساليب النصيح في القرآن الكريم كثيرة، كثيرة... بحسب الليب أن يراجع الآيات الكريمة بتفحص وإمعان، ليجد فيها ما يساعده على الوصول إلى قلب السامع والمخاطب...

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

المشورة

لماذا يستشير أحدنا غيره، وهل من فائدة في المشورة؟
إذا استشرت فقد طلبت النصح، لتصل إلى وجه الصواب، وتستنير
برأي الآخرين.

ففي الاستشارة - إذاً - فوائد كثيرة منها:

- ١ - الاستصاح للوصول إلى الوجه الأكثر كمالاً.
 - ٢ - عدم الانفراد بالرأي، فالانفراد يعدُّ خطأً وضعفاً.
 - ٣ - تحميل الآخرين مسؤولية اتخاذ القرار، والمشاركة فيه.
 - ٤ - بناء مجتمع متماسك، يشعر كل واحد فيه أنه لبنة مفيدة.
- والشورى ركن مهم من أركان المجتمع الإسلامي، حضَّ عليه ديننا
العظيم، فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(١) فلا ينفرد في القرار أحد، ويتعاون
الجميع على إنضاجه وإبرامه، ليكون أكثر إحكاماً وسداداً.

- وقد كان رسول الله ﷺ كثير المشورة لأصحابه، في أمور الحياة
سلمها وحربها وقد مدح الله تعالى رسوله ﷺ، باللطف في معاملة أصحابه،
فالتفوا حوله واجتمعوا عليه، على الرغم من أخطاء الكثيرين منهم، ولو لم
يكن كذلك لتركوه ونفروا منه، وقد أمره الله سبحانه - والرسول ﷺ - قدوتنا -

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

أن يعفو عنهم ويتجاوز عن إساءاتهم، ويطلب لهم المغفرة من الله تعالى، ويستشيرهم في جميع أموره، ليقتردي بفعله الناس ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (١).

- وكان التشاور - وما يزال - من شيم المجتمع الإسلامي حتى في الأمور العادية، فإن طلق رجل امرأته، وله منها ولد ترضعه، فاتفقا - ليذهب كل واحد في سبيله فتزوج هذه المطلقة - على فطامه قبل انقضاء الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة للولد بعد التشاور لم يكونا آثمين ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (٢).

فهذا مثال وإن كان مهماً فهو بالنسبة إلى غيره من الأمور يعتبر عادياً، ومع ذلك فقد استحسن فيه التشاور، فما خاب من استشار.

- والمشورة ترتفع بالمستوى الإنساني إلى درجة عالية، لا ينفرد بها المسلمون فقط، إنما هي سمة عامة بالمجتمع الذي يريد أفراده الحياة الطيبة، والوصول إلى المكانة اللائقة، والطريق الصحيح الموصول إلى الغاية الصحيحة.

فهذه ملكة سبأ، يأتيها من سليمان عليه السلام، كتاب يلقيه عليها الهدهد، فتفتحه فإذا أوله بسم الله الرحمن الرحيم، ومضمونه دعوة إلى توحيد الله، والانقياد لأمره وطرح التكبر، والسفر إلى الشام مع وجهاء قومها مسلمين طائعين، موحدين، فجمعت كبار قومها، وأهل الرأي والمشورة قائلة: ﴿يَتَأْتِيهَا... الْمَلَكُ أَتَوْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣) فبدون حضورهم ومشورتهم لا تقطع بأمر، ولا تقضي بتصرف وعمل.

قال القرطبي: (أخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها في كل ما يعرض لها، فراجعها الملاء بما يقر عينها، فأعلموها بقوتهم وبأسهم،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) الفصال: الفطام.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

ثم سلموا الأمر بعد المشورة إليها، وهذه محاورة حسنة من الجميع).

قال الحسن البصري: (فوضوا أمرهم إلى امرأة - نعم إلى امرأة - فلما قالوا لها ما قالوا كانت هي أحزم منهم رأياً وعلماً، فقالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(١) وهكذا فعلت ثم رأيت الحق أحق أن يتبع، فذهبت إليه، وأمنت به، وتزوجته، فكانت من الناجين في الدنيا والآخرة، وكانت فألاً حسناً لقومها، وهادية لهم إلى الإيمان بحسن عملها.

- وفعل فرعون ما فعلت ملكة سبأ من المشورة، لكنه بجبروته وتكبره حاد عن الطريق وسقط في الحضيض.

فحين جاء موسى وهارون يدعوانه وقومه وبني إسرائيل إلى الإيمان بالله، جادلهما فرعون، وحاول إرهابهما، وتخويفهما، فردّ عليه موسى ردّاً عقلياً يدلّ على الإيمان العميق بالرسالة التي كُلف بها، وقارعه الحجّة بالحجة. فلما أفلس هدّده بالاعتقال والسجن. . فما كان من موسى إلا أن أظهر آيتيه اللتين زوّده الله تعالى بهما - إلقاء العصا، فتقلب حية تسعى، وإدخال اليد في فتحة القميص وإخراجها بيضاء تلمع وتضيء -، فلما رأى فرعون هاتين الآيتين بُهِتَ أول الأمر، ثم استعان بالأعوان، لا ليدلّوه على الطريق الصحيح، والدين القويم، إنما ليعينوه بمكرهم، ودهائهم، على التصدي لهذا النبي الذي يملك سلاحاً قوياً كاد يعصف بفرعون، وعرشه، فلم يقل ما قالته ملكة سبأ: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾، طالبة النصيح والرشاد بل أعلن كفره بموسى ابتداءً، فحرّض هؤلاء عليه حين قال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾^(٢)، فكانوا كما أراد فرعون، فقد فهموا أنّه لا يريد نصيحة حين أوهم أنّه يستشيرهم، وعرفوا مرامه، وكانوا كما قال تعالى ذامّاً إياهم: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾^(٣)، فقالوا له

(١) سورة النمل، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٥٤.

ما وافقه وأرضاه وزاد في طغيانه وضلاله ﴿قَالُوا أَزِجُّهُ وَآخَاهُ وَابْنَتِي فِي الدَّيْنِ حَسِيرِينَ﴾ (٣٦) يَا تُورَكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ (١).

وكانت النتيجة أن الله سبحانه وتعالى أغرقه وجنوده في اليم، جزاءً وفاقاً على كفره وطغيانه وفساده ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ، وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ (٢)، فآمن ساعة لا ينفذ الإيمان، آمن وهو يغرق ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٤١) ءَالَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٢﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٤٣﴾ فكان من الهالكين...

- وهذان سيدانا إبراهيم وإسماعيل يضربان المثل الأعلى، في الاستشارة وإن لم تكن استشارة حقيقية... فكيف؟

لما ترعرع إسماعيل وشبَّ وبلغ السن الذي يمكنه أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه قال له حين أمر في المنام بذبحه: ﴿يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (٤٤).

ورؤيا الأنبياء وحي فعيونهم تنام، ولا تنام قلوبهم، فلما سأل إبراهيم ابنه: ما رأيك في الذي رأيت، لم يكن يشاوره ليرجع إلى رأيه فهذا أمر حتم من الله وما سألته إلا ليعلم ما عنده، فثبت قلبه، ويوطن نفسه على الصبر، فأجابه ابنه بأحسن جواب: ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤٥). وهذا جواب أولي الحلم والصبر والامثال إلى أمر الله والرضا بقضاء الله... جعلنا الله تعالى من أهل هؤلاء الكرام لنفوز برضا الله سبحانه وننجو من عذابه، بل قل: لنكون من أهل الله.

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ٣٨ - ٤٠.

(٣) سورة يونس، الآيات: ٩٠ - ٩٢.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

التلطف والاعتذار

يستطيع الإنسان أن يأخذ باللطف ما لا يستطيع أخذه بالعنفوان.
وبالكلمة الطيبة، والابتسامة اللطيفة، يصل الإنسان إلى مأربه.

والله سبحانه وتعالى خلق سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام ليناً هيناً مع الناس ليكون نموذجاً حسناً حياً للدعاة، ولو كان عصبياً سريع الغضب ما ألفوه وتبعوه ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾^(١).

وأمره سبحانه أن يقبل من الناس ما عفا وتيسر من أخلاقهم، وأن يحضّر على فعل ما هو حسن، وأن يتناسى جفاء الجاهلين ذوي القلوب القاسية ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢).

بل إنه ﷺ كان يستغفر للمنافقين، وظلّ على هذا إلى أن نهاه ربه عن ذلك، حين قال سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣).

وأمره سبحانه وتعالى أن يتلطف في الدعوة إلى الله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١﴾ . فالإنسان عقل وكتلة مشاعر، يحسن بالداعية أن يراعيها ويدخل إلى أصحابها من الباب المفتوح والطريق السهلة.

- وحين شعر إخوة يوسف بضعف موقفهم، حين استُخرجَت السقاية من رحل أخيه وأخذه - ظاهرياً - رقيقاً بشرع يعقوب، إذ السارق يستعبد، جاءوه بطرف منكسر، ولطف حزين، فقالوا يستعطفونه ويتزلفون إليه: ﴿... يَتَأْتِيَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

وما نكتموا حين رأوا أباهم عمي من شدة حزنه على يوسف من قبل، وبنيامين من بعد، إلا أن أعادوا الكرة ودخلوا على يوسف مستعطفين بما وصلت إليه حال أبيهم وبفقرهم ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَتَأْتِيَا الْعَزِيزُ مَسْنًا وَأَهْلَنَا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِضِغَعَةٍ مُرَحَّةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (٣).

وحين سقط في أيديهم وانكشفوا أمام أبيهم، وكانوا قد انكشفوا أمام أخيه، فسامحهم، قالوا لأبيهم معتردين: ﴿... يَتَأَبَّأُكَ اسْتَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (٤).

فنسي الأب أو تناسى إساءتهم والأب عطوف رحيم بأبنائه، سامحهم فوراً ف ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥).

- وهذا سيدنا موسى يقابل الرجل الصالح، الذي آتاه الله تعالى رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علماً. فيسأله أن يرافقه ليتعلم منه ما علمه الله،

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٧٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٩٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٩٨.

فيشترط عليه الرجل الصالح أن لا يسأله عن شيء حتى يخبره هو به، فلما ركبوا في السفينة وخرقها أنكر موسى فعلته، إذ كيف يبادي خيرهم بشر؟!، فذكره الرجل الصالح بما اشترط فقال موسى معذراً: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَبِئْتُ وَلَا تَرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾^(١)، فالاعتذار تعبير عما في النفس من شعور بالذنب، والكريم يغفر للكريم.

- ودخل رجل على الخليفة هارون الرشيد ينصحه، ويذكره بالآخرة، فكان في نصحه عنيفاً، فقال له هارون: لقد أرسل الله تعالى موسى وهارون - وهما خير منك - إلى فرعون، وهو شرُّ مني، فقال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٢) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّنَا لَعَلَّهُ يَذَّكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٣) فخجل الرجل من هارون الرشيد وانقلب الواعظ موعوظاً، والموعوظ واعظاً. فالقول الهين اللين يفعل الكثير ويفتح مغاليق القلوب.

- وحين عاد موسى إلى قومه بعد أن كلم ربّه تعالى وجد بعضهم يعبدون العجل من دون الله، ولم يستطع هارون أن ينشئهم، فلم يكن قوياً ذا بأس كموسى فالتفت إلى أخيه غاضباً ممسكاً بلحيته ورأسه و ﴿قَالَ يَهُودُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾^(٩٢) أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾^(٩٤) إِنْ خَشِيتُ أَنْ يَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾^(٩٥) فناداه: «يا ابن أم» متلطفاً معذراً، فسكت عنه غضب موسى، ثم حرّق العجل ونسفه نسفاً.

- وهذه بلقيس زوجة سليمان عليه السلام يأتيها الهدهد برسالة منه يأمرها أن تسلم وتأتيه خاضعة، فاستشارت أهل الرأي وأصحاب الحل والعقد من أهل مملكتها، فقالوا لها: نحن أقوىاء، وأولو بأس شديد، ونحن رهن أمرك، فافعلي ما تشائين، فما كان منها - وهي الذكية الأريبة - إلا أن قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٣.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة طه، الآيات: ٩٢ - ٩٤.

يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ (١) وما إرسال الهدية إلا نوع من اللطف وحسن التصرف.

- وأخيراً نقف على اعتذار أصحاب الجنة الذين بخلوا على الفقراء فدمرها الله تعالى جزاء وفاقاً فلما علم أصحابها أنهم أخطأوا لجأوا إلى الله سبحانه وتعالى يعتذرون وينيبون: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ (٢).

وهكذا نجد صدق رسول الله ﷺ حين يقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» (٣).

وفي قوله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» (٤).

وفي قوله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه» (٥).



(١) سورة النمل، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة القلم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم.

العتاب

عتب عليه وعاتبه: لأمه وخاطبه مخاطبة الإدلال، طالباً حُسن مراجعته، ومذكراً إياه بما كرهه منه.

ويقال: يُعَاتَب مَنْ تَرَجَى عَنْده العتبي: مَنْ يَرْجَى عَنْده الرجوع عن الذنب والإساءة. والعتاب الذي عوتب به رسولُ الله ﷺ في القرآن الكريم يدل دلالة قاطعة - من ضمن الدلائل الأخرى - على أن هذا الكتاب العظيم من عند الله سبحانه وتعالى - لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد - وإلا فكيف يعاتب رسولُ الله ﷺ إذا كان القرآن - كما يدعي السفهاء - من عند رسول الله؟!.

والعتاب أسلوب من أساليب التربية فيه:

- ١ - إظهار عدم الرضا من تصرف، كان غيره أولى أن يُتصرّف به.
 - ٢ - فيه مسحة كبيرة من حب واحترام صادرة ممن عاتب.
 - ٣ - فيه استمرار للعلاقة بين مَنْ عاتب ومن عوتب.
 - ٤ - فيه رغبة في تصحيح الخطأ دون جرح مشاعر المعاتب.
- وسأقدم إن شاء الله صوراً من عتاب الله تعالى نبيه الكريم ﷺ ثم صوراً من عتاب الله سبحانه المؤمنين الصالحين:

١ - فقد قال الله سبحانه وتعالى معاتباً نبيه متلطفاً في عتابه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ ٤٣ لَا

يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَوَاتٌ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾^(١).

ففي غزوة تبوك استثقل المنافقون الخروج مع رسول الله ﷺ لبعده الشقة، فقال أناس منهم: استأذنوا رسول الله ﷺ فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا.. فقد كانوا مصرّين على القعود عن الغزو، وإن لم يؤذن لهم... وقدم الله تعالى العفو على العتاب إكراماً لرسول الله ﷺ قائلاً: عفا الله عنك، ثم قال: هلا تركتهم حتى يظهر لك الصادق منهم في عذره من الكاذب المنافق، ولم أذنت لهؤلاء المنافقين في التخلف عن الخروج لمجرد الاعتذار؟ ثم أكد الله سبحانه وتعالى أن الذي يستأذن كراهية الجهاد في سبيل الله ليس مؤمناً بالله واليوم الآخر، فالمؤمن يجود بالنفس والنفس في سبيل الله، مخلص في إيمانه متقٍ للرحمن.

- ويقول الله سبحانه وتعالى في قصة أسرى بدر حين اختلفت آراء المسلمين في مصيرهم، فقال بعضهم نقتلهم، وكان منهم الفاروق عمر - رضي الله عنه - حتى يعلم المشركون أن لا هودة مع الكافرين الذين يحادون الله ورسوله، وقال بعض المسلمين - ومنهم الصديق رضي الله عنه - بل نبقي عليهم فيفتدون أنفسهم، ولعل الله يهديهم إلى الدين القويم، ويخرج من أصلابهم من يجاهد في سبيل الله.

وكان الرسول الكريم الرحيم بالناس مع الفريق الثاني، ثم نزلت الآيات تعاتب الرسول ﷺ لإبقائه على الأسرى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتُخَذَ فِي الْأَرْضِ تَرْبُودٌ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾^(٢) فلا ينبغي للنبي أن يأخذ الفداء من الأسرى إلا بعد أن يكسر القتل في المشركين، ويبلغ فيهم، فالفداء حطام الدنيا الزائل، والله يريد لنا العز

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٣ - ٤٥.

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧، ٦٨.

الباقى، ثواب الآخرة. ولولا أن الله تعالى كتب على نفسه أن لا يأخذ المجتهد فى خطئه لمسّ المسلمين عذاب أليم.

وروى أن هذه الآية لما نزلت قال الرسول ﷺ: «لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر».

ويقول الله تعالى مؤكداً ما سبق المعنى نفسه فى سورة القتال: ﴿إِذَا لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَصْرَبَ الرَّقَابَ حَقَّ إِذَا أَتَخَسَّوْهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَقَّ تَضَعُ الْحَرْبُ أَرْزَاقَهَا...﴾ (١).

- جاء عبد الله بن أم مكتوم إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، ورسول الله ﷺ مشغول مع جماعة من كبراء قريش يدعوهم إلى الإسلام، فعبس رسول الله ﷺ وجهه وأعرض عنه فنزل القرآن الكريم بالعتاب: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْكَى (٣) أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الْذِكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَى (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) ...﴾ (٢).

وجاء الحديث بلغة الغائب تلطفاً برسول الله ﷺ لأن الأعمى - ابن أم مكتوم - حين جاءه وهو يحاور المشركين كره الرسول مجيئه حتى لا يقطع حديثاً كان يظن أن المشركين - من ورائه - يمكن أن يؤمنوا.

وابن أم مكتوم كان يريد أن يتعلم، ويتطهر من ذنوبه بما يتلقاه من موعظة الرسول الكريم. ولعله يريد أن يتعظ بما يسمع فكان الأولى أن يلتفت النبى ﷺ إليه ويهتم به، أما الكفار فهؤلاء لا يريدون الإيمان والتطهر من دنس الكفر والعصيان، وليس الرسول ﷺ مطالباً بهدايتهم إنما عليه البلاغ فقط.

٢ - وفى حديث الإفك يعاتب الله سبحانه وتعالى المؤمنين، حين سمعوا هذا الافتراء على الصديقة عائشة زوجة رسول الله ﷺ فلم ينفوا هذه

(١) سورة محمد (القتال)، الآية: ٤.

(٢) سورة عبس، الآيات: ١ - ١١.

التهمة - وكان أولى بهم أن يظنوا الخير فيها - وهي المرأة الحصان الطاهرة زوجة نبيهم، وهلاً قاسوا الأمر عليهم؟ فهل يفعل الرجل المسلم ما ظنوه في أخيهام صفوان بن المعطل؟! وهل تفعل المرأة المسلمة ما ظنوه في أمهم عائشة؟!.

والله تعالى أمرهم أن لا ينشروا أمثال هذه الافتراءات، بل عليهم أن يسألوا المفتريين الطاعنين عن أربعة شهداء، يشهدون أنهم رأوا رأي العين ما افتروه على السيدة عائشة، وإلا فهم كاذبون، والله تعالى يشهد على كذبهم، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١٢) ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ (١٣) (١).

وأترك للأخ القارئ أن يعود إلى الآيات التي تلي الآيتين السابقتين، ليرى ذلك العتاب الذي ساقه الله تعالى مرشداً وهادياً المسلمين أن لا يتأثروا بالشائعات، وأن يتحكموا بعاطفتهم وأن يحكموا عقولهم قبل أن يُصدروا آرائهم وينغمسوا فيما أَرَادَهُ المنافقون لهم من سوء.

- كان الرسول ﷺ قائماً على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت غير من الشام بطعام قدم بها «دحية الكلبي» وكان أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاءٌ سِغَر - وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سروراً بها - فلما دخلت العير كذلك انفضَّ أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله قائماً على المنبر، لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً، فنزلت الآية تدل على أن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة، فليطلبوا الرزق من الله وليبتغوا مرضاته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١ - ﴿إِذَا تُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩)

(١) سورة النور، الآيتان: ١٢، ١٣.

٢ - فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

٣ - وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا

٤ - قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجَزَاءِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿١١﴾ (١).

فكانت هذه الآيات عتاباً مرشداً، وتأنياً خفيفاً مناسباً، يعلم المسلمين ملازمة الخير الأبدي والفضل الدائم.

- نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى... لما تطاول عليهم الزمن بدلوا كتاب الله الذي بين أيديهم، ونبذوه وراء ظهورهم واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، فعاتبهم قائلاً: أما حان للمؤمنين أن ترق قلوبهم وتلين لمواعظ الله، ولما نزل به الكتاب من الآيات الواضحة؟... ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١١) (٢).

فقال المؤمنون الصادقون: «لقد آن لنا يا رب لقد آن».

والعتاب من المحب للمحبيب يفتح القلوب للخير، والأفئدة للعواب والعقول للحق، دون استشارة أو حنق.



(١) سورة الجمعة، الآيات: ٩ - ١١.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.

عدم التدخل فيما لا يعني

ما أبلغ قول: «رحم الله امرأ عرف حدّه، فوقف عنده».

هذا دعاء لإنسان حفظ نفسه، وجودّه وغييته، وامتنع عن الخوض في أمر لا يخصه، فاستراح من تجريح الناس وانتقاداتهم، سلبية كانت أم إيجابية، ولم يترك لهم مجالاً ينفذون منه إليه. وقد قيل قديماً: (من تدخل فيما لا يعنيه وجد ما لا يرضيه).

ولكننا هنا - أيضاً - نلفت النظر إلى آداب إسلامية، وقيم إيمانية هي:

- ١ - أن يفكر الإنسان في ما حوله، ويتدبّر ما يراه دون أن يقحم نفسه في أمور لم تطلب منه، ولا تعود بالنفع على مجتمعه.

- ٢ - أن ينأى بنفسه عن المواقف المحرجة، فإن كان لا بد فاعلاً كأن يناط به مهمة ما، فليتدخل بمقدار ما تسمح له الحاجة، على أن يتسلح بالأسباب، ويقدم الأعذار التي توضح موقفه.

- ٣ - أن يوطن نفسه على ردود فعل قد تناله بما لا يسره، فيتحمّلها بصبر ويستوعبها بحكمة، ويمتصّها بوعى، ثم يوجهها الوجهة المناسبة، أو يتغاضى عنها كأن لم تكن، فهو إذ ذاك يمتلك الموقف مبرئاً نفسه أو موضحاً موقفه.

وباب هذا الأسلوب القرآني التعليمي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) (١)،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ فَتَنُوكُمْ وَإِنْ قَسَّوْا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ﴾^(١) فكل شيء يأتي في الوقت المناسب للأمر المناسب.

ولا ينبغي أن نفرض رأينا فيما لا نعرفه فهؤلاء المشركون استنكروا أن يكون سيدنا محمد ﷺ رسولاً واقترحوا أحد هذين الرجلين «الوليد بن المغيرة» في مكة، أو «عروة بن مسعود الثقفي» في الطائف رسولاً إليهم من ربهم فهما من كبار عظماء مكة والطائف، ومحمد ﷺ فقير يتيم، ظناً منهم أن العظيم ذو الجاه والمال، وفاتهم أن العظيم عند الله له مقاييس العظمة التي تؤهله لرضى الله سبحانه وتعالى من سمو الروح، وعظمة النفس، وامتلاك نواصي الخير، وليس لأحد أن يقترح الرجل الذي يريد: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٢) أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ

مَنْ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلَخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ^(٣) ﴿٣٢﴾^(٢).

وليس لأحد حتى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يزيد فيما كلف به أو يتقول ما لم يؤمر به ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾^(٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْآيَاتِ الْآتِينَ^(٥) ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٍ^(٦) ﴿٤٧﴾^(٣).

ولم يدع الرسول ﷺ أنه يفعل ما يشاء، أو يعلم الغيب فله حدود لا يتخطاها ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾^(٤)، ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٦) ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ^(٧) ﴿٧٠﴾^(٥).

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

(٥) سورة ص، الآيتان: ٦٩، ٧٠.

ولما كذبوا بما جاء به الرسول ﷺ أوعدهم العذاب، فتحدّوه قائلين قل لربك يرسل علينا عذابه، فكان جواب القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَبِيرُ الْفَصِيلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَّوْ أَن عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفَقَضَى الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ (١).

فليس لرسول الله ﷺ أن يحاسبهم، أو يستعجل لهم العذاب، أو ينأى عنهم ويهجرهم، فهو مرسل يفعل ما يؤمر، وينفذ أوامر ربه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (٣)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ (٤).

وما دور الرسول ﷺ إلا الإنذار فهو مرسل فقط لا يستطيع أن يفرض على الناس الإيمان، فهو هبة من الله سبحانه وتعالى للناس، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (٥)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَن أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ (٦)، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُكِيلٍ ﴿٢٣﴾﴾ (٧)، وقال: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ (٨).

وحين رأى المشركون أن أصحاب رسول الله ﷺ الذين آمنوا به، من ضعفاء مكة وعبيدها قالوا له: اطردهم من مجلسك لأنّيتك، فنحن لا نجلس

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٥٧، ٥٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٩.

(٥) سورة الغاشية، الآيات: ٢١، ٢٢.

(٦) سورة الجن، الآيات: ٢١، ٢٢.

(٧) سورة الشورى، الآية: ٦.

(٨) سورة فاطر، الآية: ٢٣.

مع هؤلاء!! فما كان من القرآن الكريم إلا أن أعلن عكس ما يريدون فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَقَةِ وَالْمَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

أ - مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

ب - وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ

ج - فَتَقْرَأُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾^(١).

بل إنه سبحانه عظم هؤلاء المؤمنين وأمر رسوله الكريم أن يتبسط لهم، ويكرمهم فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَاثِثَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ...﴾^(٢).

وأمر الله رسوله - وهو قدوتنا وعلينا أن نفعل مثلما يفعل لنكون قريبين منه - أن لا ينظر إلى متاع الدنيا وأن لا يتمناه فهو فتنة فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ زُخْرًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٣) ﴿١١٣﴾.

وهؤلاء الناس تجادلوا في عدد أهل الكهف، وما يجدي معرفة عددهم؟ وهل ترفع هذه المعرفة صاحبها؟ لا... ما هو إلا مرآة لا غنى فيه ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُتُبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُتُبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كُتُبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤) ﴿٢٢﴾.

ولعل من الإعظام لرسول الله ﷺ، أن ننوّه إلى أنه عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على إيمان الجميع، خوفاً عليهم من نار جهنم وراغباً أن يكونوا من أهل الجنة فهو رؤوف بالمسلمين، رحيم بهم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَجِيمٌ﴾^(٥) ﴿١٧٨﴾.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣١.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

فتراه يهتم إن رآهم معرضين، حزناً كاسف البال، فينبهه الله سبحانه بلطف إلى أنه لن يؤمن إلا القليل، فلا يهلك نفسه حزناً عليهم، ولا يتحسر عليهم ﴿فَلَمَّا لَكَ بِنَجِّ نَفْسِكَ عَلَىٰ عَائِدِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١)، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ (٢).



(١) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٨.

الكتمان والسرية

يقولون: إذا شاع السر بين اثنين فقد فشا.

ويقولون: إذا لم تستطع حفظ سرك في صدرك، فلا تلومن على بثه أحداً.

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان».

ولحفظ السر فوائد عديدة منها:

- ١ - أن عدوك لا يعرف ما نويته وخططت له، فهو منك دائماً على حذر.
 - ٢ - أن أمرك يظل في يديك ما دمت تحفظ سرك فإن ذاع انكشفت.
 - ٣ - أن أصدقاءك يأتمنونك على أسرارهم فأت ثقة عندهم.
- وفي القرآن الكريم عدة مواضع فيها أمر بالكتمان ليظل الموقف سليماً مستوراً.

فقد رأى يوسف في المنام رؤيا قصّها على أبيه يعقوب.. فما هي؟
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١)، فعلم الأب أن يوسف سيكون نبياً، يبلغه الله مبلغ الحكمة، ويجعله ممن اصطفاهم، ويعلمه تفسير الأحلام، وأن إخوته حين

(١) سورة يوسف، الآية: ٤.

يعلمون أنه سيكون نبياً من دونهم سيحتالون لإهلاكه حسداً وغيرةً منه فـ ﴿قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيُكَيِّدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (١) ﴿٥﴾

وقد دعت امرأه العزيز وراودته عن نفسه فأبى، فحاولت أن تكيد له فادعت أنه هو الذي راودها، فبرأه من كيدها أن قميصه قد من دبر، وأن واحداً من أهلها شهد ببراءته، وأن النساء قطعن أيديهن دهشة لجماله، وما عذَن يصبرن عن لقاءه، فقال العزيز: نسجنه كتماناً للقصة أن تشيع في العامة ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا آلَآيَاتِ لِيَسْجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢) ﴿٣٥﴾

وتمر الأيام وتنقضي السنون، ويصير يوسف عليه السلام الوزير المؤتمن على خزائن الأرض، ويأتيه الناس من أصقاع الأرض للميرة، ومن بينهم إخوته أولاد أبيه الذين أرادوا إهلاكه، فأكرمهم، لكنه أخبرهم أنه لن يميرهم في المرة القادمة إلا ومعهم أخوهم بنيامين، وهو أخوه الشقيق، واستعجالاً لعودتهم جعل ثمن البضاعة داخلها، وكأنه نسيها معهم فاضطروا للعودة ومعهم بنيامين بعد أن أخذ منهم أبوهم العهد أن يحافظوا عليه فلا يغدروا به... ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِمَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُعِيرِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ (٣) ﴿٧٠﴾ فاستكتمه، ذلك أنه أراد أن يعلم إخوته أنهم أخطأوا في حقه.

وقد أحسن يوسف إذ وصى أخاه أن يكتم سرهما، فما علموا أن أخاهم سرق حتى افتروا على يوسف قائلين: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ (٤) فهل أظهر يوسف لهم حقيقة يوبخهم ويعريهم بكذبهم هذا؟ لا فما تزال القصة في أولها ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (٥)

(١) سورة يوسف، الآية: ٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٠.

(٤) مكرر سورة يوسف، الآية: ٧٧.

(٥) مكرر سورة يوسف، الآية: ٧٧.

وهذا يدل على فكر سديد وحكمة بالغة وصبر على المكاره.

- وهؤلاء أصحاب الكهف الذين فروا بدينهم إلى الله ينامون فيه ثلاث مئة وتسع سنوات، وحين يأذن الله بيقظتهم يشعرون بالجوع ويقول بعضهم لبعض: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١).

إذاً فللسرية والكتمان:

١ - يرسلون واحداً فقط لشراء الطعام.

٢ - ويتلطف في دخول المدينة.

٣ - ويتصرف بهدوء وحكمة حتى لا يتعرف عليه أحد.

وهكذا نجدهم حذرين، راغبين أن لا يعرفهم أحد فيوصل ذلك إلى الملك الكافر المتجبر.

- وحين وُلِدَ موسى خافت عليه أمه أن يقتله فرعون فأوحى الله تعالى إليها أن ترضعه وتلقيه في اليم، وهو سبحانه المتكفل بإرجاعه إليها. فلما وقع بيد فرعون كاد يقتله لولا أن زوجة فرعون أحبته، ورجته أن يكون قرّة عين لها، وسمعت أم موسى بوصول الوليد إلى قصر فرعون، فجزعت خوفاً وشفقة على ابنها وكادت تبوح بأنها أمه، لكنّ الله تعالى ثبّتها وألهمها الصبر، وهذا نوع من أنواع الكتمان وحفظ السر ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وتتبعه أخته على الشاطئ الآخر، تقص أثره مستخفية، فرأته اتجه إلى قصر فرعون، وعرضت على موسى المراضع فأباهن فلما خرج الخدم يبحثون عن مريض له خارج القصر دلّتهم أخته على أمه، فجاءت، فلما وجد ريح أمه أقبل على ثديها فقال فرعون: مَنْ أَنْتِ فَقَدْ أَبَيْ كُلُّ ثَدْيٍ إِلَّا

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٠.

ثديك؟ فكتمت سرّها وقالت: إني امرأة طيّبة الريح، طيّبة اللبن، لا أكاد أوتئى بصبي إلا قبلني. فدفعه إليها، فرجعت إلى بيتها ومعها ابنها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

- أما المنافقون في المدينة فقد كان رسول الله ﷺ وحده يعرفهم بأعيانهم، أما بقية الصحابة والمسلمين فكانوا يشعرون بهم غير متأكدين منهم، يشعرون بهم من تصرفاتهم المريبة ونشرهم للأراجيف، والأكاذيب لبلبله الأفكار، وخلخلة الصفوف، ونشر أخبار السوء، وينضم إلى هؤلاء المنافقين ضعاف الإيمان، أصحاب الفجور.

فهل يترك هؤلاء يعيشون فساداً في مدينة الرسول الكريم ﷺ؟ لا... فقد هدّدهم الله بكشف خباياهم وفضحهم على الملأ ثم إخراجهم من المدينة، وقتالهم لأنهم يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر... لم يفضحهم الله عزّ وجلّ بل كتم حالتهم عساهم يؤمنون... والله بعباده رحيم ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢).

والكتمان يدل على الإرادة الحازمة لصاحبه، والقدرة على تحمل المسؤولية، ومن ثمّ التصرف السليم في الأحوال العادية والعصية.



(١) سورة القصص، الآية: ١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

المعاملة بالمثل

لن تكون ظالماً إذا عاملت المسيء بمثل ما عاملك به من سوء، بل تكون عادلاً ﴿فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعِدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾^(١).

فإذا ما كلت له الصاع صاعين دونما حاجة إلى ذلك كنت ظالماً، أما إذا نويت أن تردعه عن غيّه وفساده، وزجره عن إساءته فلا بأس في ذلك.

أما إذا أحسن إليك أحدهم فرددت عليه إحسانه دونما زيادة كنت عادلاً كذلك، فإن زدته في الخير وأكرمته كنت محسناً.. والإسلام يحثنا على ذلك ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(٢)، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٣).

والقرآن الكريم مليء بكثير من هذه الآيات التي تدعو الإنسان أن يتفكر ويتدبر، فلا يقدم على الإساءة إلى نفسه والآخرين كيلا يرى جزاء وفاقاً لما قدّمت يده، وليقدم على الإيمان وفعل الخير والإحسان لينال الفضل والرضوان.

قال تعالى: ﴿وَمَا نَقْمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ نَّجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٥) ﴿٣٨﴾ فإن كسبت خيراً

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٥) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

لَقِيتَ خَيْرًا وَإِنْ كَسَبْتَ شَرًّا لَقِيتَ شَرًّا، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١).

وتأمل هاتين الآيتين الكريمتين، تصف الأولى المنافقين والمنافقات ونسيانهم الحق، وتصف الثانية المؤمنين والمؤمنات وعملهم الذي يثابون عليه:

١ - ﴿الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ

أ - يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ

ب - وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ

ج - وَيَقِضُونَ أَيْدِيَهُمْ

د - نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ

هـ - إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ (٢).

إذا نسي المنافقون الله فنسيهم...

ووعدهم النار ولعنهم فهم مقيمون فيها خالدين.

٢ - ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

أ - يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

ب - وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

ج - وَيُسِمُونَ الصَّلَاةَ

د - وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

هـ - وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٧.

فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٦﴾ (١).

إذا فالمؤمنون أولياء الله سبحانه يطيعونه وهو سبحانه سيرحمهم...
ووعدهم الجنات الرائعة والمسكن الطيبة بالإضافة إلى ما هو أكبر من ذلك.. رضوان الله سبحانه. وهل هناك أعظم من هذا الفوز؟ لا والله، فلكل جزاؤه حسب عمله...

وهاتان الآيتان صريحتان في مبدأ المعاملة بالمثل. قال تعالى:
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٧٦) (٢) فلماذا؟.. لأن الله تعالى العادل الذي لا
يظلم أحداً قرّر، وأمره نافذ:

أ - ﴿أَلَا نُنْزِلُ الْوَيْزُونَ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ (٣٨)

ب - وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾

ج - وَأَن سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾

د - ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَىٰ ﴿٤١﴾ (٣).

واليك الأمثلة ترى:

قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَّكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
شَفَعَةً سَيِّئَةً يَّكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾ (٨٥) (٤).

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَسْمَرْنَا بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا
مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ (٥).

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة النجم، الآيات: ٣٨ - ٤١.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٥.

(٥) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠، ١١.

إِنَّ الَّذِينَ يَمْكُرُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَيَكْذِبُونَ دِينَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
سَبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ عِقَابُهُمْ شَدِيداً، بَلْ قَدْ يَكُونُ مُتَنَوِّعاً عَلَى قَدَرِ سُوءِ أَعْمَالِهِمْ
سِوَاءَ سِوَاءٍ.

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ

أ - أَنْ يَخِيفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ

ب - أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

ج - أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾

د - أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾^(١).

وهذا ذو القرنين حين خيره الله سبحانه وتعالى تعذيب من قاتله أو
الإحسان إليهم سار على القاعدة نفسها:

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٤٧﴾

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا ﴿٤٨﴾﴾^(٢).

فهناك إذا إكرامان: في الدنيا القول الحسن وما يناسب، وفي الآخرة
الجنة والحسنى. وعذابان: في الدنيا عذاب بيد المؤمنين، وفي الآخرة
عذاب الله تعالى.

- ماذا حلَّ بمن خالف نبيَّ الله صالحاً عليه السلام، فكفر به، وقتل
الناقة، وتآمر على قتل النبي نفسه وأهله.. إنه الجزاء من جنس العمل:

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ الرَّحْلِ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾

قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ

(١) سورة النحل، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

وَأَنَا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾
فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾

وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾ ﴿١﴾

فقد أصر هؤلاء المجرمون على:

أ - قتل النبي وآله.

ب - وإنكار فعلتهم الشنيعة.

فماذا كان من أمرهم؟ ... هم يدبرون والله تعالى يدبر وينفذ ويحمي
رسوله الكريم صالحاً وأهله المؤمنين.

أرسل على ثمود صيحة قوية دمرتهم جميعاً، وما تزال بيوتهم خاوية
تشهد على ظلمهم أنفسهم، وعلى قدرة الله فيما يريد.. ولا راداً لقضائه.
ويقول سبحانه:

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا

وَهُمْ مِنْ فِرْعَ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ

هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُتِبَتْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴿٢﴾

فصاحب الحسنة:

١ - يأخذ أفضل مما عمل.

(١) سورة النمل، الآيات: ٤٨ - ٥٣.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٨٩، ٩٠.

٢ - لا يخاف العذاب يوم الآخرة حين يخاف الناس .

وصاحب السيئة :

١ - يلقي في النار على وجهه خائباً خاسراً .

٢ - يوبخ على سيئته ويقرع عليها .

وقال تعالى :

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾

وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ (١)

وقال سبحانه :

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ (٢) فهو الغفور الرحيم .

- وحادثة الإفك مشهورة تولى كبرها المنافق عبد الله بن أبي بن سلول الأب ، كبير المنافقين ، حين قال كلمته الفاسقة عن زوجة رسول الله ﷺ ، تلك الزوجة الطاهرة الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - وعن الصحابي الفاضل صفوان بن المعطل ، وكل من خاض في هذه الحادثة له نصيب مما فعل . . وقد كانت درساً كبيراً تعلم فيه المسلمون أن يعتقدوا الخير في الرسول وآله ، والخير في المسلمين عامة وأن يمحصوا كل ما يسمعون قبل إذاعته . . ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسِبُهُمْ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرِ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (٣)

أما اليهود أخزاهم الله تعالى فقد أكرمهم الله عز وجل ، فأرسل إليهم

(١) سورة الجاثية ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة النور ، الآية : ١١ .

سيدنا موسى عليه السلام وأخرجهم من الذل الذي كانوا فيه عند الفراعنة في مصر، وهياً لهم دخول القدس، وبذل لهم من نعمائه الشيء الكثير فما كانوا ليؤمنوا، فعاقبهم بما يستحقون.

وعودة إلى سورة الأعراف الآيات [١٦٠ - ١٦٥] تجد هذه النعم الكريمة الوافرة التي وهبهم الله تعالى إياها، فما رعوها حق رعايتها فعاقبهم بما يستحقون ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١).

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾^(٢).

﴿...كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٣)، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْبَنَّا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٤).

وأخيراً يأمرنا الله تعالى إذا عاقبنا أن يكون العقاب مساوياً للجريمة، وينبهننا إلى أن العفو خير وأجدى، ولأن الله سبحانه يجزي الصابرين الأجر الجزيل، ويعوض العافين الخير الوفير.

أ - ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾

ب - وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾

ج - وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ

د - وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٦٧﴾

هـ - إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٦٨﴾^(٥).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة النحل، الآيات: ١٢٦ - ١٢٨.

فالعفو عند المقدرة شيء رائع فهو:

- ١ - استعلاء على تفاهات الحياة.
 - ٢ - تعظيم للمسلم في أعين الناس.
 - ٣ - دفع للآخرين أن يكونوا مثله ويتبعوه.
- ولكن لا تثريب عليك أن تعامل الآخرين بالمثل.



الترغيب والترهيب

القرآن الكريم كتاب ربنا سبحانه وتعالى إلينا، يهدينا بما فيه من حقٍ ووضوح إلى صراط الله المستقيم، ويفتح لنا بفضلله وكرمه آفاق الحياة على نهج مضيء، وسبيل واضح.

في الإنسان بذرة خير إن تعهدها بالعناية والرعاية زكت ونمت، فأضفت على صاحبها من حوله الأمن والأمان والسعادة والهناء.

وفيه بذرة شر إن أهملها، ولم يلق إليها بالاً، زاحمت بذرة الخير ودافعتها، فإذا ساعدتها نوازع فاسدة، كامنة في حنايا الإنسان اشتدت واستفحلت، وبدأ خطرهما على صاحبها ومن حوله، فدبت الفوضى وضربت أطناها في المجتمع.

ومن طبع الإنسان أن يعمل الخير، لأن الله تعالى فطره على الهدى والصلاح، ودله على طريقه.

ومن طبعه أن يقع في الخطأ والتفلة والتهاون، لأن الله تعالى خلقه من عجل، وخلقه ضعيفاً يصيب الذنوب والآثام.

لذلك كانت الجنة للتائبين العائدين إلى ربهم، والنار للعاصيين المتكبين سبيل الهدى والرشاد.

ونرى القرآن العظيم يستعمل أسلوب الترغيب والترهيب بمقدار ما يقوم سلوك الإنسان، فيمضي به إلى ما يرضي الله تعالى، حتى إذا لقيه أجزل له الثواب، ونجّاه من العقاب.

وليس في القرآن - على الأغلب الأعم - آية ترغيب إلا تبعها ما فيه تهريب، وما من آية فيها تهريب إلا تبعها ما فيه ترغيب.

فالترغيب والتهريب متلازمان، والحكمة في ذلك:

١ - التذكير الدائم بالثواب والعقاب ليظل الإنسان حريصاً على نيل المثوبة والبعد عن العقوبة.

٢ - أن مَنْ لا يؤثر فيه الترغيب واثوابه، يؤثر فيه التهريب وعقابه.

وإني لأعجب ممن يدعون الباع الطويل في التربية، والخبرة المديدة في مضمارها أنهم يرفضون التهريب أسلوباً للتربية، ويكتفون بالترغيب زاعمين أن الخوف من العقاب يجعل صاحبه يلتزم ما يؤمر به، وينتهي عما نهى عنه بالإكراه، فإذا زال سبب الخوف تصلّف وعاد سيرته الأولى، فهم - لذلك - يدأبون على نوع واحد من التربية هو الترغيب، ويقولون إن التهريب يخلق جيلاً جبناً معقداً... والردّ عليهم بسيط لأنه جواب الفطرة:

أولاً: إن الله تعالى أعلم بالإنسان وما يقوّمه، فهو الذي خلقه فقّده، يعلم ما يصلحه، والقرآن الكريم الذي أنزله مَنْ يعلم السرّ وأخفى مليءً بالترغيب والتهريب.

ثانياً: التربية غير محددة بزمان ولا مكان حتى نقول: إذا زال الخوف تفلّت وعاد سيرته الأولى!، ولا نقول كذلك: إذا زال الترغيب تفلّت وعاد سيرته الأولى، فهما مستمرّان إلى آخر يوم من حياة الإنسان.

كما أن الترغيب والتهريب لا ينبغي أن يكونا طارئين على حياة الإنسان، إنما يجب أن يكونا من مكوّنات نفسه يصحّبانه في حياته، ويكونان دافعاً ذاتياً إلى الخير، وكابحاً ضميراً عن الشرّ.

ثالثاً: إن الواقع ليكذب ادعاءاتهم، فالخوافز ذات تأثير كبير في بذل الجهد للوصول إلى الهدف.

لكنّ الخوف من الوقوع في المحظور أكبر تأثيراً، فقد تجد أناساً يبذلون الجهد، ويسعون بخطا حثيثة للوصول إلى الأحسن، لكنك ترى عامّة

الناس يبذلون الجهد ويثابرون على أمرٍ ما خوف الانتكاسة والعودة إلى الوراء، والسقوط فيما يحذرونه ويتجنبونه.

فالترهيب كالترغيب تأثيراً، والقرآن الكريم يتناولهما بمقدار يناسب المطلوب، لأنهما كجرعة الدواء، ينفع إن استعمل بحكمة، ويضر إن زاد عن الحد.

- فمن الأمثلة عليهما، قوله تعالى مخاطباً الكفار الزاعمين أن القرآن مفترى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا

أ - فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ

ب - وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

ج - فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (١)

فهم لا يستطيعون إيجاد سورة واحدة تشابه سور القرآن الكريم، ولو استعانوا بكل المخلوقات إنسهم وجنهم. ولما كانوا - هكذا - عاجزين فليعلموا أن القرآن منزل من رب العالمين، أما جزاء الكافرين فنار الله التي تأكل الحجارة لقوتها وشدتها، فضلاً عن المجرمين الكافرين، الذين عصوا الله ورسوله. ونعوذ بالله من عصيانه، نشهد أنه الملك الجبار، الواحد الأحد، الفرد الصمد... إنها كلمات تهز أرباب النهي وأصحاب العقول.

فإذا ما أحسَّ الإنسان تلك الرعدة في قلبه جسمه، وعلم أنه عاجز ضعيف التجأ إلى القوي العزيز فسمعه يقول:

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

أ - أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

ب - كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ

ج - وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَبِهًا

د - وَلَهُمْ فِيهَا أَنْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

هـ - وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ (١)

فالآية فيها بشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات.

وهذه البشرى جنات، وليست جنة واحدة، فيها الماء الكثير الزلال، ثمارها تشبه في الصورة ثمار الدنيا، ولكن طعمها ولذتها لا يعدلها شيء. لهم في هذه الجنات نساء طاهرات زاكيات، لسن كنساء الدنيا المرهقات بمطالبهن، الكثيرات في إيدائهن.

وليس في الجنة موت، بل نعيم خالد، وحياة رغيدة تدوم أبد الأبد، وتزداد خيراً وفضلاً. . . نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

فحين تعتور الإنسان هزة الخوف، ويرتعد من عذاب الله إن كفر وضل يجد السكينة والأمان، في الإيمان بالله، والعمل على مرضاته.

ترغيب وترهيب يصوغان فكر الإنسان، ويدفعانه للصواب والرشاد.

- وتأمل معي التمازج الرائع بين الترغيب والترهيب في هذه الآيات الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَعْضٌ مِمَّا كَسَبَ بَعْضٌ مِمَّا كَسَبَ﴾

وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾

وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ (٢)

فالجملة الأولى تحذير، الثانية ترغيب والثالثة تحذير والرابعة ترغيب.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

تتابع الجمل محذرة ومرغبة، فتندمج الرغبة والرغبة في نفس المتلقي لتكون في ذبذباتها الصاعدة الهابطة انفعالاً في النفس المؤمنة، فيتولد الحذر من سوء العاقبة، والأمل في مآل طيب حميد.

- وقارن معي هاتين الآيتين في الوعد والجزاء: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٩)

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ (١)

أ - فالذين آمنوا يقابلهم الذين كفروا.

ب - والذين عملوا الصالحات يقابلهم الذين كذبوا بآياتنا.

ج - والذين نالوا المغفرة والأجر العظيم يقابلهم أصحاب الجحيم.

فاختر لنفسك ما يناسبك أيها الإنسان.

- وانظر معي إلى هذا البيان الإلهي الدوي: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩٨) (٢).

هل جاءكم هذا البيان؟ وهل سمعتم الأذان؟

إما عقاب ما حق ما بين نار ودخان

أو رحمة لمن أطاع الله في روض الجنان (٣)

- ومن الأمثلة في الترغيب والترهيب قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ

أ - فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ

ب - وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا

ج - وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٤٤) (٤).

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٩، ١٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٨.

(٣) الأبيات للمؤلف.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.

والبصيرة هنا القلب المستنير والعقل المدرك تأتيه الآيات البيّنات من ربه فَمَنْ آمَنَ بِهَا وعَمِلَ بِتَعَالِيمِهَا أَفَادَ نَفْسَهُ وَنَجَا، وَمَنْ ضَلَّ عَنْهَا وَأَنْكَرَهَا خَابَ وَخَسِرَ... وما على الرسول ﷺ إلاّ البلاغ.

- ونجد في المعنى نفسه قول الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ

أ - فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾

ب - وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ (١)

وهل أشدّ خسارة من أن يخسر الإنسان نفسه في جهنم خالداً فيها...!!؟.

- وتعال معي أيها الإنسان - إن كنت لبيباً - إلى هذه الصورة ذات الشقين المختلفين:

الصورة الأولى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ فَجَازَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُرْسِلُوا فِيهَا كُنُفَرًا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (٢)

هذه صورة النعيم للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله، فما صورة الكافرين!!؟.

الصورة الثانية: ﴿وَأَدْنَىٰ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (٣)

فمن صدّ عن سبيل الله لعنه الله، ومن لعنه الله كان من الخاسرين...

- ومن الأمثلة الشديدة الوضوح قوله تعالى:

أ - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ وَزِيَادَةٌ

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٤٤، ٤٥.

ب - وَلَا يَرَهُمْ قَرَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ

ج - أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

أ - وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سِنْفَةٍ يَبْنُلُهَا

ب - وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا

ج - أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ (١)

فمن أي الفريقين أنت أيها القارئ الذكي!!؟

- والأشقياء مأواهم النار لهم من شدة كربهم زفير لا يخرج من نفوسهم إلا بشدة، وشهيق لا يدخل نفوسهم إلا بشدة، وقال بعض المفسرين: إن صراخ الكافرين في جهنم وأصواتهم صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق - والعياذ بالله - قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦٦﴾﴾

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ

إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦٧﴾ (٢)

والسعداء - جعلنا الله منهم - خالدون في جنة يأخذون ما آتاهم ربهم من فضل وعطاء يتزايدان . . وعطاء الله لأوليائه يستمر أبد الآبدين .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوفٍ ﴿١٦٨﴾﴾ (٣)

- وفي سورة الرعد مقدمة فيها ترهيب وترغيب ثم ذكر أسباب دخول الجنة، ثم بيان لعذاب أهل النار مما يجعل أهل الأبواب يسارعون إلى

(١) سورة يونس، الآيات: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة هود، الآيات: ١٠٦، ١٠٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٨.

مرضاة الله . . ولكن إذا ضيع الناس عقولهم ما يصنعون؟ إنهم يقتدون بكل شيء دون فائدة.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ﴾

لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ

﴿١٨﴾

أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾

﴿٢٠﴾

أ - الَّذِينَ يُؤْتُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ

ب - وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

ج - وَيَحْشُونَ رَبَّهُمْ

﴿٢١﴾

د - وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ

ه - وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ

و - وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

ز - وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

ح - وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْبَسِيطَةَ

﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

الدَّارِ ﴿٢٤﴾ (١)

أ - ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾

ب - وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ

ج - وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ (٢)

(١) سورة الرعد، الآيات: ١٨ - ٢٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

فلينظر أحدنا أي الصفات تنطبق عليه؟ وليعمل لما ينجيه من عذاب الله .

- ونسمع هنا صوت المولى عز وجل - نسمعه بأسماع القلوب الحساسة والأفئدة الصافية - يطلب إلى رسوله الكريم ﷺ أن يخبر عباده بقدرته على العفو والمغفرة - لمن آمن واتقى - والعذاب والويل لمن كفر وطغى: ﴿تَوَقَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩)

وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ (١):

جملتان قصيرتان في اللفظ مليتان في المعنى..

يا رب فاغفر ذنبنا	أنت الكريم الغافر
وارحم إلهي ضعفنا	أنت الرحيم الساتر
واهْدِ القلوب الحائرا	ت فأنت هادٍ قادر
واكتب لنا الجنات فضـ	لا إن فضلك وافر
واغفر بحق المصطفى	ذنبى فضعفي ظاهر ^(٢)

- يا أيها الإنسان إن كنت تريد الدنيا فقط ربما أعطيناك وربما منعناك، وكنت من أهل النار تصلاها خاسئاً خائباً، وإن كنت إنما تريد الآخرة وتعمل لها بقلب مؤمن شكرنا لك همتك، وأوصلناك إلى ما تريد ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨)

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ (٣):

- وهذه صورة أخرى توضح خاتمة كل من الفريقين.

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) الآيات للمؤلف.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٨، ١٩.

(فاختر لنفسك يا إنسان ما نفعاً).

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾

فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

وَأَن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ

بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ

يُحَلَّونَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ

وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ

نِعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ (١)

- وافتح أيها الأخ الكريم شاشة العرض، علك ترى فترعوي، فليس راء كمن سمعا، وتدبر فانت في دار الاختيار، فاختر ما ينفعك في آخرتك، وتعرف على أحوال الكافرين، وخذ العبرة منهم، والتصق بالمؤمنين الأتقياء عسى الله أن يلحقك بركبهم فتكون من المقبولين:

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمُ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَعَلْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾

وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي

وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ

(١) سورة الكهف، الآيات: ٢٩ - ٣١.

إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾

الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ.

فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾

ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ ﴿١﴾ ﴿٢﴾.

- وعاین آیها الأخ الحبيب مآل من کذب بالیوم الآخر - والعیاذ بالله.

أ - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾

ب - وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

ج - إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

د - وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَبَقًا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

ه - لَا تَدْعُوا أَلِیَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴿٣﴾ فهم حين أنكروا يوم البعث والنشور لم يعملوا له وأهملوه فكانت النتيجة:

أ - أن جهنم صارت لهم مآلاً.

ب - يسمعون غضبها وغلجانها من بعد بعيد وهي تراهم وتتشوق إليهم وتنتظر الأمر بالتقاطهم.

ج - يدخلونها مصفدين، أيديهم إلى أعناقهم.

د - يلقون فيها في مكان ضيق يختنقهم.

(١) لا يبغيون عنها حولاً: ماكون فيها أبداً لا يخافون خروجاً عنها ولا تحويلاً.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٩٩ - ١٠٨.

(٣) سورة الفرقان، الآيات: ١١ - ١٤.

هـ - يدعون على أنفسهم بالموت والهلاك دون فائدة.

و - يسخر منهم الزبانية قائلين: ادعوا على أنفسكم كثيراً.

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءُ وَمَصِيرًا﴾ (١٥) ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾ (١٦) ﴿١﴾

فالمؤمنون نجوا من مصير الكفار المرعب، وربحوا الجنة وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فكانوا أهلها ينالون كل ما يتمنون، فالله تعالى وعد المؤمنين بها، وكان حقاً عليه ما وعدهم إياه سبحانه وتعالى.

اللهم اجعلنا من أهل خاصتك في الجنة يا رب العالمين.

- وفي سورة السجدة وصف للمؤمنين يؤهلهم لجنات الله ورضوانه عسانا نكون منهم ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِتَابِعِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا

أ - خَرُّوا سُجَّدًا

ب - وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

ج - وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥)

د - نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ

هـ - يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا

و - وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦)

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿٢﴾

وتعال إلى وصف أهل النار أعاذنا الله من مصيرهم ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٥ - ١٧.

أ - فَاكْشُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

ب - رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ .

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ (١) .

- ولفتة سريعة إلى صورة رائعة للمؤمنين في الجنة ﴿وُجُوهُ يُؤَيَّرُ نَاصِرُهُ﴾
﴿٢٢﴾ إِلَىٰ يَمِينَا نَاطِرُهُ﴾ ﴿٢٣﴾ (٢) .

- ولفتة سريعة أخرى إلى لوحة كئيبة مزرية للكافرين في النار ﴿وُجُوهُ
يُؤَيَّرُ بِالسِّيرَةِ﴾ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ﴿٢٥﴾ (٣) .

الأولى: صورة الأبرار من أهل السعادة، وجوههم مشرقة مضيئة من
أثر النعيم، تنظر إلى جلال ربها، وتهيم في جماله، وهذا أعظم نعيم لأهل
الجنة، رؤية المولى جلّ وعلا بلا حجاب.. اللهم اجعلنا منهم، فأنت ذو
الفضل والكرم والعطاء والمنن.

الثانية: صورة الكفرة ذوي الوجوه الكالحة العابسة، وجوه الأشقياء من
أهل الجحيم. يتوقعون أن تنزل بهم داهية عظمى، تكسر فقار ظهورهم..
نسأل المولى النجاة من هذا المصير المرعب.

وهكذا تتوالى آيات الترغيب والترهيب موضحةً نهاية كل من المؤمنين
الصادقين والكافرين الضالين. تنذر وتحذر، وتبشر وترغب.. أما أهل
البصائر ومن هداهم الله فإلى رحمة الله، وأما الآخرون ممن حقت عليهم
كلمة العذاب ففي خسران:

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٢ - ١٤.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة القيامة، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

يا رب إنني مؤمن أرجوك أن تغفر لي
أحب أن تعفو عن ما قد بدا من زللي
وحب طه واتباع الـ حق يحيي أُملي
إنني إليه أنتمي فهبني حسن العمل^(١)



(١) صور من تأذي الرسول في القرآن الكريم ص ٨٧.

المديح

تقول: مدحتُ فلاناً، إذا أثبتت عليه بما له من الصفات الحميدة.

والمديح:

- أ - تعبير عن الرضا بما يصدر من أعمال أو أقوال تسرُّ وتُحمد.
- ب - صفات محمودة للعاقلين الواعين ذوي الهمم العالية.
- ج - دفع يشجع الممدوح على التزام ما يرفعه في أعين الناس.
- د - يوحي للآخرين أن يكونوا مثل الممدوحين في هذه الصفات.

وقد مدح الله تعالى أنبياءه الكرام ذوي القدر العلي:

- أ - مدح رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا تَكُنْ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٣) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٤)﴾ (٢).

- ب - ومدح إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٥) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢٦) وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً (١٢٧) وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَإِلَافٍ (١٢٨)﴾ (٣).

- ج - ومدح نوحاً عليه السلام: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (١٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) سورة النجم، الآيات: ٣ - ٥.

(٣) سورة النحل، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ . وكذلك مدح إبراهيم وموسى وهارون وإلياس كمدحه نوحاً^(١).

- القرآن الكريم يسجل للمؤمنين صفات منحتهم رضا سبحانه وتعالى، وجعلتهم أهلاً لجنته ورضوانه.
والمنزلة الرفيعة منها:

- الصبر والتوكل على الله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٤٢﴾^(٢).

- التقوى والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ ﴿١٢٨﴾^(٣).

- التقرب إلى الله تعالى وإخلاص الدعاء له، ورجاء رحمته، وخوف عذابه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ﴿٤﴾^(٤).

- العبودية لله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ﴿٥﴾^(٥).

- السجود لله تعالى والبكاء من خشيته والخشوع له: ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلْذِّقَانِ يَتَكَوَّمُونَ وَيَرْيَدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١١٩﴾^(٦).

- الإيمان بالله، والهداية، توحيدهم لله: ﴿إِنَّهُمْ فَتَنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ﴿١٣﴾ ورَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ إِنَّهَا لَفَقَدَ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا^(٧) ﴿١٤﴾^(٧).

(١) سورة الصافات، الآيات: (٧٩ - ٨١)، (١٠٩ - ١١١)، (١٢٠ - ١٢٢)، (١٢٣) - (١٢٤).

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.

(٧) سورة الكهف، الآيتان: ١٣، ١٤.

- عَمَلُ الصَّالِحَاتِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣١) ﴿١﴾.

- أئمة للهدى، يفعلون الخيرات يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة:
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ...﴾ (٢) ﴿٢﴾.

- الحكمة والعلم: ﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (٣) ﴿٣﴾.

- كلامهم طيب، أهل الصراط والمستقيم: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ
الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ (٢٤) ﴿٤﴾.

- معرضون عن اللغو، حافظون لفروجهم، راعون للأمانة والعهد: ﴿قَدْ
أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) ﴿٥﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٢) ﴿٦﴾.
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٥) ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨) ﴿٧﴾.

- ذاكرون لله دائماً، مسبحون، خائفون من عذاب يوم القيامة: ﴿... فِي
يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) ﴿٨﴾.

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٤.

(٤) سورة الحج، الآية: ٢٤.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٣.

(٧) سورة المؤمنون، الآيات: ٥ - ٨.

(٨) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

- مشيهم هادىء ليس فيه تكبر فيهم حلم وسعة صدر، يقومون الليل، يتقون الله معتدلون في الإنفاق، يحفظون حرمان الله تعالى ولا يزنون:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣﴾

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٦

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧ ﴿١﴾

- يتوبون إلى الله، لا يشهدون الزور: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَبُذَّبُ إِلَى اللَّهِ مُتَابًا ٦٨﴾

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٦٩ ﴿٢﴾

- تصديق كلام الله: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ٧٠﴾ ﴿٣﴾

- البراءة من الجاهلين: ﴿... وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ٧١﴾ ﴿٤﴾

- الإيمان بيوم البعث: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٧٢﴾ ﴿٥﴾

(١) سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ - ٦٧.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ٥٣.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٣.

(٥) سورة الروم، الآية: ٥٦.

- تسبيح الله، التواضع، قيام الليل، دفع الصدقات: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (١).

- باعوا أنفسهم لله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (٢).

- أشداء على الكفار، رحماء بينهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٣).

واقرا معي هذه الصفات الرائعة من المديح: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصِدِّقِينَ وَالْمُتَصِدِّقَاتِ وَالصَّانِعِينَ وَالصَّانِعَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ (٤).



(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

الذمُّ

ذمُّ الرجل: عابه ولامه وأظهر معايبه ومثالبه.

والذمُّ:

أ - تعبير عن السخط وعدم الرضا.

ب - نوع من الهجاء لمن لا ترتضي منه تصرفات وأقوالاً مذمومة.

ج - إظهار المعاييب المنبوذة التي تسقط مروءة فاعلها كي:

١ - يتجنبه الناس.

٢ - يتجنب الناس الوقوع في مثلها.

والقرآن الكريم يسجل للكافرين والمشركين والمنافقين صفات سببت لهم غضب المولى سبحانه نعوذ بالله أن نفعلها أو نكون من أهلها.

منها:

- أنهم يزعمون لله سبحانه البنات، مع أنهم يكرهونهن ويئدوهن وأنهم أهل شهوات.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧)

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨)

يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ

أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴿١﴾

- أنهم أولياء الشيطان: ﴿ثَالِهٌ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَرَثَتُهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٢﴾

- يفترون الكذب، لا يؤمنون بآيات الله، ينسرح صدرهم للكفر، فضلوا الدنيا على الآخرة، طبع على قلوبهم، غافلون: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴿٣﴾

- ادعوا لله سبحانه الولد: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَلْشَقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ لِلْجَبَالِ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَلْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴿٤﴾

- طاغون: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٥﴾

- مترددون، يعبدون الأوثان، يجادلون من غير علم ولا هدى، متكبرون، يضلون الناس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِمْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِقُهُمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ

(١) سورة النحل، الآيات: ٥٧ - ٥٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ١٠٥ - ١٠٨.

(٤) سورة الكهف، الآيات: ٨٨ - ٩٣.

(٥) سورة طه، الآية: ٢٤.

(٦) سورة الحج، الآيات: ٨، ٩.

عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ
خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ (١)

يكذبون الرسول ﷺ ظالمون، يقولون الزور، يصفون القرآن
بالأساطير: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا
فَهِىَ ثَمَلٌ عَلَيْهِ بُكَرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ (٢)

يدعون أن الرسول ﷺ مسحور: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٣)

يستهزئون بالنبي ﷺ، لا يهتدون كالأنعام، لا يؤمنون بالبعث والنشور:
﴿وَلِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَخِذُّوكَ إِلَّا هُزُوعًا أَلَمْ يَكُنْ لَكَ بَعْدَ اللَّهِ رَسُولًا﴾ ﴿٤﴾
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٥﴾

أعداء الله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ
عَلَى رُيْءٍ ظَهِيرًا﴾ ﴿٥٥﴾ (٦)

فاسقون، يجعلون القرآن سحراً، والرسول ساحراً، جاحدون،
ظالمون، مستكبرون، مفسدون، يشكون بالآخرة، عميان عن الحقيقة:
﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ
﴿١٣﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأُتِفِقْتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

(١) سورة الحج، الآيات: ١١، ١٢.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٤، ٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٤١.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٥٥.

الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ (١).

﴿بَلْ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (١٦) (٢).

- يؤذون الله ورسوله، ويؤذون المسلمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (٥٨) (٣).

- يتبعون الشيطان: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ ظَنُّهُمْ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) (٤).

- يعرضون عن الحق، بخلاء: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤٧) (٥).

- يمارون في الساعة، ويستعجلونها: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ (٦).

- أفأكون آثمون، يصرون على الكفر والاستكبار، يصمون آذانهم عن الحق: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨) (٧).

- في قلوبهم مرض، قاطعون للرحم: ﴿...فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِّرَ فِيهَا أَلْقَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ

(١) سورة النمل، الآيات: ١٢ - ١٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٦٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٤) سورة سبأ، الآية: ٢٠.

(٥) سورة يس، الآيتان: ٤٦، ٤٧.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١٨.

(٧) سورة الجاثية، الآيتان: ٧، ٨.

عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ^(١) ﴿٢٣﴾ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْعَامَكُمْ ^(٢) ﴿٢٤﴾ .

- لا يتدبرون القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْرَ عَلَى قُلُوبِ أَفْأَلَهَا ^(٣) ﴿٢٤﴾﴾ .

- فيهم حمية الجاهلية: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حِمَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ^(٤) ﴿٢٥﴾﴾ .

- هم خراصون، ساهون: ﴿قِيلَ الْفَرَاصُونَ ^(٥) ﴿٢٦﴾﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ^(٥) ﴿٢٧﴾﴾ .

- مترفون، يصرون على الذنب العظيم «الشرك»: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ^(٦) ﴿٢٨﴾﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ^(٦) ﴿٢٩﴾﴾ .

- والمنافقون لا يعرفون الله، فهم يخافون المسلمين أكثر من خوفهم الله، يواخون الكفار: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ^(٧) ﴿٣٠﴾﴾ .

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ^(٨) ﴿٣١﴾﴾ .

- يمكرون بالمؤمنين: ﴿وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ^(٩) ﴿٣٢﴾﴾ .

- لا يصلون، يدفعون المساكين، يخوضون في الباطل: ﴿قَالُوا لَوْ نَكُنْ مِنْ

(١) سورة محمد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ١٠، ١١.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٧) سورة الحشر، الآية: ١١.

(٨) سورة الحشر، الآية: ١٣.

(٩) سورة نوح، الآية: ٢٢.

الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَهُمْ نِكَاحٌ مُّطَهَّرٌ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْضِيحُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤٥﴾
وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾^(١).

- يأكلون حقوق الناس: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾^(٢).

- يضحكون من المؤمنين، ويتغامزون بهم، ويسعدون لاستخفافهم بالمسلمين، ويصفونهم بالضلال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾^(٣).

- قال تعالى في حق أبي لهب وزوجته: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾^(٤).

وأخيراً اقرأ معي سورة القلم لترى عديداً من صفات الكفار، والعياذ بالله:
﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٨﴾

وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾

وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾

هَٰؤُلَاءِ مَشَّاءٌ مِّمَّيْمٍ ﴿١١﴾

مَنَاجٍ لِلْحَيِّرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ ﴿١٢﴾

عُتِّلَ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَيْمٍ ﴿١٣﴾

(١) سورة المدثر، الآيات: ٤٣ - ٤٦.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٣.

(٣) سورة المطففين، الآيات: ٢٩ - ٣٢.

(٤) سورة المسد.

أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾

إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ (١)

نسأل الله تعالى النجاة من النار، اللهم آمين.



(١) سورة القلم، الآيات: ٨ - ١٥.

السخرية

تقول سخر منه وبه: هزىء. والسخرية: الهزاء. ويكون الهزاء من الإنسان، وقوله، وعمله.

وهو من أساليب التربية التي أكثر منها القرآن.

فقد هزىء القرآن وسخر من المنافقين، والكافرين، والمشركين على أنواعهم لما يصدر عنهم من أحكام تسيطر عليها الأهواء، وأقوال تدل على الغفلة والضلالة، وأفعال تدمغهم بمعاداة الله ورسله وأتباعهم.

والسخرية فيها فوائد عدة منها: .

- ١ - دمع المستهزأ منهم بالفساد والضلال.
 - ٢ - كبح جماحهم وتقريعهم وتوبيخهم.
 - ٣ - فضحهم وبيان هوانهم وتعريتهم.
 - ٤ - تحذير المؤمنين أن يتصفوا بصفاتهم الذميمة.
 - ٥ - الرد على ادعاءاتهم وتخريصاتهم.
- وستحدث إن شاء الله تعالى في هذا الأسلوب في:

١ - السخرية اللفظية.

٢ - السخرية المعنوية.

١ - السخرية اللفظية:

استعمل القرآن الكريم كثيراً من الألفاظ في مجال السخرية، ليست أصلاً من ألفاظها ولعلها تكون ألفاظاً للمدح بدل الذم، منها:

أ - التذوق، والدوق: وهذه اللفظة تستعمل عادة للتلذذ بالأطياب من الطعام والشراب، والحياة الرغيدة المنعمة، وقد جاءت هنا للتبكي، والتوبيخ، والهزاء، والسخرية، أمثال ذلك:

- قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وَيَالِ أَمْرِهِمْ﴾^(١). فقد هُزِمَ بنو النضير «اليهود» بعد قليل من هزيمة مشركي مكة في غزوة بدر وأي طعام ذاقوه؟! فقد طردوا من ديارهم، وأخذت أموالهم وبساتينهم وديارهم غنيمة للمسلمين.

- وقوله تعالى في الكافرين الذين تشوى جلودهم، حتى تنضج كما ينضج اللحم المشوي، ففي الدنيا يتذوقون الطعام اللذيذ لهذا اللحم، وفي الآخرة يذوقون العذاب والعياذ بالله... قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾^(٢)، وقوله تعالى للمتعجرف في الدنيا حين يعذب في الآخرة: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٣) ﴿٤٩﴾.

- أما الذي يبخل في الدنيا فلا يتصدق أو يزكي أمواله، ويكنز الذهب والفضة والمال، ويتلذذ في تكديسه فيذوق العذاب كياً في جبهته، وجنبيه وظهره ويسمع التوبيخ من الملائكة هو وأمثاله من أهل الشح والبخل: ﴿هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٤).

- وترى هؤلاء المجرمين يُسحبون كما تسحب الكلاب إلى جهنم وينس المصير، لينالوا العذاب جزاء ما اقترفت أيديهم، والملائكة تسخر منهم

(١) سورة الحشر، الآية: ١٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

وتوبخهم: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مِن سَقَرٍ﴾ (٤٨) ﴿١٩﴾ (١).

والأمثلة على هذا وافرة وكلها تصب في هذا الباب.

ب - والهدى: عادة ما يأتي لفظها في الوصول إلى الحق والإيمان وسبل السعادة كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَتَدَّبَهُ﴾ (٢)، لكنها تأتي هنا بمعنى تدفعه وترديه، وأمثال ذلك:

- قوله تعالى في التحذير من الشيطان وموالاته، فهو يقود إلى عذاب النار: ﴿كَيْبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (٣).
- وقوله تعالى في المشركين الضالين حين تدفعهم الملائكة وتسوقهم إلى الناس وبشس القرار: ﴿فَأَقْذِبْهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَجِيمِ﴾ (٢٣) ﴿٤﴾.

ج - والبشرى: وتكون عادة لزف الخبر السعيد من ثواب جزيل ومغفرة من الله ورضوان كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١) ﴿٥﴾.

لكنها قد تأتي في القرآن الكريم بمعنى الإنذار والتوبيخ والتحقير..
أمثال ذلك:

- قوله تعالى يهدد الكافرين والمنافقين بالعذاب الشديد: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢) ﴿٦﴾.
﴿بَشِّرِ الْمُتَّقِينَ بِأَنَّهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) ﴿٧﴾.
﴿كَأَن لَّهُ يَسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٧) ﴿٨﴾.

(١) سورة القمر، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٣.

(٥) سورة يس، الآية: ١١.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٣٨.

(٨) سورة لقمان، الآية: ٧.

- أما الكافر الذي لا يحب سماع كلمة الحق، ويقتل من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر فله عذاب شديد أليم، قال تعالى: ﴿وَيُثْبِتُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) (١).
- ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) (٢).

والأمثلة في هذا الباب وافرة يمكن العودة إليها.

د - كيف: هذا اسم استفهام يحتاج إلى جواب كقولك: كيف أنت؟ والجواب: الحمد لله رب العالمين، ولكنه يستعمل للسخرية والتقرع في القرآن كثيراً.

- كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ (٣) ، وكقوله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ (٤).
- وقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ (٥٠) (٥).
- وقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٤) (٦).
- وقوله سبحانه: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٧) (٧).
- وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (٣٢) (٨).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٥٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٢٤.

(٧) سورة يونس، الآية: ٧٣.

(٨) سورة الرعد، الآية: ٣٢.

وقوله سبحانه: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ صَرُّوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨) (١).

وقوله تعالى في قوم عاد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَعَرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي (٢١) ﴿﴾ (٢).

والأمثلة على ذلك كثيرة.

٢ - السخرية المعنوية:

إن الكفار يسيئون لأنفسهم حين يكفرون، فحين يرسل المولى تعالى رسله إليهم فيكذبونهم يحق عليهم العذاب، فإذا أحسوا بالخطر وتيقنوا نزوله هربوا منهزمين، فتقول الملائكة لهم استهزاء لا تولوا هاربين من نزول العذاب، وعودوا إلى دياركم، وما كنتم فيه من النعمة والسرور، وهذا كله من باب السخرية والتوبيخ. قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١) فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ (١٣) قَالُوا يُبَوِّلْنَا إِنََّّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ (١٥) ﴿﴾ (٣).

- والمشركون كانوا يظنون أن الله ليس بناصر عبده محمداً عليه الصلاة والسلام، لكن الله يؤكد نصره له، وتأييده لحبيبه ورسوله الكريم، فإن كان هذا التأييد من الله لنبيه يغيظ المشرك والكافر فليغتظ، وليمدد بحبل إلى السقف، وليشتق نفسه، لعله يجد الشفاء لنفسه من غيظه - إنه تهكم شديد، وهزاء قوي من المشركين ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥) ﴿﴾ (٤).

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة القمر، الآيات: ١٩ - ٢١.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ١١ - ١٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ١٥.

- ويصف الله تعالى اليهود الذين أنزلت عليهم التوراة ليعملوا بها، فلم ينتفعوا بها ولم يطبقوها بالحمار الذي يحمل الكتب الضخمة النافعة ثم لا ينتفع بها. وهل هناك أشد سُخْرية من هذا؟ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥) ﴿١﴾.

- وقال اليهود: إنهم أحباب الله، فقال لهم الرسول الكريم امتثالاً لأمر الله إن كنتم صادقين فادعوا على أنفسكم لتنتقلوا سريعاً من دار الدنيا الفانية، إلى دار الكرامة والنعيم.. ولكنهم كذابون لا يتمنون الموت، لأنهم يعتقدون أنهم أعداء الله، ومصيرهم النار وبئس القرار، ولو كانوا أحباب الله لما عذبهم الله بذنوبهم ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعِمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦).

وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ...﴾ (٣).

- أما المنافقون فقولهم يخالف ما في قلوبهم، يكذبون، ولا يقولون حقيقة ما في نفوسهم، ويحلفون على الكذب، مخازيهم كثيرة، ورائحتهم زكمت النفوس، فحين يأتون رسول الله ﷺ يشهدون - كاذبين في شهادتهم - أن محمداً عليه الصلاة والسلام رسول الله.

والله سبحانه وتعالى يؤكد رسالة محمد عليه الصلاة والسلام، ويشهد أن المنافقين كاذبون في قولهم.

هؤلاء المنافقون يجعلون من الحلفان ستاراً لكفرهم، فيغتر بهم المؤمنون ويصدقونهم، ويعتقدون أنهم صاروا من المسلمين، وهم في

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٦، ٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٨.

الحقيقة وبال على الإسلام والمسلمين، وهذه الازدواجية تضر المسلمين.

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ (١).

هيئاتهم ومظاهرهم تعجب الناظر، فصاحتهم وذلاقة لسانهم تعجب السامع، لكنهم أشباح بلا أرواح، وهياكل دون مخابر، لا خير فيهم، فهم والخشب المسندة على الجدار سواء، جنباء خوارون تطيش عقولهم إن سمعوا صيحة الحرب، أو سمعوا نداء عادياً. هؤلاء هم الأعداء الحقيقيون فلا يجوز أن نغتر بهم، أخزاهم الله وأبعدهم عن رحمته. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسَخَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ أَفَى يَوْفُكُونَ ﴿١١٩﴾﴾ (٢).

- ومن السخرية الشديدة ما وصف الله به الكفار من أنهم:

١ - أهل الأهواء والضلالات.

٢ - هم مثل الأنعام السارحة بل أضل منها، لأن الأنعام والبهائم تهتدي لمراعياها وتنقاد لأربابها، وتعرف من يحسن إليها.

وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (٣).

- ولعل من السخرية الواضحة من المنافقين ذلك الضرب المهين،

(١) سورة المنافقون، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

فالقرآن يصور مهانة المنافقين حين تأتي الملائكة لتقبض أرواحهم، ومعهم مقامع من حديد، يضربون بها وجوههم وظهورهم، استهانة بهم واحتقاراً لشأنهم، لأنهم سلكوا طريق النفاق، وكرهوا ما يرضي الله تعالى فلم يقبل منهم ما عملوا من خير في حياتهم الدنيا، فالله تعالى لا يقبل من العمل الصالح إلا ما رافق الإيمان ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَ بَعْضُهُمْ وَأَذْنَ بَعْضُهُمْ﴾ (٧٧) ﴿يَأْتِيهِمْ أَتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ (٧٨) (١).

- ثم انظر معي إلى كلمة «نبذ» التي تفيد الطرح والإهمال في قوله تعالى يسخر من الغريق فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ وَجُودُهُ فَبَذَلَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٢). إنها نبذة لمن لا قيمة له ولا كرامة، نبذة الاحتقار والتهكم بمن قال أنا ربكم الأعلى، وتكبر على الناس وتجبر... نسأل الله العافية وحسن الختام.



(١) سورة محمد (ﷺ)، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٤٠.

التقريع والتوبيخ

فالتقريع: التعنيف. والتوبيخ: اللوم والتهديد والتعير.

وهذا الأسلوب دواء لمن أخطأ فأصرَّ على الخطأ، يستوي فيه من أخطأ في موقف، وأصرَّ عليه غير عارف بخطئه، ومن عرف أنه مخطئ فأصرَّ عليه معانداً، وإن كان الثاني أشدَّ زلة، إذاً فالتوبيخ والتقريع نتيجة لتكرار الخطأ دون الرغبة في تركه إلى الصحيح من القول والفعل.

وقد يكون هذا الأسلوب:

- ١ - للمصرِّين على مواقفهم فكرةً وعملاً - وأنت تعلم أنهم لا يراعون - لإقامة الحجة عليهم، كي لا يتصلوا فيما بعد من مواقفهم هذه.
- ٢ - لتتخذ العقوبة المناسبة في حقهم معتمداً على القاعدة التي تقول: (قد أعذر من أئذر) فيكون موقفهم في تذرعهم ضعيفاً.
- ٣ - لتنبه الآخرين أن لا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من الأخطاء والتصرفات الذميمة.

وهذا الأسلوب - عادة - يأتي بعد فضح المواقف التي اتسم بها من حاد عن الصواب، فاستحق العقاب. واستحق الوصف الذي لا يرضاه أولو الألباب.

ولا نقصد هنا بأسلوب التقريع والتوبيخ الأساليب البلاغية التي جاءت إنما نقصد إلى:

أ - التعجب مما صدر عنهم من تصرفات.

ب - إظهار التصرف الذي كان عليهم أن يلتزموه فخالفوه، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ أَفْلًا تَعْمَلُونَ ۚ﴾ (٤٤) (١).

فالتعجب من أمرهم للناس بالبر والنأي عنه، فحري بالعاقل أن يكون أول الناس في التزام ما يأمر به لأنه قدوة ولأنه يدل على صدقه فيما يدعو إليه وصواب ما يفعله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَهُسُّونَ لَنْ نَّصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَجِدٍ فَأَذْعُ لَنَا رَبُّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقُشَايَهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهِيطُوا مِضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضَرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْغَبَاةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا

أ - يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

ب - وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) (٢)
وقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

١ - وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لِمَا يَنْفَجِرُ مِنْهُ الْآنْهَارُ

٢ - وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ

٣ - وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَمْسِكُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) (٣).

وحين يظهرون الإيمان أمام المؤمنين خداعاً، ويتواصون سراً أن يخفوا صفات رسول الله ﷺ في التوراة، فلا يظهرونها للمسلمين كي لا تكون حجة للمسلمين عليهم - معشر اليهود - في عدم اتباعه ﷺ، يقول الله تعالى

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

كاشفاً سترهم موبخاً إياهم موضحاً حقيقة الأمر: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧) ﴿١﴾.

ومما استحق عليه اليهود التوبيخ والتعنيف، ما أخبرنا به الله تعالى في كتابه قائلًا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ

أ - لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ

ب - وَلَا تَخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤) ﴿٢﴾.

أ - تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ

ب - وَتَخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَبْلُغُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُمْ هُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا

أ - جَزَاءٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

ب - وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥) ﴿٣﴾.

ومن صفات اليهود الفاضحة التي استحقوا عليها التوبيخ:

أ - ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٨٧) ﴿٤﴾.

ب - ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) ﴿٥﴾.

ج - ﴿... فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩) ﴿٦﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٨٤، ٨٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

وحين دُعُوا إلى الإيمان بالرسول الكريم ﷺ ادَّعَوْا أنهم يؤمنون فقط بما أنزل عليهم في التوراة، ويؤمنون برسولهم فقط، وهم كاذبون في دعواهم، لأنهم كانوا يقتلون أنبياءهم، ولو كانوا يؤمنون بهم وبرسالاتهم ما قتلوهم، فيقول سبحانه موبخاً: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩١) ١٩ (١).

وانظر معي إلى هذا النداء التوبيخي الفاضح، وهذا الاستفهام الدامغ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٧٥) ١١٩ (٢).

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسِنُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٧٦) ١٩ (٣).

وتأمل معي تفجير الموقف التوبيخي، والأسباب التي سبقته فأدت إليه.

قال تعالى:

أ - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلَى اللَّهُ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُمْسِكُونَ فَتِيلًا﴾ (٤٩).

ب - انْظُرْ كَيْفَ يَقَعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (٥٠).

ج - أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ

١ - بِالْحَبِيبِ

٢ - وَالطَّاغُوتِ

٣ - وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا (٥١) ١١٩

أُولَئِكَ الَّذِينَ - لعنهم الله - وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) (٤).

والمنافقون قال الله تعالى فيهم: ﴿فَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٤) انظر: سورة النساء، الآيات: ٤٩ - ٥٢.

حَدِيثًا؟^(١) أتدري لماذا؟ إنهم ادعوا أن اتباعهم لرسول الله ﷺ أصابهم بالبلاء والجهد، مع أن الله سبحانه وتعالى جعل الحسنه والسيئة والنعمة والنقمة كلها من عند الله ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾^(١).

واقراً معي هذه الصفات الخسيسة التي اتسم بها اليهود:

﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾

لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ

مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ

وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَكَّعُوا لِلْكَذِبِ سَكَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ

لَمْ يَأْتَوْكَ^(٢) يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ

يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا^(٣)

﴿سَكَّعُوا لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسَّخَةِ^(٤)﴾^(٥).

فهذه الصفات جعلتهم أهل فتنة، قلوبهم فاسدة، لهم خزي في الدنيا، وعذاب في الآخرة.

أما المنافقون الذين يسرعون إلى مرضاة اليهود والنصارى - وما أكثرهم هذه الأيام - فقد جعلوا أنفسهم منهم إذ جعلوهم أولياء لهم، فهؤلاء إذا نفوسهم مريضة، ضالون، ظالمون، سيندمون حيث لا ينفع الندم ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨ مكررة.

(٢) يقبلون كلام من لا يحضر مجلسك تكبراً وعناداً وإفراطاً في العداوة والبغضاء - يهود خير - إن أمركم محمد (ﷺ) بالجلد فاقبلوا.

(٣) إن أمركم بالرجم فلا تقبلوا.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٥) السحت: الحرام من الرشوة والربا، وما شابه ذلك.

تَحَقَّقْ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَمَعَى اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُوا عَلَى مَا
أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَذِيبِك (٥٢) ﴿١﴾.

وهؤلاء الكفار من اليهود والنصارى يدعون أن الله ولدأ، فيهددهم
سبحانه، ويصفهم بالكذب: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى
الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ (٢) قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَونَ (٣)﴾.

والعبودية اتباع وتنفيذ ورضا، فالرهبان والأخبار يحرفون الكلم من بعد
مواضعه وأتباعهم ينفذون ما خططوه لهم ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا
مِنْ دُونِ اللَّهِ (٤)﴾.

وهم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورُهُ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)﴾ (٥).

والله سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الَّذِينَ كُلِّهِمْ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾ (٦). فأشار الله سبحانه إلى الكفار
من أهل الكتاب المناوئين لدينه موبخاً واصفاً إياهم بالشرك والكفر.

وتدبر معي هذا التوبيخ الشديد لمن نكث عهده فبخل وفسد وأعرض
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)
فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧)﴾ (٧).

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥١، ٥٢.

(٢) يضاهئون: يشابهون ويمثلون.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٧) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ - ٧٧.

ويسخر المنافقون من صدقة قليلة دفعها رجل مؤمن فقير فيسخر الله منهم ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٩) (١).

وهؤلاء لا يغفر الله لهم أبداً أبداً ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٢) لماذا؟! ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ (١).

روعة في نفي المغفرة لهؤلاء مع بيان سبب شدة النفي، وتهديد لمن تحدثه نفسه أن يكون مثلهم.

ولما فرح المخلفون عن غزوة تبوك وقالوا لا تنفروا في الحر بين الله تعالى لهم أن نار جهنم أشد حراً لكنهم لا يفقهون ثم وبخهم وقرعهم بقوة قائلاً: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) (٣).

ونرى هنا توبيخاً لمن يذكر الله في الشدة وينساه في الرخاء بل ينكر فضله متناسياً ما كان، قال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَسَّمُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢) (٤).

أما فرعون المتأله المستكبر الذي سام بني إسرائيل سوء العذاب فإنه حين يغرقه الله وتغرغر روحه يقول: إنه أسلم لله.. فكيف كان التوبيخ والتقريع؟ قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَاقًّا إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩٥) (٥).

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٠ مكررة.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٠.

اعترف بإله بني إسرائيل وأنكر ألوهية نفسه التي أضل بها قومه ورعيته، وأقر أنه واحد من المسلمين لا يزيد عنهم ولا ينقص... وليته قالها قبل هذه اللحظة، فلن ينفعه هذا الإيمان الذي جاء متأخراً:

أ - ﴿الْقَنَ ۙ ۱۱۹﴾^(١)

ب - وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ؟

ج - وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾

فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدَيَّكَ لِيَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةٌ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾^(٢)

وكفار مكة لم يقدروا فضل الله عليهم إذ جعل حياتهم فيها آمنة رغداً تحترمهم القبائل، وتؤم بيتهم الحرام وتحرس قوافلهم وجعل لهم رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، فجعلوا له شركاء، وضلوا عن سبيله... ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَمْعَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٧٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنُسْكَ الْقَرَارُ ﴿٧٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٨٠﴾﴾^(٣)

ولم أر توبيخاً أشد من توبيخ من جعل لله سبحانه ولداً، اقرأ معي هذه الجمل التي تعصف بالقلوب، وتزلزل البنيان من القواعد، غضباً ممن اعتدى على كمال الله وجلاله، ووحداية الله في ألوهيته:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾

أ - لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾^(٤)

ب - تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩٠﴾

(١) الآن: أتوب في وقت لا تقبل فيه التوبة.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٩١، ٩٢.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٨ - ٣٠.

(٤) إذا: منكراً فظيحاً.

ج - أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾

د - وَمَا يَلْبِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

هـ - إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

ز - لَقَدْ أَخَصَّكُمْ وَعَدَّكُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

ح - وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ (١).

وتدبر معي التصخر من الإشراك على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام،
وممن يتخذون من دون الله آلهة: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)!!؟ (٢).
حقاً إنهم لا يعقلون.

لقد اعترفوا حين تحدثت الفطرة بأن هذه الآلهة المزعومة لا تعقل،
ولا تنطق فهم حين عبدوها كانوا أقلّ منها عقلاً، فكيف يعبد الإنسان شيئاً
صنعه بيده!!؟ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُكُمْ هَذَا فَتَلَّوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾
(٦٣) ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ (٣).

ويكون التوبيخ على أشده حين يفتری مَنْ يفتری دون برهان، ولا
دليل ولا مزعة من ظنّ مقبول، فهم حين يجعلون ملائكة الرحمن إناثاً
يسألهم الله موبخاً: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ شَهِدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩) (٤).

وحين ادّعوا أن الله تعالى أمرهم أن يعبدوا ملائكته - وحاشاه سبحانه -
أن يأمرهم بذلك أقام عليهم الحجة ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ﴾ (٢١) (٥).

(١) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٦٣ - ٦٥.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

وحين سمّوا أصنامهم بما يحلو لهم وقالوا هي بنات الله سخر - سبحانه - منهم ووبخهم قائلاً:

﴿الْكُفْرُ وَالْأَنفِ﴾ (٢١)

تِلْكَ إِذْ قَسَمْتُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمُ شَيْئًا مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ

إِن يَبْغُوا إِلَّا الْفَلْنَ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴿٢٢﴾ (١)

وفي سورة الرحمن توبيخ يقرع أسماع أعداء الله، يستمر من أول السورة إلى آخرها قرعاً مدوياً بترتيب متلاحق يخلع الأفتدة إحدى وثلاثين مرة: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ آءِ زَيْكًا مِّنْكَ ذَكِّبًا﴾ (١٣) ... إنه تعنيف شديد وتهديد رهيب ولوم ما بعده لوم.

ولاحظ التوبيخ التصويري في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبِمَا كُفِّرْنَا عَنْهُمُ الْهُدَى﴾ (٢)

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ (٣)

أَيُّطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾

عَلَىٰ أَن تُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ (٤)

فهؤلاء الكفار يتجمعون حول رسول الله ﷺ جماعات متفرقة، يصيخون إليه مائلين رؤوسهم متعجبين مما يقول، هؤلاء يجيبهم الله تعالى باستفهام إنكاري فيه تقريع وتوبيخ، فلا يطمع أحدهم أن يدخله الله جنات النعيم بعد أن كذب خاتم المرسلين، ثم يردعهم بقوله سبحانه ﴿كَلَّا﴾،

(١) سورة النجم، الآيات: ٢١ - ٢٣.

(٢) مهطعين: مسرعين مادي أعناقهم.

(٣) عِزِينَ: جماعات متفرقين.

(٤) سورة المعارج، الآيات: ٣٦ - ٤١.

ليس الأمر كما يطمعون. لقد خلقهم الله من الأشياء المستقذرة، من نطفة ثم من علقه، ثم من مضغة، فمن أين يتشرفون بدخول جنات النعيم على شركهم وكفرهم؟!!

وفي أول سورة المطففين توبيخ لمن يأخذ أكثر مما يستحق، ويعطي أقل مما يجب أن يعطيه، وهذه دونية الفساد ما بعدها دونية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾

الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ ﴿١﴾

والقرآن بأسلوبه العجيب يعطي هؤلاء المعاندين المستكبرين ما يستحقونه من تحقير يناسب نفوسهم وجبَلَّتْهُمْ الفاسدة، نسأل الله العفو والعافية.



(١) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٧.

فضح المواقف

الأعداء نوعان:

الأول: صريح العداء كاليهود والكفار والنصارى.

والثاني: عدو باطني لكنه أشد إيذاءً، وهم المنافقون.

وقد تجد من العدو الصريح قدراً من التزام الحدود لأنه مكشوف تحذر منه، لكنه لا يفوت فرصة تجعله ينال منك ويحاول جهده - إن كان ضعيفاً - إظهار اللباقة والموضوعية في صراعه معك، وإن أحسن من نفسه القوة لم يرع لك عهداً ولا ذمة.. ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾^(١).

أما العدو الباطني فإنه يظهر لك الودَّ والحبَّ ويختلط بك، ويشاركك كثيراً من عبادتك وأفكارك، ويتعرف على أسرارك ودخائلك ويختلق الأعذار في التخلي عنك، ويخدلك في الوقت المناسب، ويذيع أسرارك، ويوصلها للآخرين.

فهو جرائم تفتك بجسمك، والانتصار عليه أو التخلص منه يحتاج إلى أضعاف كثيرة من الجهد الذي تبذله للعدو الظاهر..

والقرآن الكريم علمنا كيف يكون الدفاع الحقيقي عن حياض المجتمع الإسلامي، إنه الهجوم.. فالهجوم أفضل وسيلة للدفاع.

ومن سبل الهجوم فضح مواقف الأعداء.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠.

وقد يكون كشف عوراتهم قبل أن يقوموا بعمل عدائي وذلك:

١ - لتحذير المسلمين منهم .

٢ - لإخافة الأعداء حين يعرفون أن تصرفاتهم وأقوالهم مكشوفة .

وقد يكون ذلك بعد قيامهم بعمل عدائي قولاً وتصرفاً وذلك:

١ - لعزلهم عن المجتمع الإسلامي فيمايزهم ويفاصلهم .

٢ - حتى لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

وقد عرَى القرآن الكريم مواقف «اليهود، والمنافقين والكفار، والنصارى» ونذكر أمثلة مناسبة لكل فئة منهم:

اليهود: فهم يحاولون تشكيك المسلمين بالرسول والرسالة بأسلوب خبيث، ويوصى بعضهم بعضاً بالحدز من المسلمين، وأكل أموالهم دون وازع من دين، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ الظَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرُهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُعَاجِلْكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾^(١).

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٥﴾﴾^(٢).

كما أن اليهود يحرفون كتبهم عن قصد. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٨﴾﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٧٢، ٧٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

واليهود إضافة إلى أنهم يحرفون كلام الله، فيحذفون، ويزيدون، يجهرون بالعصيان، ويدعون على النبي ﷺ ويشتمونه ويطعنون في الإسلام فهم ملعونون إلا من آمن منهم واتقى، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾

وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِالْسِينَةِ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّمْ يَكْفُرْهُمْ اللَّهُ يَكْفُرْهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ (١).

واليهود يهزأون بالإسلام وشعائره ويقلدون المسلمين في صلاتهم، عابثين ساخرين ولا غرو فهم أبناء القردة والخنازير. أهل غدر وعدوان يأكلون المال الخبيث، ولا يعرفون الحلال من الحرام كما أن أحبارهم ورهبانهم مثلهم لا يعرفون الله حقاً. قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (٢).

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦١﴾﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (٤).

بل إن فجورهم وكفرهم وصل بهم إلى الاستكبار ومسّ الذات الإلهية، حين افتروا عليه - سبحانه - فعاقبهم أن عادي بعضهم بعضاً وأبغضهم الناس جميعاً لفسادهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾

(١) سورة النساء، الآية: ٤٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ
وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا
وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَّةَ وَالْبَعْضَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ
كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ (١).

أما قصتهم مع نبي الله موسى عليه السلام، فسورة الأعراف تسجيل دقيق لخبثهم وفسادهم. فهم بعد أن نجاهم الله من فرعون ورأوا قومًا يعكفون على أصنام لهم قالوا فوراً: ﴿أَجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (٢).

وصنعوا عجلاً من حليّ نسائهم يعبدونه ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (١٦) (٣).

وحين أمروا بدخول القدس أباح الله تعالى لهم كل ثمارها، يأكلون ما شاءوا، ومتى شاءوا، وأمرهم نبيهم أن يقولوا: يا الله حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا. فبدلوا ذلك، ودخلوا يزحفون على أستاههم بدل السجود لله، والخشوع له وبدلوا من حطة إلى حنطة استهزاء وسخرية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَقَرْنَا لَكُمْ خُطَيْتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٦) فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً من السكّاء بما كانوا يظلمون ﴿١٧﴾ (٤). وكان الرجز الطاعون الذي أباد منهم عشرات الآلاف جزاءً وفاقاً.

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٢.

وقصتهم في اصطيادهم السمك يوم السبت، وقد نهاهم الله عن ذلك اختباراً لهم معروفة، فلما احتالوا ورموا شباكهم في ذلك اليوم عاقبهم الله، فجعلهم قردة خاسئين.. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (١٦٦) ﴿١﴾.

وحين رفض هؤلاء اليهود الامتثال لأمر الله وتطبيق شريعته، اقتلع الله جبل الطور ورفع فوق رؤوسهم يهددهم بإسقاطه عليهم فامتلأوا مكرهين لا قانعين، شأنهم في كل الأمكنة والعصور.. قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَقَّضْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَانُمْ ظِلُّهُ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٧) ﴿٢﴾.

هذا غيظ من فيض يدل على قبح مواقف اليهود وعتوهم وكفرهم، ليكون المسلمون على دراية بهم وبفسادهم، فيظلوا منهم على حذر.

الكفار: هؤلاء الذين آذوا رسول الله ﷺ وأصحابه البررة الكرام لم يألوا جهداً في تجيش الجيوش وبذل المال لمحاربة الرسول الكريم وإطفاء دين الله في الجزيرة، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد فأبطل مكرهم وجعل ما صرفوه حسرة في قلوبهم، ثم مصيرهم إلى النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ (٣٦) ﴿٣﴾.

أما الأصنام التي يعبدونها من دون الله فلن تنفعهم، ضلّ سعيهم في الدنيا، ويوم القيامة لهم النار بسبب كفرهم، واستهزائهم بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُوْنِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١٧٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٦.



وزن ۱۰۰



﴿وَقَالُوا﴾ :

أ - قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ

ب - وَفِي ءَاذَانِنَا وَقُرْ

ج - وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠٢ - ١٠٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٥.

(٣) سورة لقمان، الآيتان: ٦، ٧.

د - فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ ﴿٥﴾ (١)

إنه إصرار عجيب على الكفر والعناد.

وفي سورة نوح نلاحظ ما يلي: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (٢)، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا فِيْٓ إِذْ أُنذِرُهُمْ وَأَسْتَغْثُوا بِآبَائِهِمْ وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (٣)،

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمْ

أ - عَصَوْنِي

ب - وَأَتَّبَعُوا مِنْ لَّدُنْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَأْنٌ مِنَ الْخَسَارِ

ج - وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٣﴾

د - وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

هـ - وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا... ﴿٤﴾

المنافقون: يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلى رسول الله ﷺ، ولكنهم يتحاكمون إلى غير شرع الله، مما يدل على فسادهم وكفرهم.

قال تعالى يفضحهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

أ - يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ

ب - وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ

ج - وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ (٥)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ

(١) سورة فصلت، الآية: ٥.

(٢) سورة نوح، الآية: ٦.

(٣) سورة نوح، الآية: ٧.

(٤) سورة نوح، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٠.

يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ (١).

﴿فَكَيفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢). أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

أ - فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

ب - وَعَظِّمُهُم

ج - وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ (٢).

والمنافقون حين ارتدوا إلى الكفر بعد إسلامهم ضلوا وتاهوا، وتمنوا
لو عاد إلى الكفر كل المسلمين حتى يكونوا مثلهم، فهؤلاء لا حرمة لهم
عند المسلمين ولا كرامة.

قال تعالى يوضح موقفهم: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي النَّفِيقِينَ فَتَنَيْنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا
كَسَبُوا أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا
(٨٨)، وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى
يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا

أ - فَخَذُّوهُمْ

ب - وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ

ج - وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ (٣).

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ
أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَغْرُلُوكُمْ ويُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ

أ - فَخَذُّوهُمْ

ب - وَأَقْبَلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ

(١) سورة النساء، الآية: ٦١.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

ج - وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٤٧﴾

ويوضح الله مواقف المنافقين الذين يدعون الإيمان بالله وبالرسول ولا يتحاكمون إليه فيشتع عليهم، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

أ - وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾

ب - وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾

١ - أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ۖ ۝١١٩

٢ - أَرَأَيْتُمْ ۖ ۝١١٩

٣ - أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۖ ۝١١٩

٤ - بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ (١)

ومن صفات المنافقين الكذب والتعلل بغير الحقيقة هرباً من القتال، لأنهم يظنون أن المسلمين إن قاتلوا هربوا أو قتلوا، هكذا ظنهم السوء، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١١) بَلْ طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَغْلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَطَنَنْتُمْ ظَنُّكَ السُّوءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ (٢)

وقد وعد الله سبحانه المسلمين في صلح الحديبية أن غنائم خيبر لمن حضر هذا الصلح، فمنع رسول الله ﷺ المنافقين أن يذهبوا معهم إلى حرب خيبر، فأظهروا الغيرة والحسد، وألصقوهما بالمسلمين كذباً وافتراء، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُوا بِهَا ذُرُوءًا تَتَّبِعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ

(١) سورة النور، الآيات: ٤٧ - ٥٠.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ١١، ١٢.

بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴿١﴾.

ويعرّي الله سبحانه كذبهم حين يدعون أنهم يؤمنون بالإسلام،
ويشهدون للرسول بالنبوة ﴿١٥﴾ إذا جاءك الْمُنَافِقُونَ

قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١٦﴾

أَخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾.

والسورة كلها تسلط الضوء على مخازيهم، قال تعالى:

١ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ
وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾.

٢ - سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾.

٣ - هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾.

٤ - يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴿٣﴾.

وفي سورة التوبة تحليل دقيق للمنافقين، وكشف لدخائلهم وسرائرهم
التي يحاولون إخفاءها، ولكثرة الآيات في ذلك أذكر بعض المواقف، وأحيل
إلى مكانها في سياق الآيات:

(١) سورة الفتح، الآية: ١٥.

(٢) سورة المنافقون، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة المنافقون، الآيات: ٥ - ٨.

- يحلفون بالله كذبا أنهم لا يستطيعون الخروج ، ولو استطاعوا ما قَصَرُوا ،
والحقيقة أنهم رأوا تبوك بعيدة فاستنكفوا عن مصاحبة رسول الله ﷺ^(١) .
- لا يكون التردد والبقاء في المدينة إلا عن كفر بالله واليوم الآخر ،
والبخل بالمال والنفس^(٢) .
- ولو خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ والمسلمين إلى تبوك لبذروا
الفتنة في الناس ، وأسرعوا فيهم إلى الغيبة ، والنميمة ، وحاولوا إلقاء
العداوة بينهم ، وفي المسلمين بعض ضعفاء الإيمان قد يستمعون
إليهم ، فقد فعلوا ذلك في غزوة أحد وغزوة بني المصطلق^(٣) .
- بعضهم ادّعى أنه لا يصبر على الزنا إن رأى نساء بني الأصفر ،
فاستأذن^(٤) .
- يفرحون لمصاب المسلمين ويحزنون إن انتصروا ، ويتدبرون بهم
الدوائر^(٥) .
- ينفقون كارهين للمراعاة فقط ، لذلك لا يقبل الله تعالى نفقاتهم ، لأنها
غير خالصة لله ، ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى^(٦) .
- يتجنبون القتال جبناً وخوفاً ، وألسنتهم سليطة ، تقف حين يأخذون من
الصدقات ، ويلمزون الرسول ﷺ إن منعهم^(٧) .
- يعيبون الرسول ﷺ ويقولون ما لا يليق بجنابه^(٨) .

(١) انظر : سورة التوبة ، الآية : ٤٢ .

(٢) انظر : سورة التوبة ، الآية : ٤٥ .

(٣) انظر : سورة التوبة ، الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) انظر : سورة التوبة ، الآية : ٤٩ .

(٥) انظر : سورة التوبة ، الآيات : ٥٠ - ٥٢ .

(٦) انظر : سورة التوبة ، الآيتان : ٥٣ ، ٥٤ .

(٧) انظر : سورة التوبة ، الآيتان : ٥٧ ، ٥٨ .

(٨) انظر : سورة التوبة ، الآية : ٦١ .

- يخافون المسلمين، ولا يخافون الله، فهم لا يعرفون الله^(١).
- يحذرون أن ينزل الله آيات تفضحهم، وتعريهم، ويتحدثون بما لا يليق في حق الإسلام العظيم، بحجة أنهم يلعبون ويلهون^(٢).
- المنافقون والمنافقات يأمرن بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون فتقصر أيديهم عن فعل الخيرات. نسوا الله فلم يحسبوا حسابهم، وهؤلاء هم الفاسقون أهل النار فيها مع الكفار في لعنة دائمة وعذاب مقيم^(٣).
- النصارى: هم الذين كان لهم في التاريخ دور مسيء، إلى المسلمين في عهد الإسلام الأول وحاربوه في مؤتة وتبوك وأجنادين واليرموك... وهم الذين جاءوا بقضهم وقضيضهم في العصور الوسطى، فاحتلوا البلاد الشامية، وقتلوا المسلمين وذبحوهم، وهم الآن يبتزون خيراتهم ويذيقونهم الهوان لماذا؟ تعال معي إلى بعض ما فعلوه.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُكَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ اقْتِصَاصًا فَمَا زَبَدَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَوْمَ أَتَاهُمُ السَّاعَةُ ۚ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْلَحُوا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَجَاءَهُمُ الْمَوْتُ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۚ﴾ (١٤) ﴿٤﴾.

واتخذوا عيسى عليه السلام ولدًا لله - سبحانه وتعالى عن ذلك علوًا كبيراً - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ ۚ﴾ (٥).

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ ۚ﴾ (٦).

وبعضهم جعلوا عيسى عليه السلام هو الله - تعالى الله عن ذلك علوًا

(١) انظر: سورة التوبة، الآية: ٦٢.

(٢) انظر: سورة التوبة، الآيتان: ٦٤، ٦٥.

(٣) انظر: سورة التوبة، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٦.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٤.

كبيراً :- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (١).

فلما جاء وفد نجران من النصارى يدعون أن الله سبحانه ابنًا، وأصروا على ذلك أمام رسول الله ﷺ أمر الله تعالى رسوله أن يقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ (٢).

وأمره أن يباهل وفد النصارى هؤلاء، قال تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٣) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ فَقُلْ تَمَّالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (٤).

ولهذا أمرنا الله تعالى أن نتحاشى موالاتهم وموالة اليهود والكفار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَوَلَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥).

فهل نرضى أن نكون من اليهود والنصارى!!؟

وهل نرضى أن نحشر إلى الله تعالى ظالمين!!؟

إن في هذا لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



(١) سورة المائدة، الآية: ١٧.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨١.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥١.

التحدي

يقولون تحدّاه: نازعه في أمر وباراه فيه وغالبه، ويقولون كذلك: تعمّد الشيء.

ففي التحدي ثقة بالنفس وعلوّ في الهمة، وإحساس بالاعتداد فوق ما يستطيعه الآخرون.

وفي القرآن الكريم كثير من التحدي للناس على اختلاف أنواعهم، وللکفار المعاندين بشكل عام، والمناوئين المعاندين بشكل خاص، والمتقولين الزاعمين ما لا يستطيعونه بشكل أخص.

وقد يكون التحدي للإعجاز، وقد يكون للسخرية، ولفضح الزاعمين. ولهذا الأسلوب إيجابيات كثيرة منها:

- ١ - أن يقف المتخردون عند حدودهم، فلا يدّعوا ما ليس لهم.
 - ٢ - أن لا يغتروا بأنفسهم فيحسبوا لكل شيء حسابه.
 - ٣ - أن يتنبّه المخدوعون بهم فينفضوا عنهم وينبذوهم.
 - ٤ - أن يفكر هؤلاء وغيرهم تفكيراً منطقياً ينأى بهم عما يسيء إليهم...
- ومن أمثلة ذلك: أن الكفار من الوثنيين وأهل الكتاب زعموا أن هذا القرآن لم ينزل من عند الله بل «تقولہ» الرسول الكريم ﷺ، وحاشاه فهو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى، فيتحدّاهم القرآن الكريم.
- ١ - أن يأتوا بمثله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا

الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ (١).

٢ - فلما عجزوا وهذا دأب الأفاكين تحداهم بأقل من ذلك فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فاعلموا إِنَّمَا أَنزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (٢).

٣ - فلما عجزوا - وسيعجزون لأنه كلام الله تعالى - تحداهم أن يأتوا بأقل من ذلك فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزِقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (٣).

وقال أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ...﴾ (٤).

لن يستطيع الإنس والجن مجتمعين أن يفعلوا ذلك، وها قد مرت عشرون عاماً وأربع مئة وألف عام، وما زال التحدي قائماً فشتان ما بين القدير والضعيف.

وقد حاول الأقزام المتنبئون فكان ما قالوه سخافة، تدعو إلى السخرية والراء.

- وينكر الكفار أن يعودوا إلى الحياة بعدما أرموا، فينبههم في الآيات التالية إلى أمرين اثنين:

الأول: أن الله خلقهم ولم يكونوا شيئاً وسيعيدهم من شيء، فأي الأمرين أشد؟! أليس الخلق أصعب، وليس هناك مستحيل على الله سبحانه.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة يونس، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

الثاني: التنبيه إلى الخسارة المؤكدة لمن كفر.

قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَهَآءَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۚ أَهَآءَا كُنَّا عِظْمًا تَحَرَةً ۚ﴾ (١١)
قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْجِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُعْجِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَهَآءَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنًا أَهَآءَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعِيدُوا قُلْ لِيَ وَرَبِّي لَتُعَيِّنَنَّ ثُمَّ لَتَنبِئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ (٥).

- ويتحدى اليهود أن يتمنوا الموت حين زعموا أنهم أولياء الله ولا يعذبهم فقال: ﴿قُلْ يَتَآيَاتُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾﴾

وَلَا يَمُنُّونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾
قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْفِخُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (٦).

(١) سورة النازعات، الآيات: ١٠ - ١٤.

(٢) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الإسراء، الآيات: ٤٩ - ٥١.

(٥) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٦) سورة الجمعة، الآيات: ٦ - ٨.

- لن يترك الله تعالى الإنسان يفعل ما يشاء ، ولا بد من الحساب والعقاب ، أو الثواب ، والله قادر على كل شيء ، يعيد الإنسان كما كان حتى بصمات أصابعه ، قال تعالى : ﴿ اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ (٣) ﴿ لِي قَدِرْنَ عَلَيْهِ اَنْ تُسَوَّى بِكُلِّ بَنَانٍ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ اَيَحْسَبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٥) .

- ومما نجد فيه تحدياً ساخراً إنفاق الكفار أموالهم ضد المسلمين ، وخسارتهم في مكرهم هذا : ﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا

ا - يُفْسِدُوْنَ اَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ

ب - فَسَيُفْسِدُوْهَا

ج - ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً

د - ثُمَّ يُقْلَبُوْنَ

هـ - وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُوْنَ ﴾ (٦) .

أرأيت إلى هذا التعقيب الرائع الذي يصور المكر السيء الذي يحيق بأصحابه ؟ .

- وانظر معي إلى الهيمنة الإلهية القادرة الجبارة في قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا سَبَقُوْا اِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُوْنَ ﴾ (٧) .

وقوله : ﴿ اُولٰٓئِكَ لَمْ يَكُوْنُوْا مُّعْجِزِيْنَ فِي الْاَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ اَوْلِيَاءٍ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوْا يَسْتَطِيعُوْنَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوْا يُبْصِرُوْنَ ﴾ (٨) .

وقوله سبحانه : ﴿ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَاِلَيْهِ تُقْلَبُوْنَ ﴾ (٩) .

وَمَا اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيْرٍ ﴾ (١٠) .

(١) سورة القيامة ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

(٢) سورة القيامة ، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٣٦ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٥٩ .

(٥) سورة هود ، الآية : ٢٠ .

(٦) سورة العنكبوت ، الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

فإلى أين يهربون وما لهم لا يحكمون، وكيف يتجرأون على الله سبحانه من عظيم قدير.

- أما الإشراك بالله فهي مظاهر عدة يظهر فيها التحدي والغضب بآن واحد فهم يجعلون لله ولداً - سبحانه أن يكون له ولد - فيأمر الله تعالى نبيه أن يباهل نصارى نجران في ذلك فيأبون ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ (١).

ونرى الغضب يسح على النصارى الكاذبين سخاً، ويسيل سيلاً، فما ينبغي لله - سبحانه - الكامل، المطلق الكمال - أن يحتاج إلى ولد ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِجْرُ الْجِبَالِ هَذَا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَبْغَى لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ (٢).

والعجيب أنهم يزعمون أن إشراكهم بالله برضى منه - سبحانه - ومشينته!! ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَاءِ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ (٣).

إنه بين الحق لكم وسيله، والباطل وطرقه الملتوية وودعكم تختارون فتتالون ما تستحقون إما ثواباً، وإما عقاباً.

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٥٩ - ٦١.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٥.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١٤٨، ١٤٩.

ويدعي الكفار أن الجنة - والعياذ بالله - أنساب الله سبحانه، وقد نكح منهم، فولدت له الملائكة فيخزيهم مبكتاً: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا وَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨) سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ (١) وسيحاسب الله تعالى الجن يوم القيامة كما يحاسب البشر. وهل يحاسب أحد أنسابه؟ نعوذ بالله من الظلم والظلمات. وإذا كان الله شركاء وعندكم بيعة على ذلك فهاتوها، ووضحوا ما صنعتها هذه الآلهة المزعومة؟

أ - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ

ب - أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُلْقِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُفَرِّقُ مِنَ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

ج - وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

د - وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ (٢).

ويطلب الله تعالى الدليل مرات ومرات من المشركين كي يثبت الحجة عليهم ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (١٥) (٣) وليس أظلم من المفتري الكذاب...

- ومن التحدي الذي يسر المسلمين ويذهب حزنهم بشرى الله تعالى بنصرهم ونصر دينهم رغم الكافرين المعاندين والمشركين الضالين، يقول تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ يَأْفِكُونَهُمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (٤).

(١) سورة الصفات، الآيات: ١٥٨، ١٥٩.

(٢) سورة الأحقاف، الآيات: ٤ - ٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٥.

(٤) سورة التوبة، الآيات: ٣٢، ٣٣.

ويقول جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١﴾

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝١٧٢﴾

وَلَوْ جُنَدًا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣﴾

فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ كِتَابَ حِينٍ ۝١٧٤﴾

وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٥﴾

أَفَعَدَّيْنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝١٧٦﴾

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِحِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ۝١٧٧﴾

وَنُؤَلِّ عَنْهُمْ كِتَابَ حِينٍ ۝١٧٨﴾

وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ (١).

نقف ملياً في تحدّ عجيب غير التحدي الذي سقناه آنفاً، فما مرّ كان تحدّياً من الله سبحانه للكافرين المشركين، أما السحرة الذين أعدّهم فرعون تحدّياً لموسى عليه السلام فقد سارعوا إلى الحق والإيمان حين علموا أن ما يدعوهم إليه نبي الله عين الصواب، وزبدة الحياة، فتحذّوا فرعون وثبتوا على إيمانهم على الرغم من ضعفهم أمام جبروته وطغيانه، فمن ذاق الإيمان عرف، ولم يرض بغيره، وبذل روحه في سبيله.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ

قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝١٨٠﴾؟

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝١٨١﴾

قَالُوا يَلْمُوزَنِي إِمَّا أَنْ تُثَلِّقَ وَلِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ۝١٨٢﴾

قَالَ أَلْقُوا ۝١٨٣﴾

فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ۝١٨٤﴾

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٩.

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ

فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾

فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾

فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَافِرِينَ ﴿١١٩﴾

وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَدِينِ ﴿١٢٠﴾

قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ

إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾

لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ حَلْفٍ ثُمَّ لَأُسْهِلَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾

قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾

وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ مَنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا

رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾^(١)

- وهذا سيدنا موسى يقف أمام فرعون، معه سلاح الإيمان غير هياب ولا وجل، يعلن كلمة التوحيد تصك أذن الجبار المتكبر، فترى فرعون الظالم.

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٢٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٣٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٢﴾

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١١٣ - ١٢٦.

قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾
 قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾
 قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾
 قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
 قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
 قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَ لَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
 قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ شَيْءٌ مُبِينٌ ﴿٣٠﴾
 قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴿١﴾
 ﴿فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿٢﴾

تحدّ كالجبال الراسيات يلقم فرعون الحجة تلو الأخرى.. ولا يكون التحدي إلا:

- ١ - بالحجة الدامغة والدليل الواضح.
 - ٢ - بالإيمان الصحيح الحقيق بما تحمله.
 - ٣ - بالثقة في الله، والقوة النفسية.
- وأخيراً، فالتحدي قوة يجب أن يتسلح بها الداعية عن وعي وإدراك.
 إن الإخلاص لله سبحانه أقوى حجة وأبلغ دليل.



(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٨ - ٣١.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

الاستعلاء

هو الشعور بالانتماء إلى الله العزيز العلي، مما يولد:

- أ - الإحساس بالترفع عن سفاسف الحياة الدنيا.
 - ب - وتحمل الأذى والصبر عليه ابتغاء رضوان الله تعالى.
 - ج - والعزوف عن بهارج الحياة والرغبة في الآخرة.
 - د - والثبات على المبدأ الصحيح، والبذل في سبيله كل غال ورخيص.
 - هـ - والنظر إلى طلاب الدنيا برحمة، ومحاولة انتشالهم من شباكها.
 - و - والتعامل معهم دون الخوض فيما هم فيه، دون نبذهم والتكبر عليهم.
- وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحمل هذه المفاهيم وتدعو إليها.
- فهؤلاء أصحاب الكهف فتية طاهرون، آمنوا بالله سبحانه وتعالى، ولجأوا إليه، فقبلهم، وزادهم منه هدى وتقوى، وثبتهم على دين الحق، فأعلنوا بإصرار وعزم عقيدتهم وتوحيدهم بربهم، مستعلين على ظلام الشرك والوثنية ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾^(١).
- وهذا يوسف عليه السلام راودته التي هو في بيتها، فاستعصم، واستعان بالله عليها. فلما انتشر خبرهما بين نساء المدينة استزارتهن لتلقمهن حجرها، وتضع بين أيديهن سبب رغبتها فيه فلما رأين جماله - عليه السلام -

(١) سورة الكهف، الآية: ١٤.

وقعن فيما وقعت فيه - فدعونه إلى مسايرتها، فأبى، واستعلى، فهددته بالسجن - فكان السجن - أحب إليه من الوقوع في الزنا ﴿قَالَ رَبِّ النَّبَتْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِنِينَ﴾ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ فَصَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ (١).

- وهؤلاء المنافقون يعودون إلى المدينة بعد غزوة بني المصطلق، ويتشاجر على الماء ساقيان، أحدهما لأنصاري، والآخر لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من المهاجرين - ويرى رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول الفرصة مناسبة لخلخلة الصف المسلم، فيقول: لا تنفقوا على المهاجرين حتى يتفرقوا عن محمد، ونسي أن خزائن السموات والأرض لله وحده. ثم ادعى أنه العزيز وأن المسلمين أذلاء، ولئن وصلوا إلى المدينة ليمنعنّ العزيزُ الدليلَ من دخول المدينة، فسمع ابنه - وكان مؤمناً - ما قال أبوه، فوقف على باب المدينة يمنع أباه من دخولها قائلاً: وراءك، والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: إن رسول الله هو الأعزُّ وأنا الأذل، فقالها، وسجلها الله تعالى آية في العالمين ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ (٢).

- وقد ذكرنا أن انتماء المسلم لله سبحانه الذي يجد نفسه فقال: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ﴾ (٣)، وقال أيضاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (٤)، وقال كذلك مؤكداً ومحققاً: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (٥) فهذا سيدنا سليمان يرسل إلى ملكة سبأ، يدعوها وقومها إلى

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٢) سورة المنافقون، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

عبادة الله وحده، فكانت عاقلة لبية، ردت عليه بالحكمة، فبدأت بإرسال هدية مالية ضخمة، علّه يسكت عنها إن كان من أهل الدنيا، فماذا كان رده عليه السلام؟ إنه أعلن لمن جاءه وللحاضرين جميعاً أنّ المال ليس هدفاً وغاية يرمي إليه الإنسان ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) ﴿١﴾.

- وتأمل معي الجواب الواحد لنبيين عظيمين، استعليا على الدنيا وما فيها..

أما الأول فخليل الرحمان سيدنا إبراهيم، الذي ألقاه قومه في النار، فأنقذه الله منها، فانطلق معرضاً عن الدنيا، راغباً في الله سبحانه فقال: ﴿... إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٢).

وأما الثاني، فكلسيم الله موسى الذي خرج بقومه من مصر إلى بلاد الشام هارباً، فلحق به فرعون وجنوده ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ (١١) ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (١٢) ﴿٣﴾.

أرأيت إلى المشكاة الواحدة التي قبس منها هذان النبيان العظيمان، وإخوانهما من الأنبياء الكرام؟!!

- وهذا سيدنا شعيب يفعل فعلهما، فقومه يضيقون عليه وعلى المؤمنين ويقولون له:

أ - ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا

ب - قَالَ أُولُو كُنَا كَرِهِينَ﴾ (٨)

- قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِلَّةَ

ج - وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا

(١) سورة النمل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

- وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا

د - عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

هـ - رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ

- وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ (١).

- ويجمع فرعون سحرته، ويستعين بهم على إرهاب موسى والناس، لِيُضْلَهُمْ ويفرض سلطانه عليهم دون حقٍ إلا سبيل القوة والخداع، فألقى السحرة حبالهم وعصيتهم، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحرٍ عظيم، فخاف موسى مما رأى... ولكن الله تعالى كان معه، ومن كان مع الله أفلح وانتصر. وصار أعداء الأُمس أتباع اليوم.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿٦٧﴾

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾

وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَعَوْا إِنَّمَا صَعَوْا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَفَى ﴿٦٩﴾

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ (٢).

- وكما قال الله تعالى لموسى عليه السلام - إنك أنت الأعلى - قالها للمؤمنين بقيادة النبي ﷺ في غزوة أحد، حيث أصابهم من المعركة ما أصابهم من قتلى، وجرحى، وواساهم ورفع من معنوياتهم، وأنه سبحانه معهم ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٩﴾ (٣).

وقالها أيضاً لهم حين أمرهم أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول، ولا يبطلوا أعمالهم ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَهِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ﴾

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة طه، الآيات: ٦٧ - ٧٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

- وهذا سيدنا إبراهيم، - وسيدنا إبراهيم أمة وحده والخير أصل فيه، ومنه نتعلم بما وهبه المولى سبحانه من كمال وسداد - يهدده أبوه المشرك إن لم يترك دينه ويعد إلى الضلال أن يرحمه فماذا يقول له؟ وبم يجيبه؟ إنه عليه السلام دعاه إلى الإيمان فأبى، ونصحه فرفض، ووضح له فأصم أذنيه، وأغلق عينيه عن رؤية الحق ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ﴿٤٦﴾

قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

وَأَعَزَّنَا لَكُم مَّا نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ (٢) إنه عليه السلام نأى بنفسه عن والده، وسأل الله السلامة له وسار في ركب الهداية لا يحيد عنه.

- وعاد رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة من حرب المشركين في غزوة أحد، فسمعوا من المرجفين أنصار المشركين أن أهل مكة عادوا ليستأصلوهم - وخوفهم هؤلاء المنافقون من المشركين - فقالوا لهم عددهم كبير، وأسلحتهم ماضية، وهم عازمون على إنهاء وجودكم، فلم يكن من المسلمين الذين علمهم قائدهم الشجاع ﷺ الاستعلاء بالله والاستعانة به على كل مكروه إلا إن احتسبوا ذلك عند الله سبحانه، وجعلوه ملجأهم ونصيرهم وتوكلوا عليه فرجعوا بنعمة السلامة، وفضل الأجر والثواب ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَبَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ (٣).

(١) سورة محمد (ﷺ)، الآية: ٣٥.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٤٦ - ٤٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣ - ١٧٤.

- وأخيراً نقف ملياً أمام صفات عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) ﴿١﴾، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...﴾ (٦٤) ﴿٢﴾، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٦٥) ﴿٣﴾، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (٦٦) ﴿٤﴾ فهم:

- ١ - لا يتكبرون.
 - ٢ - يتلطفون مع الناس ولا يردون الإساءة بالإساءة.
 - ٣ - يوحّدون الله قولاً وعملاً.
 - ٤ - وقافون عند حدود الله:
- أ - لا يقتلون لمجرّد القتل.
 - ب - لا يزنون ولا يرتكبون الفواحش.
 - ج - يقولون الحق فقط.
 - د - يعرضون عن اللغو وفارغ الكلام.
 - هـ - يسمعون آيات ربهم بوعي وفهم.
- اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.



(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.
(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

الجزاء

هو أن ينال الإنسان حقه لفعل فعله، أو قول قوله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأن تقضيته المثل المناسب.

وكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أكد على الجزاء:

- ١ - لأن فيه العدل، ينصف المظلوم، ويردع الظالم.
 - ٢ - لأن الإنسان خلق يتنازع الخير والشر، فكان الجزاء مساعداً على كبح الشر وإطلاق الخير.
 - ٣ - لأنه عنوان القوة، والحق بغير قوة يضع فلا بد من الجزاء لنصرة الحق.
- قال الله سبحانه وتعالى مؤكداً على الحساب المؤدي إلى الجزاء بشقيه الثواب والعقاب ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾^(١).
- ونبه إلى أن العمل يعود على صاحبه بالنفع والضرر، فقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا...﴾^(٢).
- وحين قال سبحانه: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٣)، قال أيضاً: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٤).

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

- والذي أقصده من الجزاء في هذا الباب الثواب والعقاب في الحياة الدنيا، أما الآخرة وحسابها ثواباً وعقاباً، فقد تناولته ضمن أبواب أخرى، وسوف أتناول هنا:

١ - جزاء الأقوام الذين كذبوا أنبياءهم أو آمنوا بهم.

٢ - جزاء الأقوام الذين كفروا نعمة الله.

٣ - الجزاء الذي نال بعض الأفراد نعمة ونقمة، من الله تعالى أو من البشر.

١ - قصص علينا القرآن الكريم جزاء عديد من الأمم الذين كذبوا أنبياءهم.

- فهذا سيدنا نوح لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الله وحده، فيأبون ذلك، ويتواصون بتكذيبه، فماذا كانت العقوبة؟ قال تعالى يحددها:

أ - ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾

ب - ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾

ج - ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾

د - ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾

هـ - ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾ (٧٣) ﴿١﴾.

- وهذا سيدنا هود أرسل إلى قوم عاد، يأمرهم بعبادة الله وحده، واستغفاره والالتكال عليه وحده، فردوا عليه رداً قبيحاً، واتهموه بالسفه، فتمراً منهم، ولجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فعاقبهم الله تعالى عقاباً شديداً ﴿كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَرْمِجُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾.

(١) سورة يونس، الآية: ٧٣.

(٢) سورة القمر، الآيات: ١٨ - ٢١.

- أما ثمود قوم صالح عليه السلام فلم يكونوا خيراً من أسلافهم،
فإنهم لما كذبوه وقتلوا الناقة هددهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، ثم بدأ عذاب
الخزي العظيم.. قال تعالى:

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾
فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ
يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٦٧﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَ إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴿١﴾

- وقوم لوط كانوا يعملون الفواحش، وحين جاءته الملائكة أسرع إليه
هؤلاء المجرمون ليفعلوا فيهم ما اعتادوا من الفاحشة، فكانت قاصمة الظهر
إذ نجى الله تعالى لوطاً وأهله إلا امرأته، وكان موعد العذاب الصبح ﴿فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُوبٍ ﴿٦٩﴾﴾
مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿٢﴾

- وهذا سيدنا شعيب يدعو قومه إلى دعوة الأنبياء كلهم - التوحيد -
وإفاء المكيال والميزان حقهما، وعدم أكل حقوق الناس والبغي والفساد،
فاستهزؤوا به، وسفّهوا رأيه وهدّوه بالرجم، فكيف نزل عليهم العذاب؟ قال
تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدِينٍ
كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿٣﴾

- وفرعون ذلك المتأله الجبار المتكبر سام بني إسرائيل سوء العذاب،
ذبح أبناءهم، واستحيا نساءهم، وكفر بالله عز وجل، ونادى متحدياً: ﴿أَنَا

(١) سورة هود، الآيات: ٦٥ - ٦٨.

(٢) سورة هود، الآيات: ٨٢، ٨٣.

(٣) سورة هود، الآيات: ٩٤، ٩٥.

رَبِّكُمْ الْأَعْلَى ﴿١﴾ فكيف أباده الله تعالى؟! أمر الله سبحانه موسى أن ينطلق ليلاً إلى جهة الشرق، حيث سيناء، ثم بلاد الشام لينجو بقومه من شرّ فرعون، فتبعهم هذا الشيطان ليستأصلهم

﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُونٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا نَمُ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (٢).

- إن الجزاء قد يكون ماحقاً للمدن وأهلها، وقد تبقى هذه المدن شاهدة على استئصال أهلها، فتبقى خالية منهم ليعتبر المازون عليها ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرْقَيْنِ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾﴾ (٣).

أما الذين آمنوا برسالات أنبيائهم، وعرفوا الله فأسلموا له - سبحانه - قيادهم فقد عاشوا في الدنيا حياة رغيدة - مثالهم قوم يونس عليه السلام إذ قال الله تعالى يحدثنا عنه: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ فَآمَنُوا فَفَعَلْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ (٤).

٢ - إن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله خرب الله ملكهم، وشتت شملهم، ومزقهم شرّ ممزق، وجعلهم عبرة لمن يعتبر.

فقد كانت قراهم متقاربة، والأمان بينها وافرأ والبساتين تظلل

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٦١ - ٦٦.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٠.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٧، ١٤٨.

الطرقات، فيسافر الإنسان من اليمن إلى بلاد الشام لا يحتاج للزاد، فكفروا بأنعم الله، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَاعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبْلِهِمْ جَبَلِينَ ذُوقُوا أَكْثَلَ خَطِّهِ وَأَثَلٍ وَشَقَّ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ كَفَرٍ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾﴾ (١).

إن الذي يُعرض عن ذكر الله يعاقبه، فهؤلاء كما رأينا أرسل الله عليهم الطوفان فغرقت دورهم، وخربت بساكناتهم، وانقلبت ثمارهم أشواكاً مرة وسدراً، ولم يكتفوا بذلك بل سألوا الله أن تكون الأرض مفاوز وصحارى في سفرهم، حتى يشعروا بمشاق السفر. وهذا تفكير سفيه عجيب... فعاقبهم الله على كفرهم النعمة بأن:

- ١ - باعد بين مدنهم.
- ٢ - جعلهم أخباراً تروى دالة على جحودهم.
- ٣ - فرقهم في البلاد شذر مذر، ليكونوا عبرة لمن يعتبر.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ (٢).

- ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٣) هكذا كان ذو القرنين، يمشي على هدى من الله ونور، جعله هادياً للناس في مشارق الأرض ومغاربها، ومكن له فيها، وسهل له ما يساعده على نشر الدين في المعمورة، فكان إذا مرَّ على قوم دعاهم إلى الله، فإن كفروا عذبهم بالقتل، وبعد القتل نار الله الحامية،

(١) سورة سبأ، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

وإن آمنوا أحسن إليهم، فعاشوا في خير الدنيا وبركتها، ثم يلقون عند الله سبحانه الجنة، ونعيمها.. ثوابان.. عقابان ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا﴾ (٨٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَقَوُا لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (٨٨) (١).

٢ - كان لرجل مسلم من أهل صنعاء بستان فيه أنواع النخيل والزروع والثمار، فإذا حان وقت جني الثمر أو الحصاد، دعا الفقراء، فأعطاهم نصيباً وافراً منه، وأكرمهم غاية الإكرام، فلما مات ورثه أبناؤه الثلاثة، فلم يكونوا مثله، فعزموا على منع الفقراء، وجني الثمر خفية في الصباح، وحلفوا على ذلك، فماذا كانت العقوبة؟ أرسل الله عليها ناراً في الليل أحرقت الأشجار، وأتلفت الثمار فذهبوا إلى حديقتهم صباحاً فلم يروا فيها شجراً ولا ثمرأ، فظنوا أول الأمر أنهم ضلوا الطريق، ثم تبين لهم أن الله سبحانه عاقبهم ببيتهم السيئة، فندموا وتابوا بعد فوات الأوان.

وكان الله تعالى اختبر أهل مكة، بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ حين كلفهم أن يشكروا ربهم فكفروا نعمته، فكان مثلهم كمثل أصحاب البستان

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ (١٧)

وَلَا يَسْتَنُونَ﴾ (١٨)

فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (١٩)

فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (٢٠)

فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ (٢١)

أَنْ أَعْذُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٢)

فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفِنُونَ﴾ (٢٣)

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾

وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾

فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسْمِعُونَ ﴿٢٨﴾

قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾

قَالُوا بَيِّنَاتٍ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾

عَسَى رَبَّنَا أَنْ يَبْدِلَآ خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴿١﴾

- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

١ - فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً

٢ - وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا

٣ - وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾

- حين دعت امرأة العزيز سيدنا يوسف إلى الزنا وارتكاب الفاحشة عصمه الله تعالى، وبدل أن يكافئه المجتمع لطهره وعفاه فتكون هذه المكافأة دفعا لشباب الأمة إلى سلوك مسلكه عوقب بالسجن!!! ليضيع في متاهات أقيسته، ويضيع الشباب في حمأة الرذيلة!! ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ زودتكم عن أنفسكم فاستعصموا ولكن لم يفعلوا ما أمرتكم أن تفعلوا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣﴾

(١) سورة القلم، الآيات: ١٧ - ٣٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٤، والعقوبة في هذه الآية ثلاثة أنواع:

الأولى: عقوبة جسدية «الجلد».

الثانية: عقوبة معنوية لا تقبل لهم شهادة فحقوقهم المدنية ساقطة.

الثالثة: عقوبة في الآخرة. النار لأنهم فاسقون.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْأَيَّاتِ لَيْسَ جُنُودُهُمْ حَتَّىٰ جِئَ ﴿٣٥﴾﴾ (١).

والدلائل كلها تشير إلى براءته، ولكن سهل على كبار القوم أن يلقفوا التهم إلى الشرفاء، لينجوا بأنفسهم بصرف الأنظار إلى غيرهم...!!
هذا عن العقوبة، أما أمثلة الجزاء ثواباً.

فإن يوسف عليه السلام حين أول منام الملك، ورفض الخروج من السجن إلا أن تظهر براءته، فاعترفت امرأة العزيز بالحقيقة، سُرَّ الحاضرون لنزاهته ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيَوْمِ اسْتِخْصَافِي لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ (٢) فانتقل من السجن إلى الصدارة والوزارة.

وهذا موسى عليه السلام يصل إلى مدين ويسقي للفتاتين ويأوي إلى ظل شجرة، فيدعو الله التيسير، فتأتيه إحداهما قائلة: ﴿إِنِّي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (٣). فيزوجه أبوها إياها، ويعيش آمناً.

والثواب على عمل الخير يدفع إلى الاستمرار فيه.

وليتنا نقف ملياً عند هذه الآيات التي تكررت في سورة الصافات في حق الأنبياء الكرام: نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وآل ياسين ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ (٤).

﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ (٥).

﴿سَلِّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٦﴾ إِنَّهُمَا

(١) سورة يوسف، الآية: ٣٥.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ٧٩ - ٨١.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٠٩ - ١١١.

مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴿١﴾

﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِنْ يَأْسَيْنِ﴾ ﴿١٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴿٢﴾

فَذِكْرُهُمْ إِلَى آخِرِ الزَّمانِ تقدير، وتبجيل، وتعظيم... أهناك أحسن
من هذا الثواب العظيم المستمر إلى أبد الأبدین؟ ولهم في الآخرة المكان
العالي والمكانة الرفیعة.



(١) سورة الصافات، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

الحذر والحيلة

تعلمنا من آبائنا وأجدادنا أن درهم وقاية خير من قنطار علاج، وسدّ الثغرات أسهل بكثير من إعادة بناء أهملناه، فانهدم.

كما أن الحذر مطلوب في أيام السلم والحرب، ومن الصديق والعدو، ومن الأقارب والأبعد. والحذر مطلوب كذلك من عذاب الله، وفتنة الشيطان، والتصرف مع الآخرين بما لا يليق. وبشكل عام يجب الحذر وأخذ الحيلة دائماً ومن كل شيء، دون الوصول إلى التوهم والتوجس الذي يزيد عن حده، والله درّ القائل:

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديق ق فكان أعلم بالمضره

١ - فهناك الحذر من العدو المتربص في كل زمان ومكان، ينتظر حالة الغفلة والاسترخاء في الصف الإسلامي، وهي حالة تتعارض مع حالة اليقظة. . إن العدو بارع بانتهاز الفرص التي تصنعها له حالة الغفلة، فماذا يفعل العدو، إنه يميل علينا ميلاً لا تبقي ولا تذر، تهلك الحرث والنسل، وتهتك العرض، وتغتصب الأرض، وتستولي على الديار، وتتحكم بعباد الله بطغيان لا مثيل له.

قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَقْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (١).

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

ويقول الله تعالى آمراً بالاحتراز من العدو والاستعداد له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ الْفِرَّاءَ جَمِيعًا﴾ (٧١) (١).

وقد أمر الله تعالى أن لا نتخذ الكافرين أولياء، وأن لا نجالسهم إذا استهزؤوا بديننا، ومن استمرأ الجلوس معهم، وموانستهم كان منهم، وانتهى إلى مصيرهم، فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَعَدُّوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ إِذَا جَاءَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٤) (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا إِلَهُ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (١٤٤) (٣).

ويؤكد الله سبحانه وتعالى المعنى حين يقول ناهياً عن مجالسة اليهود والنصارى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١) (٤).

وسورة «المنافقون» كلها تحذير منهم. وإليك مثالا واحداً، فهم:

- ١ - يدعون أنهم آمنوا بمحمد نبياً ويشهدون بذلك.
- ٢ - الله سبحانه يؤكد نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ويشهد أن المنافقين يكذبون في شهادتهم.
- ٣ - والمنافقون يتخذون الأيمان سبيلاً إلى الإيهام بصدقهم.
- ٤ - يجب الحذر منهم لأنهم لا يقرون على قرار، يؤمنون مرة ويكفرون أخرى.
- ٥ - لا يغرن منظرهم وفخامة مظهرهم، فهم خشب مستدة ظاهرها متين، وجوفها فارغ.

(١) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥١.

٦ - يجب الحذر منهم فهم أشدّ كرهاً للمسلمين وهم كذابون.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَكَاذِبٌ ۖ﴾ (١) ﴿أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٣) ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَعْجَبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحَسِّبُونَ كُلٌّ صِحَاحٌ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أُنْفًى يُؤَفِّكُونَ﴾ (٤) (١).

٢ - وهناك الحذر من الشيطان، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٤٢) (٢).

فالشيطان يأمر بالمفاسد، والحذر من اتباعه واجب، والاحتباس مطلوب: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٣).

وبما أن الشيطان عدو لنا، فمن الواجب أن تتخذه عدواً، فهو يورد من اتبعه النار ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (٥) ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦) (٤).

وعلى هذا الأساس كانت الاستعاذة بالله من الشيطان، ومكره، ووسواسه، وتشكيكه بالحق! قال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ۖ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٥) ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (١٠١) (٥).

(١) سورة المنافقون، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٢١.

(٤) سورة فاطر، الآيتان: ٥، ٦.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٠، ٢٠١.

٣ - وهناك الجذر من عذاب الله، والفتنة، وعدم الاستجابة للرسول الكريم.

فالرسول الكريم يدعو إلى الله ودينه القويم، فمن نأى وصدَّ صرف الله قلبه عن الإيمان، وأصابته فتنة تودي به إلى قعر جهنم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)﴾ (١).

كما أنه لا يجوز خطبة امرأة في عدتها، فمن فعل فقد أثم، قال تعالى: ﴿... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ...﴾ (٢).

وينهانا الله تعالى عن مخالفة رسول الله ﷺ، حين يأمر بأمر، فينسل بعضهم إلى الورا خارجاً دون استئذان، وهو الآن من أدب اللقاء، فالاستئذان مشروع لمغادرة مكان الاجتماع، ويحذرنا الله تعالى أن نعلو أصواتنا في حضرة النبي ﷺ وأمام حجرته الشريفة، فهذا من الأدب معه ﷺ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَدَّٰ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ (٣).

أما خيانة الله، فبترك فرائضه، وخيانة الرسول بترك سنته، وخيانة الأمانة عدم تحمل مسؤولية العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وترك الدعوة إلى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)﴾ (٤).

٤ - وهناك الجذر من الفتنة بأنواعها.

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

فَتَنَّةَ الْأَمْوَالِ، وَالْأَوْلَادِ وَالزَّوْجِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فَتَنَةٌ وَكَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) ﴿١﴾.

وقال أيضاً: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقٍ لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤) ﴿١٤﴾ إِنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوْلَدَكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) ﴿٢﴾.

والله سبحانه وتعالى، حذر الرسول الكريم من الركون إلى الذين كفروا.. هؤلاء الذين يريدون منه عليه الصلاة والسلام أن ينصرف عن وحي الله تعالى، أو أن يزيد على هذا الوحي ما يخالف الدين، وحاشا رسول الله أن يفعل هذا، فهو الأمين المؤتمن، ولكنه درس لنا معشر المسلمين في الثبات على دين الله، والدفاع عنه دون أن نهتمّ بوعيد الكفار وتهديدهم، أو إغرائهم للدعاة، فالمؤمن وقاف على حدود الله ﴿وَلَن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ (٧٣) ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن تَبْنِيَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَتَّىٰ قَلِيلًا﴾ (٧٤) ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقَنَّكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (٧٥) ﴿٧٥﴾ (٣).

وانظر إلى حذر الوالد يعقوب، ففي أكثر من مكان في سورة يوسف يظهر الحذر في حديثه مع أولاده، فلما سألوه أن يرسل أخا يوسف «بنيامين» معهم لأن يوسف منع عنهم الكيل إلا بحضوره، قال يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٤) ﴿٤﴾.

ثم طلب منكم موثقاً على إعادته إن استطاعوا ﴿قَالَ لَن أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ...﴾ (٥) ﴿٥﴾.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٢) سورة التغابن، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٧٣ - ٧٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٦٦.

ثم أمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة خوف العين الحاسدة، وهو موقف أن الله يفعل ما يشاء..

وهذا موسى يستصرخه رجل من بني قومه على رجل من آل فرعون فيجيبه، ويضرب ذلك الرجل فيقتله، وهو لا يريد قتله، فاستغفر ربه، ووعدته ألا يكون عوناً للمجرمين... وبعد أن قتله ﴿فَأَصْحٰى فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾^(١) والترقب: انتظار الطلب أن يدركه.

حتى إن الفتاتين اللتين كانتا مع الأنعام ابتعدتا عن الرجال لا تختلطان بهم وتنتظران حتى يفرغا فتتقدمان لسقي ماشيتهما ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يَصْدِرَ الزَّعَاةُ وَأُبْرِكَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٢) ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٣)... ﴿٢٤﴾^(٢).

وحين أمر موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون قال حاذراً طالباً مساعدة أخيه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِّنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣) وأخى هكروث هو أفصح مبي لسكاناً فأرسله معي ردها يصدقني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٣) ﴿٣٤﴾^(٣).

فالحذر في كل الأمور مطلوب، حتى ولو كان كل شيء معك.. فقد قيل: (من مأمنه يؤتلى الحذر).

ويجب الحذر من تناقل الإشاعات أياً كانت، فهي مغرضة مؤذية إذا تناقلها الناس دون تمحيصها ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ فَرِّقْ بَيْنَهُمَا فَانصَحْ قَوْمًا يَّجْهَلُونَ عَلَىٰ مَا فَلْتُمْ نَدِيمِينَ﴾^(٤) ﴿٦﴾^(٤).

والحذر يأمرنا كذلك أن نرد كل ما نسمعه إلى المختصين كي لا نقع

(١) سورة القصص، الآية: ١٨.

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٦.

في المحذور الذي يحفره لنا الأعداء ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ (١).

وتأمل معي حَذَرَ النملة التي رأت جيش سليمان عليه السلام قادماً إلى الوادي، فحذرت النمل أن تبتعد عن الطريق كي لا ينالها الأذى ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّعْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّعْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ (٢).

أفلا يكون المسلم العاقل أشدَّ حذراً منها كي لا يقع في المحذور؟!.



(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ١٧، ١٨.

أساليب القتال

خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى معركة أحد بجيش قوامه ألف مقاتل. ولما تراءى الجمعان عاد عبدالله بن أبي بن سلول بثلاث مئة من المنافقين إلى المدينة غير راغبين في القتال. أما حجتهم فلأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يصغ إلى قولهم أن يتحصنوا في المدينة إنما استمع لقول الشباب، فخرج بهم إلى ظاهرها، أما الحقيقة فهي أن المنافقين جبناء. كما ذكرنا ذلك في أسلوب «تطهير الصف». ولماذا يقاتلون، وهم يرون أن المشركين أقرب إليهم من المسلمين، ويتمنون من كل قلوبهم أن ينتصر المشركون على المسلمين!

١ - انتظام الصفوف:

إذا عاد ثلاث مئة، وبقي المسلمون سبع مئة، والمشركون ثلاثة آلاف مقاتل، فهم إذاً أكثر من المسلمين بما ينوف على أربعة أضعاف. كان الرسول ﷺ يحدد مكان المقاتلين، ويصفهم لقتال عدوهم وحين ساور الخوف قبيلتين مسلمتين هما: بنو سلمة وبنو الحارث - فقد هموا أن يعودوا لاعتقادهم أن العدد غير المكافئ لا يبشر بنصر - جاءهم النبي ﷺ يشجعهم، ويثبتهم، ويرفع من عزائمهم، وهكذا كان.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٢٦) إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢٧) (١). فالقتال إذاً كان صفوفاً تثبت في مكانها تصد الهجوم، ثم تنتقل إلى الهجوم.

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

وهناك أيضاً ترتيب الأصناف، كل مع جنسه ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) (١).

فلم تكن هناك فرجات بين الأنواع، وإن كانت منفصلة يتبع بعضها
بعضاً، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنه يجب أن يكون المقاتلون لحمة
واحدة، وصفاً منضبطاً، وحركة متتابعة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُلَيْنٌ مَرْصُوصٌ﴾ (٢٢) (٢).

والانتظام صفوفاً يورث الهيبة والجلال في نفس الناظر، ففي يوم
القيامة تنزل الملائكة من السماء صفوفاً متتابعة، تبعث على الخوف،
والإجلال، والرهبة ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ
الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٣٨) (٣).

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٦٦) (٤).

والصف المتراص دلالة على الوحدة والقوة، فهذا فرعون يأمر السحرة
أن يأتوا صفّاً واحداً ليرهبوا بمنظرهم وحركتهم موسى عليه السلام،
وليزرعوا الإعجاب والإكبار في نفوس عامة الشعب، بل إن السحرة أنفسهم
كانوا أصحاب هذا الأسلوب ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ
أَسْتَعْلَنَ﴾ (٦٤) (٥).

٢ - القتال من وراء الحصون:

ويكشف الله سبحانه وتعالى جبن اليهود، وهلعهم من لقاء المسلمين،
فهم لا يقاتلون وجهاً لوجه، إنما يتترسون بالحصون العالية القوية، والجُدُرِ
السميكة المتينة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى

(١) سورة النمل، الآية: ١٧.

يوزعون: يوقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) سورة النبأ، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الفجر، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٥) سورة طه، الآية: ٦٤.

مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُرِّ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدُ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ (١)

وهم الآن على قوتهم، وكثرة سلاحهم لا يقاتلون مشاة هاجمة، أو محمولة، وإنما يقاتلون وهم داخل الدبابات، ومن وراء الخنادق، وداخل الملاجئ السميكة، والصواريخ العابرة والطائرات... صحيح أن هذا النوع من القتال الآن هو الأكثر فائدة ونجاة إلا أنهم لا يستطيعون مواجهة الجيش المعادي سفاحاً، وأفضل سلاح لديهم، وأفضل طريقة في القتال بث الفرقة بين المسلمين، وجعلهم أعداء بعضهم لبعض.

وحين يعرف المسلمون أنفسهم حق المعرفة، ويتوحدون، ويحكمون شرع الله فيما بينهم تسقط أسطورة اليهود، ويذوبون كما يذوب الجليد في الظهيرة الحارة...

٣ - الحرب الصاعقة السريعة تشل الحركة:

وقد أكدت الآيات في القرآن الكريم على:

قطع الرقاب وأصابع الأيدي كي لا تستطيع حمل السلاح.

﴿إِذَا يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

١ - فَتَنُوا الَّذِينَ سَأَلُوا سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ

٢ - فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٧﴾ (٢)

وهي، الحرب النفسية الإيجابية للمسلمين، والسلبية للأعداء، وتكون الضربة القاضية بقطع الأعناق، وشل الحركة بقطع الأصابع ﴿فَإِذَا لَفِئَتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرِبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخِثَّتْهُمْ فِشْدُوا الْأَوْتَاكَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِتْنَةُ حَتَّىٰ نَضَعَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا﴾ (٣).

٤ - الإثخان في القتل والاستتصال:

وهنا ينبهنا الله تعالى أن نشد في قتل الأعداء، حتى يعلموا أننا لا

(١) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٣) سورة محمد (القتال)، الآية: ٤.

نرحمهم إن فكروا في الاعتداء علينا، فإذا كثر فيهم القتل، وبلغت قلوبهم الحناجر، واستسلموا جاز لنا أن نأخذ منهم أسرى، أما في بداية المعركة ووسطها فليس لنا إلا القتل والاستئصال لأعداء الله كي تخنس نفوسهم وتذل، فلا يفكروا مستقبلاً في إيذاء المسلمين والتصدي لهم ﴿فَلَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (٥٧) (١).

ونجد الأمر بالإثخان، وكثرة الإصابة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِي أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَضَّ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) (٢).

وذكر الله سبحانه وتعالى قوة موسى حين دخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (٣). والوكز: ضربة في الصدر بجمع الكف.

وفي السنة النبوية طرقٌ عديدة في القتال، وليس في القرآن الكريم الكثير منها، لأنه - كما نعلم - كتاب تشريع وكتاب حياة - التفصيل فيه في الحياة المعيشية غير وارد.



(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٥.

تطهير الصف

المجتمع الإسلامي لا يمنع أن يعيش غير المسلمين فيه، وليس فيه ما يسمى التطهير العرقي الذي تمارسه كثير من الدول ضد المسلمين في أصقاع العالم كله، لكنه يمنع أن يمارسوا ما يخالف الإسلام، ويفسد المسلمين.

للآخرين أن يمارسوا طقوسهم وعاداتهم دون أن ينتج أثر سلبي على المسلمين فإذا حدث هذا منعوا من إقامتها، لأن درهم وقاية خير من قنطار علاج، وقد لا ينفع قناطر في تطهير هذا الأثر السلبي.

كما أن المجتمع الإسلامي في مناسك العبادة، والأجهزة المهمة التابعة له لا يقبل وجود عنصر غريب عنه ليبقى نقياً صافياً من الشوائب التي قد تعطل مسيرته وتقلل من إيجابياته.

وقد علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن عامله على العراق أبا موسى الأشعري استعمل يهودياً على ديوان المحاسبة، فأرسل إليه أن يصرفه عن العمل، لكن أبا موسى أرسل إليه أننا لا نجد من يقوم مقامه، فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن أرسل إليه يقول: «مات اليهودي» إنهما كلمتان واضحتان لا لبس فيهما.. فاضطر أبو موسى لصرفه.

وفي القرآن الكريم ما يعضد فعل عمر رضي الله عنه، فالصف المسلم ينفي عنه ما يعوق تقدمه ويثقل كاهله.

- فهذا طالوت ملك اليهود ينطلق بجيشه لقتال العماليق، وقد علم أن في جيشه كثيراً من الجبناء، وضعفاء الإيمان، وغير الملتزمين بالطاعة

والولاء، وجيش فيه أمثال هؤلاء يهرب من أول لقاء، فأراد أن يتخلص منهم، فمر بهم على نهر ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بَيْنَهُ﴾

فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ يَّا ذِينَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَرًا وَكُنْتَ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَّا ذِينَ اللَّهِ ﴿١﴾

تخلص طالوت من القسم الأكبر من جيشه، فلا حاجة للعدد الكثير الضعيف، ولا للمختلفين في آرائهم ومشاربهم، هؤلاء عبء متعب، وضغت على إitale، والعدد القليل المؤمن المتجانس في الطاعة، والولاء، والإيمان خير وأقوى، وهكذا كان.. فقد انتصرت القلة المؤمنة بإذن الله على العدد الكبير الكافر.

- وهذا سيدنا موسى يعود من لقاء ربه في جبل الطور، فيرى قومه قد ضلوا على الرغم من وجود هارون عليه السلام بينهم، وكان السامري قد رأى جبريل جاء على فرس الحياة، فألقى الشيطان في نفسه أن يقبض قبضة من أثر فرس جبريل، فطرحها على طين صنعها فكان له خوار، فعبده لأن أصول الوثنية فيهم كانت راسخة فماذا فعل موسى:

١ - عاقب السامري بأن طرده من المجتمع المسلم، فلا مكان فيه لفاسد.

٢ - حرق إلهه الذي صنعه بنفسه وذر رماده في البحر.

٣ - بين لليهود أن الله تعالى هو الذي يستحق العبادة لا غيره.

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٤٩ - ٢٥١.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ﴾ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴿١﴾

- وفي حج العام التاسع للهجرة كان أمير الحج سيدنا أبو بكر الصديق، ونزلت سورة براءة على الرسول ﷺ، فأمر علياً رضي الله عنه أن يلتحق بالصديق ليقراً هذه السورة على المسلمين، ومنها هذه الآية الكريمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّكُمُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٨) ﴿٢﴾

فُمْنِعَ المشركون أن يحجوا اعتباراً من العام القادم، فالإسلام دين الطهر، والمسلمون طاهرون، والشرك رجس نجس، والمشركون نجسون، فلا يسمح لهم أن يختلطوا بالمسلمين حين يؤدون المناسك، وهكذا طهر البيت الحرام.

ولئن كان المشركون يجلبون الأطعمة والتجارات في مواسم الحج لقد أبدل الله مكة رزقاً خيراً من ذلك لقد رزقها الغنائم والجزية، وأموال المسلمين الطاهرة.

- لم يكن الرسول ﷺ يعلن عن وجهته إذا غزا إلا ما كان في غزوة تبوك، لأن المسافة بعيدة، والمشاق كثيرة، ولا بد أن يعرف المسلمون وجهتهم ليجهزوا أنفسهم، فأعلمهم بها، فجاءه المنافقون يستأذنونهم في البقاء في المدينة بأعذار واهية، فقبلها النبي ﷺ فهو لا يريد في المقاتلين ذوي أهواء، مفسدين. لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، بخلاء. وعلم الله تعالى

(١) سورة طه، الآيات: ٩٥ - ٩٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

فيهم هذه المفاسد فثبطهم وحبب إليهم القعود لأثرهم السلبي، وحبهم للفتنة، بينما يجب أن يكون الصف الإسلامي طاهراً من كل هذه الخبائث ليكون لحمة واحدة وصفاً متماسكاً قوياً، فالسفر طويل، والعدو كثير العدد والعدة، ولا يستطيع تحمل الأمرين إلا المؤمن التقى النقي ذو النية الخالصة لله سبحانه وتعالى المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَرْدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِعَبَادِهِمْ تَثْبُطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤٧) (١).

ويؤكد القرآن الكريم على طهارة الصف المسلم، فهذا الصف نظيف لا يعمل أفرادُه الفاحشة ﴿الَّذِينَ لَا يَنْكِحُوا إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) (٢).

أما الذي يرمي المحصنات، فله عقوبات ثلاث: الأولى عقوبة بدنية، والثانية سحب الحق المدني، فليس له ما للمسلمين، والثالثة النار في الآخرة لنفسه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

١ - فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً

٢ - وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةٌ أَبَدًا

٣ - وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ (٣).

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣.

(٣) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.

والملاحظ إذاً في الآية الأخيرة أن الذي أساء للمسلمات لا يعود إلى صف المسلمين إلا إذا تطهر بالتوبة، وأصلح ما أفسده.

وحادثة الإفك تبدأ بآية توضح أن الذين خططوا لها كانوا يحسبون على المسلمين، فلما تولّوا إفكها، وتحملوا وزرها، انكشفوا، فبان الصالح من الطالح، وتطهر الصف المسلم منهم حين عرفوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١).

فأما الذين أذاعوه دون تفكير، فقد عوقبوا وتابوا إلى الله.

أما المنافق الكبير ابن سلول، فهذا مع الكفار في جهنم، والعياذ بالله.

وتعال معي نقرأ الآيتين اللتين تفضح المنافقين وتخرجهم من بوتقة المسلمين: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّنِينَ مِنكُمُ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالنِّسَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩) (٢).

١ - أمرُ المنافقين المشبطين للعزائم معروف.

٢ - هؤلاء يعوقون الناس عن الجهاد، ويصدونهم عن القتال.

٣ - يقولون لإخوانهم في الكفر والنفاق تعالوا إلينا، واتركوا محمداً، وأصحابه يهلكوا، ولا تقاتلوا معهم.

٤ - يحضرون القتال قليلاً سمعة ورياء، وهذا عَرَضٌ خبيث يريدون به إيهام المسلمين أنهم معهم.

٥ - بخلاء بالموءدة، والشفقة، والنصح، فهم لا يريدون للمسلمين النصح.

٦ - إذا حضر القتال رأيتهم في رعب شديد لا مثيل له، فهم شديدو الجبن.

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٨، ١٩.

٧ - وإذا جاء وقت قسمة الغنائم، فهم سليطو اللسان لا يرحمون المسلمين من ألسنتهم.

٨ - عملهم باطل لنفاقهم، فهم حقيقة لم يؤمنوا.

- وهذا سيدنا نوح حين غرق ابنه فيمن غرق، وكان الله تعالى وعده أن ينجي أهله اتجه بقلبه إلى ربه ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٤٥) ﴿١﴾.

فبسم أجابه الله عز وجل؟: ﴿يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

وهنا البراءة من الكافر، ولو كان أقرب الناس إليك، فما يجمعك معه إلا العمل الصالح والإيمان بالله تعالى.

ونجد امرأة لوط كانت ممن أصابهم الموت، والدمار مع أنها زوجة نبي الله ولكن لا بد من تطهير الصف ليبقى نقياً صافياً ليس فيه معوقات ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا تَحْزَنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَافَكَ بِهِمْ ذُرًاءً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣٣) ﴿٣﴾.

وهكذا لا يكون الصف سليماً، ولا يستطيع أن ينهض بدعوته، إلا إذا كان طاهراً من الأمراض سليماً من المعوقات، قوياً ليس فيه طفيليات تمتص نشاطه، وسوس ينخر فيه.



(١) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآيات: ٣١ - ٣٣.

التمايز والمفاصلة

عرفنا من تطهير الصف أنه لا يجوز أن يكون في الجسم الإسلامي طفيليات تعوق مسيرته، وتضعف قوته، بل يجب أن يتخلص منها ليبقى نظيفاً سليماً معافى.

لكن لا بد من معاشة بعض المجتمعات غير الإسلامية، قد يكونون معنا، وقد يكون جيراناً لنا، نبايعهم، ونشتري منهم، ونتبادل معهم المنافع الدنيوية... هذا أمر لا مفر منه، أما الذي لا ينبغي أن يكون، فهو الود لهم والولاء، فهنا التمايز والمفاصلة والبراء... وهذا الذي نريده في هذا الباب.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾ (١).

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يتبع إبراهيم عليه السلام في عقيدته السليمة، فماذا فعل إبراهيم؟ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَإِذْ يَرْفَعُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِذْ هُوَ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ (٢).

وسيدنا إبراهيم هو الذي ﴿... قَالَ يَتَقَوَّمُ عَنِّي بِرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝﴾ (٣) إني وجهت

(١) سورة الكافرون.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٢٠ - ١٢٣.

وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَبِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴿١﴾.

وهو الذي قال لقومه: ﴿وَاَعْتَرِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٢﴾.

وهو الذي صرح بعداوة الآلهة المزعومة التي يعبدها قومه ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَمَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجَيِّنِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ ﴿٣﴾.

وهو عليه السلام الذي توجه إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٤﴾ فالهداية من الله فقط.

وهو عليه السلام الذي أعلن براءته من عبادة غير الله وأمر أبناءه بذلك، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَافِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٥﴾.

ولذلك أعلنها النبي عليه الصلاة والسلام ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿٦﴾.

وحين شهد الكافرون أن مع الله آلهة أخرى زوراً وبهتاناً كان القول الفصل من النبي ﷺ البراءة منهم ﴿...أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧﴾.

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٨.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٢.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٥) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ - ٢٨.

(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي
الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (١).

ويعلن الله سبحانه وتعالى أن رسوله الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام
بريء من اليهود والنصارى، الذين بدّلوا دينهم، وانقسموا شيعاً، وأحزاباً ﴿إِنَّ
الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا نِهَاةً لِبَنِيهِمْ حَقِيقًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾﴾
لَا شَرِيكَ لَمْ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ (٢).

إنها براءة من المشركين، ومفاصلة تامة لمعتقداتهم، وتمييز عنهم،
فهم في واد الكفر السحيق، ونحن - معشر المسلمين - في ذرا النور
والضياء.

وكما أننا نمايزهم في الدنيا فالله سبحانه يأمرهم بالابتعاد عنا يوم
القيامة ﴿وَأَمَّا الْيَوْمَ أَنهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَا
تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ (٣).

والأنبياء الكرام كلهم أعلنوا براءتهم من المشركين، فالدين واحد.
هذا هود عليه السلام يعلن براءته من المشركين ﴿... قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ

(١) سورة غافر، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٥٩ - ١٦٣.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٥٩ - ٦٠.

اللَّهُ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴿١﴾

وهؤلاء أصحاب الكهف يعلنون توحيدهم لله سبحانه، ويستنكرون شرك قومهم ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ ﴿٢﴾

والله سبحانه وتعالى يأمرنا أن لا نعاصر من يتخذ ديننا لهواً ولعباً، ويستهزئ بآيات الله خشية أن نأنس إليهم فنكون - والعياذ بالله - مثلهم منافقين، أو كفاراً وأن لا نتخذهم أولياء، فأولياؤنا يجب أن يكونوا منا - معشر المسلمين - ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْغَرَّةُ فَإِنَّ الْغَرَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا جَامَعَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣٠﴾﴾ ﴿٣﴾

ومن سمات المسلمين أنهم يناون بأنفسهم عن اللغو واللهو ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَنَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿٤﴾ فليسوا منا، ولسنا منهم.

وعلينا معشر الدعاة أن نتمايز عنهم، فلا يكون الود إلا للمؤمنين، والحب، والأمان إلا لهم ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

(١) سورة هود، الآيات: ٥٤ - ٥٦.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) سورة النساء، الآيات: ١٣٨ - ١٤٠.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٥.

عَشِيرَتُهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ
حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿١﴾

ويحذرنا الله سبحانه وتعالى من موالاة اليهود والنصارى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَلَئِنَّ مِنْهُمْ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴿٢﴾

ويحذرنا مرة أخرى من الأهل إن كانوا كفاراً، فلا نواليهم ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى
الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَلَئِنَّ مِنْهُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُحَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴿٣﴾

لكن الله سبحانه لا يمنعنا أن نحسن إلى الكفار الذين لم يقاتلونا، ولم
يؤذونا، فالبر من سمات المسلمين، والعدل من صفاتهم، أما الذين قاتلونا
وآذونا فهؤلاء لا ينبغي الإحسان إليهم ولا موالاتهم وإلا كنا ظالمين لأنفسنا
- والعياذ بالله - ﴿لَا يَنْهَكُوكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّنْ
دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

إِخْرَاجَكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ (١).

ويؤكد ذلك في السورة نفسها «المتحنة» ناهياً عن موالاة الكافرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِئْسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ (٢).

فلا تلاقي مع الكفار أبداً فطريقنا غير طريقهم، ومآلنا غير مآلهم، ولا يجوز الركون إليهم، واتخاذهم أولياء، فليع المسلمون حقيقة أمرهم، وليحذروا منهم..

(١) سورة المتحنة، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة المتحنة، الآية: ١٣.

الاعتراف بالخطأ

فضيلة يفتقر إليها كثير من الناس، بل إنه شجاعة يقدم عليها المنصف الجدير بالاحترام. فمن اعترف بخطئه أقرّ بإنسانيته. فالإنسان خلق من عَجَل، وفيه عنصر الخطأ، ومن أقرّ بخطئه قمين أن يصلح ما أفسده. أما الذي يخطيء، ويدعي العصمة، ولا يقرّ بما اقترف ففيه لؤم ولا أمان له.

- فهذا أبونا آدم وأما حواء، حين انجرا وراء إبليس بعد أن أقسم لهما أنه صادق، فأكلا من الشجرة، وبدت لهما سوءاتهما اعترفا بالخطأ، فأقرا بذنبهما ف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٢) (١)، وقد عفا الله تعالى عنه وزوجته حين أقرا بالخطأ: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهِمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (٢٣) ثُمَّ لَعَنَهُ رَبُّهُ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (٢٤) (٢).

- وهذه امرأة العزيز حين أبى يوسف عليه السلام أن يخرج من السجن إلا إذا بُرئت ساحته، يستدعيها، وصاحباتها الملك ويسألهن: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَوَدُّنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِي قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَقْرُ حَصَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدُّنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١) (٣) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (٥٢).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢١، ١٢٢.

(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٥١، ٥٢.

- وهذا سيدنا موسى عليه السلام يستنجد به اليهودي في خصامه مع القبطي: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَعَمْتُ عَلَىٰ فُلْنٍ أَكُوتُ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ (١).

١ - علم موسى أنه أخطأ، ولم يكن يقصد قتل القبطي.

٢ - نسب هذا الفعل إلى الشيطان، ووسوسته.

٣ - استغفر ربه وأتاب إليه، فتاب الله عليه.

٤ - عاهد ربه أن لا يعود إلى مثل هذه الأمور.

وعلى هذا فإن موسى عليه السلام حين أتى فرعون يدعوه إلى عبادة الله وحده استنكر فرعون أن يكون القاتل نبياً، وذكره بقتله القبطي ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْآتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ (٢) فما كان من موسى عليه السلام أن اعترف بذلك ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ (٣).

ونسي فرعون، أو تناسى أن موسى عليه السلام قتل المصري خطأ أما هو فطاغية مجرم قتل عشرات الآلاف من المصريين، واستعبد بني إسرائيل، وكان يقتل المواليد من الذكور ليحلم رآه - قتلهم عن قصد - لكن الإنسان لا يرى ذنبه مهما كبر، ويرى ذنب غيره مهما صغر.

- وذهب موسى مع الرجل الصالح ليتعلم منه (في قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف) فلما استعجل العلم مرتين، مرة في خرق السفينة،

(١) سورة القصص، الآيات: ١٥ - ١٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ومرّة في قتل الغلام رأى في المرة الثالثة أنّه أخطأ ف: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦) ﴿١﴾.

- والله سبحانه وتعالى وعد المخطئين الذين فعلوا ما فعلوه عن جهل، وسوء تقدير، ثم استدركوا، فتابوا، بالمغفرة والرحمة ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرَّاءَ يُجْهَلُونَ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١١٩) ﴿٢﴾.

- وهؤلاء أصحاب الجنة لم يكونوا كأبيهم كرماً، وفضلاً، وإحساناً فبخلوا على الفقراء أن يعطوهم نصيبهم، فاتفقوا على قطف ثمارها وبيعها قبل مجيئهم، فأحرق الله زرعها نكاية بهم، وجزاء لهم على شحهم، وبخلهم، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (٧٨) ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩) ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنَ﴾ (٣٠) ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) ﴿عَنَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلْنَا خَيْرًا مِنَّا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ (٣٢) ﴿٣﴾ فاعترفوا بخطئهم، وأنابوا إلى ربهم واستغفروه، وأقروا بظلمهم المساكين، وظلمهم أنفسهم.

- هؤلاء أقروا بما فعلوا في الدنيا، وما زال في الوقت متسع وإن أنابوا واستغفروا رضي الله عنهم، ولكن في الآخرة لا ينفع الندم، ولا يفيد الاستغفار، ففي الدنيا عمل، وفي الآخرة حساب: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٢) ﴿٤﴾.

فماذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤) ﴿٥﴾.

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ١١٩.

(٣) سورة القلم، الآيات: ٢٨ - ٣٢.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٢.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٤.

وهؤلاء المجرمون، وهم في العذاب الشديد يدعون على أنفسهم، فهم الذين أوقعوها في جهنم، فيخبرهم الله تعالى أنه يكرههم، ويمقتهم أكثر مما يكرهون أنفسهم ويمقتونها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُسَادُّوكَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ (١٠) قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنِي وَأَحْيَيْنَا أَتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) ﴿١﴾.

- وتعال معي من قريب نلاحظ هذه الصورة، وهذا النقاش بين ملائكة العذاب، والكفار الذين اعترفوا بما اقترفوا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَلْسُ الْمَصِيرُ﴾ (٦)

إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧)

تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ

كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَائِنَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) ؟

قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

كَبِيرٍ (٩)

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)

فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴿٢﴾.

فالاقرار إذاً بالخطأ وفي الوقت المناسب ينجي من اقترفه في الدنيا حين يسامحه من أساء إليهم أما الاعتراف في الآخرة، فهو على نوعين:

الأول: الخطأ في العقيدة كالكفر بالله والشرك به، فهذا لا غفران له.

الثاني: الخطأ في التصرف، فالله غفور رحيم نسأله أن يغفر لنا خطايانا أن كنا من المؤمنين.

(١) سورة غافر، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) سورة الملك، الآيات: ٦ - ١١.

التعريض والتلميح

عَرَضَ في حديثه: لم يبيته ولم يصرخ به.
وعَرَضَ له وبه: قال قولاً وهو يعنيه، ويريده، ولم يصرح به.
ولَمَّحَ إلى الشيء تلميحاً: أشار إليه، وقديماً قالوا: (رب تلميح أوقع
من تصريح)، وقالوا كذلك: (إياك أعني واسمعي يا جارة).
وللتعريض فوائد عديدة، منها:

- ١ - التنبيه دون الاتهام والتجريح.
 - ٢ - التراجع عن الشيء دون حرج «حفظ خط الرجعة».
 - ٣ - تقبل النصيحة دون فضيحة.
 - ٤ - إيصال الأمر مغلفاً باللطف والأدب.
 - ٥ - التعميم في الحديث دون لفت النظر إلى المعنى به.
 - ٦ - المديح والتعظيم للعمل الطيب وأصحابه.
 - ٧ - الجهل بالفاعلين، أو القائلين، وإظهار الرضا، أو الامتناع.
 - ٨ - الذم والتحقير.
- وقد حرص القرآن الكريم - وهو يعلمنا - على هذا الأسلوب، لما فيه
من تلك الفوائد وغيرها.
- فهو على سبيل الجهل بالقائلين، وذمّ مقالهم، يحدثنا عن الكثير من

الناس الذين لا يصل تفكيرهم أبعد من أرنبه أنوفهم، فيطلبون الخير الزائل، والمكسب القليل النافذ فقط، وهم بذلك يقطعون على أنفسهم الفضل العميم الزائد المستمر، وعلى نفسها جنت براقش ﴿فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(١).

ويمدح مباشرة أصحاب العقول الراجحة، والنظرة الثابتة الذين تتحرك قلوبهم، وأفندتهم نحو النعيم المقيم، والخير الأبدى، إلى رضى الله وجنته ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾^(٣).

لم يحدد الطرفين، ولكنهم كثير «والناس» كم هائل، ولفظ عام ينضوي فيه أبناء آدم إلى يوم القيامة.

- ومن الأمثلة على التعريض والتلميح في التوبيخ والذم قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دَارِهِمْ فَأَخْبَرُوا آلَهُمْ بِمَا لَمْ يَحْضَرُوا فَجَاءُوا بِمُتَابِعَاتِهِمْ فَأُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾^(٣).

فقد أصاب المسلمين يوم أحد جراحات.. فما إن عادوا إلى المدينة حتى أرجف المنافقون فيها - وهم لفظ الناس الأول - أن المشركين - وهم لفظ الناس الثاني - قد عادوا إلى المدينة ليستأصلوهم.. فماذا فعلوا؟

١ - ازداد إيمانهم بالله لأنهم واثقون بنصره إياهم.

٢ - لجأوا إليه، واعتمدوا عليه، وتوكلوا عليه، وهو سبحانه لا يخيبهم.

٣ - ألقى الله تعالى الرعب في قلوب المشركين، فانكفأوا عن المدينة إلى

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠١، ٢٠٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٧٣ - ١٧٥.

مكة وعاد المسلمون راضين مطمئنين. فالشيطان يخوف أوليائه، وليس له سلطان على أولياء الله تعالى.

لكنَّ المسلمين جميعاً عرفوا المقصود من كلمة الناس الأولى، وكلمة الناس الثانية، وكذلك عرف المنافقون أنهم قد عُرِضَ بهم، فخنسوا وذلُّوا....

- ومن الأمثلة على التعريض دون التصريح في التحقير، والذم قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۖ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْفَسَادَ ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ ۝﴾ (٢٠٦) (١).

فبعض المنافقين يروق للناس كلامهم، ويشير إعجابهم بخلاصة ألسنتهم، وبلاغة بيانهم لكنَّ الله تعالى لا تجوز عليه سبحانه مثل هذه الأمور لأنه علام الغيوب، المطلع على السرائر، هؤلاء المنافقون يُشْهَدُونَ الله - زوراً - على صلاحهم المزعوم وكلامهم المعسول، فإذا انصرفوا عن المسلمين عاثوا في الأرض فساداً، فأحرقوا الزرع، وأهلكوا النسل.

وإذا وُعِظَ هؤلاء الفجرة الأفاكون، وقيل لهم: اتقوا الله، وانزعوا عن أقوالكم وأفعالكم القبيحة حَمَلَتْهُمْ الْأَنْفَةُ، وحمية الجاهلية على الإغراق في الفساد، والإمعان في العناد، فعقوبتهم النار، أعادنا الله من عذابها.

- أما المؤمنون الأتقياء، فهم بريئون ممَّا يفعل أولئك، بل إنهم يبيعون نفوسهم لله سبحانه، يرجون ثوابه، ويبتغون مرضاته، وهؤلاء هم الذين سيرحمهم الله، ويغفر لهم، فهو الرؤوف الرحيم بحالهم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا منهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۝﴾ (٢٠٧) (٢).

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

- ومن الأمثلة على التعريض بالمفسدين علماً بما يفعلون، وتحذيراً منهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ يَبْغِي عَلَيْهِ وَيَخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ (١).

فكل من يشتري ما يلهي عن طاعة الله، ويصد عن سبيله، مما لا خير فيه، ولا فائدة نحو السمر بالأساطير، والتحدث بما يضحك، وما لا ينبغي، ليضل الناس عن طريق الهدى، ويبعدهم عن دينه القويم، بغير حجة، ولا برهان، ويستهزئ بكتاب الله له عذاب شديد مع الذلة والهوان.

فإذا أهتمته ما يجب أن يفعل ليكون من عباد الله المتقين، ونهيته عن مبالذله ومفاسده صك أذنيه، وأدبر متكبراً كأنه لم يسمعها، ويتغافل عنها راعباً عنها، فلهذا ولأمثاله عذاب أليم.

والآيات التي استشهدنا بها بدأت كلها بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ دون أن يحدددهم للأسباب التي ذكرناها. وأصحابها يعرفون أنفسهم، فيغتاطون، والمسلمون يعرفونهم، فيحذرونهم، ويتجنبون الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء.

- ومن الأمثلة على التعريض توبيخاً، وذمماً، وتقريعاً قوله تعالى في المنافقين: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفَنَّهُمْ بِسِيمَتِهِمْ

وَلَتَعَرَّفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ (٢).

فهؤلاء المنافقون يعتقدون أن الله تعالى لن يكشف للمؤمنين شكهم ونفاقهم، وأنه لن يظهر بغضهم، وحقدهم على المسلمين.. بل إنه - سبحانه - فاضحهم، وكاشف أمرهم، ولو أراد الله سبحانه لعرف رسوله عليهم بأشخاصهم، وعلاماتهم.. كما أنهم يكشفون أنفسهم في طريقة كلامهم وأسلوب عرضه، وتعريضهم بما يسيء للإسلام والمسلمين.

(١) سورة لقمان، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) سورة محمد (ﷺ)، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

والله سبحانه وتعالى يعلم ما في قلوب عباده كلهم، شاكرهم،
وعاصيهم، مؤمنهم وفاجرهم، وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ هو
التعريض والتلميح نفسه، فلحن القول عدم التصريح به.



القصد والاعتدال

قالوا قديماً: (خير الأمور أوسطها) والوسط: الاعتدال، فهو يأخذ من الطرفين المختلفين أحسن ما فيهما، ويترك سيئهما، فيجمع الخير منهما ويُسقط ما عدا ذلك.

وقال رسول الله حاثاً على التآني: «إن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى».

وحين كلفنا الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا سوى ما نستطيعه، فقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١)، فلم يرهقنا، ولم يأمرنا بما يقصم الظهر، ويهد الكاهل، بل ما نقدر عليه لنقوم بفروض الطاعة وقد قيل: (إذا أردت أن تطاع فأطلب المستطاع).

وحين نزلت الآية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) جثا المسلمون على ركبهم، وأكل الخوف قلوبهم، فما من أحد إلا والأفكار تساوره من كل مكان، ويخطر على بال أحدهم ما يُسلم عنقه للقطع، ولا يبوح بما خطر على باله، فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا تقولوا كما قالت يهود سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»، فلما قالوها وذلت بها ألسنتهم أنزل الله

(١) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

تعالى قوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ (١).

فارتاحت قلوب المسلمين، وهدأت نفوسهم، ورجوا من ربهم التيسير، فنزلت الآية الأخيرة من سورة البقرة:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا

رَبَّنَا وَلَا تُحِيزْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

وَاغْفِرْ عَنَّا وَارْحَمْنَا

أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (٢).

- والقصد في كل شيء عنوان المسلم، فلا يذهب يميناً، ولا يذهب شمالاً بل يكون معتدلاً في كل تصرف من تصرفاته.. قال تعالى على لسان لقمان يعظ ابنه:

﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٨٧﴾﴾

وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٨٨﴾﴾ (٣).

- وقال الله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٢٩﴾﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٣) سورة لقمان، الآيتان: ١٨، ١٩.

كَانَ يِعَادُوهُ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴿١﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّكُمْ كَانُمْ مَنصُورًا﴾ ﴿٣٦﴾

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٧﴾ ﴿٢﴾.

﴿وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٣٨﴾

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٩﴾ ﴿٣﴾.

فإذا أمعنا النظر في الآيات السابقة وجدنا أنه:

١ - لا ينبغي للمسلم أن يكون بخيلاً شحيحاً، ولا مبذراً مسرفاً: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٤﴾، والتبذير في معصية الله والباطل يجعل صاحبه مثل الشيطان.

٢ - فمن بخل، أو أسرف صار مذموماً من الخالق والخلق، منقطعاً من المال.

٣ - وأن القتل إجرام حرّمه الله، وعاقب عليه أشدّ العقاب، ولا يكون القتل إلا في ثلاثة مواضع معروفة، أوجبها الله.

٤ - وأن من قُتل ظلماً بغير حق يوجب قتله، فقد جعل الله لوارثه سلطة على القاتل بالقصاص منه، أو أخذ الدية، أو العفو، فلا يتجاوز الحد المشروع بأن يقتل غير القاتل، أو يمثل به، أو يقتل اثنين بواحد فعل أهل الجاهلية، وحسبه أن الله نصره على خصمه، فلا يتجاوز حدّ القصد، والاعتدال.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٧.

٥ - وأن التصرف الحسن بمال اليتيم تسميره، وحفظه أما أكله، فهو ظلم كبير ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (١).

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا

وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعِِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (٢) فجاز الأكل من مال اليتيم بالقدر القليل، فلا يفنيه أو يأكل منه كثيراً.

٦ - وأن السير الذي يرضيه الله تعالى ما ليس فيه فخر، ولا كبرياء، ولا تعاضم، ولا مباهاة.

- كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام رسول يبلغ رسالة ربه، ويدعو إلى الإيمان به والعمل بما يرضيه، وهناك من يؤمن به، فيفرح وترتاح نفسه، وهناك من يكفر، ويأبى الإيمان، فيحزن الرسول الكريم، ويتألم لإعراضهم، ويشتد حزنه، فينبهه الله تعالى أن لا يشغل باله فيهم كثيراً، ويهلك نفسه لإعراضهم: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ آسَفًا﴾ (٣).

﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٤).

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ (٥).

فالحزن إذاً من شيمة المسلم الحساس، وهذا أمر إيجابي ولكن حين يزيد عن حده يصبح سلباً.. فالاعتدال مطلوب.

- وكل أمر يفعله الله تعالى حكمة واعتدال ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٦).

(١) سورة النساء، الآية: ٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٦.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ٣.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٦) سورة القمر، الآية: ٤٩.

حتى الرزق ينزله بقدر حتى لا يطغى الناس ويفسدوا، وهو الذي يعرفهم لآته الذي خلقهم، فلا يفتح عليهم ما يزيدهم طغياناً ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدْرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) (١).

- وهذا قارون ازداد ماله فبغى، وطمعى، وهو مثال للإنسان الذي يكثر ماله، فيرى نفسه فوق الجميع ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْرِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحِمَهُ لَتَمُوتُنَّ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (٧٦).

وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ
وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴿٢﴾

فقارون:

- ١ - بغى على قومه، وكان حرياً به أن يكون عوناً لهم.
- ٢ - ونصحه قومه خمس نصائح:
- أ - أن يتخلى عن الكبر، والبطر، وينقلب إلى شكر النعمة، والاعتراف بفضل الله.
- ب - أن يوظف أمواله في خدمة دين الله، وابتغاء الآخرة.
- ج - والإسلام كما علمنا دين الاعتدال، فلا ينسى نصيبه من الدنيا.
- د - أن يحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليه ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾ (٣).

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٢) سورة القصص، الآيات: ٧٦ - ٧٨.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

هـ - أن لا يتناول على الناس بهذا المال، ويفسد ضعفاءهم، فيشتري ذممهم بالمال.

٣ - ادعى قارون - وهو كاذب مدّع - أنه كسب المال بذكائه، ونبوغه، وعبقريته.

ويرى من تدبر هذه الآية أن فيها دعوة إلى الحق، والقصد في التصرف.

- وقد تكون النعمة نقمة حين يفرح الإنسان بها، والفرح كما مر معنا في الآية السابقة، البطر والأشر، والتعالي على الناس والتناول، والنعم قد تكون صحة، وغنى، وأمنًا.

- وحين يقترب الناس الآثام يصيبهم جزاء ما اقترفوه جذب ونقمة وبلاء وشدة فيبالغون في الجحود والنكران والكفران. أما المؤمن فإنه إن أعطى شكر، وإن منع صبر، فكان له الخير في الأمرين ﴿..... وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فََرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (١).

- ولماذا يقول الله سبحانه وتعالى مهدداً المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ (٢). التهديد سببه أنهم لا وسطية عندهم، والوسطية إعطاء كل ذي حق حقه والتصرف مع الناس بما يرتضونه لأنفسهم، ولا يلتزمون الحد الشرعي، ولا الحد المنطقي فقدوا العدل والاعتدال، والقصد وتاهوا في الضلال.

- وعاتب الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم في منع نفسه ما أحل الله له من النساء لأن زوجته غاضبتاه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٨.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٦.

مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

ولاحِظِ الخطابَ المشعِرَ بالتوقيرِ والتعظيمِ، والتنويه بمقامه الشريف حين خاطبه بلفظ النبوة لا باسمه كما خاطب بقية الأنبياء بأسمائهم... فقال له متلطفاً لماذا تمنع نفسك ما أحلَّ الله لك، وتضيّق على نفسك في مرضاة أزواجك، وهنَّ أخرى أن يتعبن أنفسهن في مرضاتك، فأرح نفسك من هذا العناء.

فقد امتنع رسول الله ﷺ عن ماريّة - ولقاء المرأة أنس ومتمعة - ليرضي خاطر بعض أزواجه، وكان له أن لا يمتنع عنها...

وهذه اللفتة تدعو إلى الوسطية في التصرف، والابتعاد عن الإغاثات. - وأخيراً، يقول الله تعالى: ﴿أَتَكُونُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ...﴾ (٢)، فالله تعالى يأمر المسلمين الذين يطلقون زوجاتهم أن يسكنوهن في بعض مساكنهم التي يسكنونها، وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة.. فلا يكلفهم الله سبحانه وتعالى إلا ما يستطيعون...

فالقصدُ القصدُ في المعاملة، والاعتدالُ الاعتدالُ.



(١) سورة التحريم، الآية: ١.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٦.

أسلوب الحكيم

قد يسأل أحدهم سؤالاً، فتجيبه بغير ما يترقبه إما بترك سؤاله، والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصده إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى.

- من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (١).

هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم يسألون رسول الله ﷺ عن الأهلة، لم تبدو صغيرة ثم تزداد حتى يتكامل نورها، ثم تتضاءل حتى لا ترى، وهذه مسألة من مسائل علم الفلك، يحتاج في فهمها إلى دراسة دقيقة طويلة، فصرفهم إلى بيان الحكمة من الأهلة، وكأنه يقول: كان الأولى بكم أن تسألوا عن حكمة خلق الأهلة، لا عن سبب تزايدها في أول الشهر وتناقصها في آخره، فهي وسائل للتوقيت في المعاملات، والعبادات.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ قَلِيلًا لِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (٢).

سأل الصحابة عن بيان ما ينفقون - ما الذي ينفقونه - فأجابهم ببيان المصارف، تنبيهاً على أن المهم هو السؤال عنها، لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها. وكل ما فيه خير فهو صالح للنفقة.. فالمال ينفق منه،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

والطعام كذلك ينفق منه، ومساعدتك الآخرين في أمورهم وتفريج كربهم نفقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة.. إذاً ليس المهم ماذا تنفق فهو كثير، ومتنوع، وشامل إنما الأهم معرفة المواطن التي يجب أن يكون الإنفاق فيها.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (١).

فقد سأل الصحابة رضوان الله عليهم رسولهم الكريم: أيجوز القتال في الشهر الحرام؟ وهل يحل ذلك؟ إننا نحسب ذلك حراماً، ومن فعله أخطأ خطأ ذريعاً. فنبه القرآن إلى أن القتال فيه، وإن كان خطأ جسيماً، ووزراً عظيماً، إلا أن هناك ما هو أعظم وأخطر، إنه الصّد عن سبيل الله، وكفر بالله، ومنع المؤمنين عن دين الله، وإخراجهم من مكة.. كل هذا أعظم وزراً، وذنباً عند الله من قتل من قتلتم من المشركين في هذا الشهر الحرام، فإن استعظم المشركون قتالكم لهم في الشهر الحرام، فليعلموا أن ما ارتكبوه في حق النبي ﷺ والمؤمنين أعظم وأشنع.

- ومن أسلوب الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ (٢).

فالصحابة يسألونه ﷺ عن سبب حيضة المرأة، فينبههم الله تعالى إلى أمور عدة غير ما سألوه ﷺ عنه فأخبرهم أن الحيض:

أولاً: أذى يصيب الزوجين لأنه شيء مستقذر، فاجتنبوا النساء فيه مدة حيضهن.

ثانياً: فإن طهر المكان، وصار نظيفاً حقاً للرجال معاشرة أزواجهن،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

والتمتع بهنّ، وقد كانت العادة عند اليهود أن المرأة إذا حاضت عندهم نبذوها، فلم يجالسوها ولم يؤاكلوها فنبههم القرآن أن الغرض عدم المعاشرة الزوجية فقط، فالنساء شقائق الرجال.

ثالثاً: فإذا طهرت المرأة، فأتوهنّ في المكان الذي أحله الله لكم، وهو مكان النسل والوليد، القُبْلُ لا الدُبُرُ، فالله يحب التوابين من الذنوب المنزهين عن الفواحش والأقذار.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦١) (١).

فالمنافقون يبسطون ألسنتهم في أذنية الرسول ﷺ، ويقولون: إن عاتبنا حلفنا له أننا ما قلنا في حقّه ما يسيء، فيقبله منا، فإنه أذن سامعة يصدق كلّ ما يقال له!! وهذا سوء أدب منهم في حقّه ﷺ! ولكنّ الرسول الذكي الأديب الأريب الذي رباه ربه، فأحسن تربيته، ووصفه بالخلق العظيم يستمع للصادق في صدقه، حتى إذا فرغ شيعه بالدعاء، وبشّ في وجهه، ويستمع للكاذب في كذبه حتى إذا فرغ لم يجبهه، بل شيعه بكلمات تعلمه الأدب دون أن يجرح نفسه لأنه المربي.. القدوة.. وأصحاب الأدب يحمدون له هذه الصفة، فلا يجلّ الكريم إلا الكريم.. أما اللئام فيحسبون - لخناسة نفوسهم وسوء طبعهم - أن الرسول الكريم سماع لكل قول.. يصدق كلّ إنسان، يجوز عليه الكذب والخداع، لا يفتن إلى زور القول وغشّه، من حلف له صدقه، ومن دسّ عليه قولاً قبله.

فيردّ القرآن معلماً، ومنبهاً، فيقول: إن رسول الله ﷺ أذن.. نعم.. ولكنه أذن خير للمسلمين يبلغهم رسالة ربهم، التي فيها الخير والفلاح، وأذن خير للمنافقين، يستمع إليهم، ويعلم أنهم كاذبون، فلا يجبههم بخداعهم ونفاقهم، ولا يصدقهم فيما يقولون فالله أرسله رحمةً للعالمين، أما

(١) سورة التوبة، الآية: ٦١.

الذين يؤذون رسول الله ﷺ، فحسبهم الذلة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

- ومن أسلوب الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ (٢٠) (١).

فهؤلاء الكفرة المعاندون يقولون معاجزين - وكأن الأمر بيد رسول الله ﷺ يفعل ما يشاء - هلاً أنزل على محمد ﷺ معجزة من ربه كما كان للأنبياء من قبل من الناقة، والعصا، واليد، وما إلى ذلك من المعجزات... فينبه القرآن هؤلاء المجرمين إلى أن أمر الغيب لله وحده، ولا يأتي بالآيات إلا الله سبحانه. أما الرسول ﷺ، فيبلغ ما أمره الله تعالى به، وينتظر قضاء الله فيما يريد، وما على الرسول إلا البلاغ المبين أفلا ترونه بشراً مثلكم يأكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون؟!.

- ومن أسلوب الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) (٢).

جاء الكفار يسألون رسول الله ﷺ عن ماهية الروح، وكيف تدخل الأجسام، ولماذا تخرج منها... فنبيههم القرآن الكريم، أنه كان عليهم أن يعرفوا حدود علمهم، وأن يسألوا عما يهمهم ويفيدهم في أمر أخراهم، لا أن يسألوا عن أمور لن يصلوا إلى فهمها بعلمهم القليل الضحل، فالروح من أمر الله تعالى، وأسراره، وما أوتي الإنسان من العلم إلا قليلاً..

- ومن أسلوب الحكيم في القرآن الحكيم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)﴾ (٣).

هؤلاء الكفار يمتعون القضية، فيسألون عن خلق الجبال، وارتفاعها،

(١) سورة يونس، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة طه، الآيات: ١٠٥ - ١٠٧.

وعظمتها، فينبه القرآن في جوابه إلى أنّ عليهم أن يعلموا أمرين، حدوثهما خطير:

الأول: أن هذه الجبال الشاهقة المتسامقة علوّاً، التي تناطح السحاب بكلّكلها الضاربة في أعماق الأرض أوتادها.. إذا جاء يوم القيامة ينسفها الله تعالى نسفاً، فيفتتها كالرمل، فيتركها ملساء مستوية لا نبات فيها، ولا بناء، ولا انخفاض، ولا ارتفاع.. إنه ليوم عظيم هائل لا بدّ قادم.

الثاني: أن الناس في هذا اليوم ينطلقون سراعاً إلى أرض المحشر لا يزيغون، ولا ينحرفون، ذليلةً لهيبة الله تعالى ساكنة أصواتهم، لا يتكلمون إلا من أذن له الله تعالى في القول.. إنه ليوم رهيب على العاقل أن يسأل عنه ويؤمن به، ويعمل له، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ونية خالصة...

إن أسلوب الحكيم أخذ بيد السائل إلى الاهتمام بما ينفع ليصل به إلى بر الأمان وشاطئ السلامة.. وقد كان رسول الله ﷺ المعلم الرائع في أحاديثه الشريفة، يسير على هدي القرآن وينير بهذا الأسلوب العظيم درب الإنسان... فهلاً كنا تلاميذ له نُجاء!!؟.



الحكمة

تعريفها:

- ١ - الوصول إلى أفضل الأهداف، بأفضل الطرق، وأنسبها.
- ٢ - وهي - أيضاً - العلم والحِلم، وصواب الأمر وسداده، والكلام الموافق للحق.

وبما أن السنة النبوية المطهرة توافق التعريف الثاني، فقد وردت الحكمة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

ووردت كذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢).

وتأتي الحكمة في القرآن الكريم في معاني كثيرة منها:

- ١ - العلم النافع المؤدي إلى العمل الصالح كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

٢ - السداد في القول، والعمل كما في قوله تعالى يمدح عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (٤٨) (١).

٣ - اللين والرفق، والأسلوب الحكيم المؤثر كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢) وليس هناك أحسن من التلطف والهدوء، والحجة، والبرهان الواضح المقنع دون تشنج، وعصبيّة.

- ومن الأمثلة الموافقة للتعريف الأول في الدعوة إلى الله تعالى قوله سبحانه:

١ - ﴿لَا يَتَّبِعِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَكُمْ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨) (٣).

أ - فالقاعدة أنه لا ينبغي موالاته الكافرين.

ب - ومن الأهم تعرّض للطرد من جماعة المسلمين، فلا يلتقي كفر وإيمان.

ج - وقد يكون هناك حكمة من ملاينة الكافرين، ومتابعتهم أحياناً لسبب ما تقاة منهم ودرءاً للمخاطر، وجلباً للمنافع، فلا بأس إذ ذاك من إظهار غير ما نبطن، والحذر مطلوب، لكن دون المساس بالقواعد الإيمانية والأصول الإسلامية.

٢ - وقوله سبحانه على لسان أهل الكهف: ﴿فَتَأْتُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

يُعِيدُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٢٥﴾^(١).

١ - فقد شعروا بالجوع بعد أن استيقظوا من سباتهم الطويل، وهم يحسبون أنهم ناموا يوماً، أو بعض يوم.

٢ - أرسلوا أحدهم ليأتيهم بطعام طيب، وأمره بالتستر والملاطفة كي لا يظنوا به الظنون، فينكشف أمره، ويدل على أصحابه، فتكون العاقبة أليمة.

٣ - وقوله سبحانه في التزام مَنْ كان سباقاً إلى الإسلام: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴿٢٨﴾﴾^(٢).

فالكفار حين دعاهم الرسل صلوات الله عليهم إلى الإيمان تذرّعوا بأعذار كثيرة واهية منها: أنهم لن يؤمنوا بهم، فلا يكونون وضعفاء المسلمين سواء بسواء فقالوا: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴿٣﴾﴾.

فكان جواب القرآن الكريم: ﴿إِنْ حَسِبْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾^(٤).

وهؤلاء الكفار غير صادقين، والمؤمنون الضعفاء سباقون إلى الإسلام، باعوا أنفسهم لله، واستبعادهم ولو قليلاً يؤدي إلى:

أ - إيذاء مشاعرهم، وصدمة صدمة عنيفة تفسد عليهم دينهم.

ب - طمس فضلهم في خدمة الإسلام، وسبقهم إلى الإيمان، وهذا إجحاف بهم، وظلم نفّر الإسلام منه فكيف يؤصله؟!.

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١١١.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١١٣، ١١٤.

ج - خسارة مزدوجة - لا سمح الله - فهؤلاء الكفار لن يؤمنوا، أما الذي آمن ورأى الظلم ما زال واقعاً عليه، فسيرتد، أو يضعف إيمانه.

ولذلك أردف الله سبحانه تلك الآية بقوله مهدداً الكفار واعدأ إياهم بالعذاب الشديد: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَزَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفَرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩) (١).

وأتبعها بما يثلج صدور المؤمنين السابقين إلى الإيمان فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ يَنصَبُ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣١) (٢).

وأكد هذا بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾ (٣).

فالحكمة من هذا التلطف الاعتراف بالسبق إلى الإسلام، وتشجيع الإيمان في نفوس السابقين إليه، ورفع درجاتهم.

٤ - ومن الأمثلة على الوصول إلى أفضل الأهداف بأفضل الوسائل قوله

تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام مخاطباً أباه يدعوهُ إلى الإيمان: ﴿يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٢)

يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣)

يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤)

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٣٠، ٣١.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٥٤.

يَتَأْتِ إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴿١﴾
فهو يحب أباه ويريد له الخير . . فكيف خاطبه؟ :

أ - تلتطف إليه بقوله: (يا أبت) ليدخل إلى قلبه المتحجر .

ب - نبهه إلى خطئه في عبادة الأصنام، وهوّن من شأنها .

ج - أعلمه أن الله وهبه علماً نافعاً، وهو يريد لوالده الهداية .

د - حذره من إتباع الشيطان المؤدي إلى المهالك .

هـ - خوّفه من عذاب الله .

و - كرّر كلمة يا أبت ليخفف عليه وطأة التغير، وليمتص غضبه .

فالحديث مع الأب والأم وذوي المكانة في نفس المتكلم يستدعي التلطف، واللين، والرفق، وهذا من الأسلوب الحكيم الذي يدخل فيه الإنسان إلى قلوب الناس، أو يحدّهم على الأقل ويستل الضغينة من نفوسهم .

٥ - ومن الأمثلة أيضاً: التعريض والتلميح في العتاب خاصة لمن تحب، مع إظهار الحب والودّ .

وألطف ما رأيت ذلك العتاب الرفيق، والتحبب الرقيق من سيد الكائنات وخالقها لحبيبه سيد المخلوقات . . سبحانه الله . . والصلاة على رسول الله . . .

وذلك في قوله سبحانه: ﴿طه﴾ مَّا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكُرُهُ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ . وذلك حين قام رسول الله ﷺ الليالي مع أصحابه في مكة صلاة وقراءة، وتدبراً، فقال الكافرون: ما أنزل الله هذا القرآن على محمد إلا ليشقى!!! وكأن لقاء الله، ومناجاته عذاب وشقاء!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم!! .

وفي قوله: ﴿عبسَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ فلم يقل الله تعالى

(١) سورة مريم، الآيات: ٤٢ - ٤٥ .

(٢) سورة طه، الآيات: ١ - ٣ .

(٣) سورة عبس، الآيتان: ١ ، ٢ .

لنبيه عبست، وتوليت أن جاءك الأعمى.. بل جعله في صيغة الغائب، وهذه حكمة الله في تعليم نبيه ﷺ.

ففي الآيات الأولى من سورة طه كان الحديث مباشرة لأن فيها دفعاً للأقويل، وتشجيعاً على المثابرة في قيام الليل.

وفي الآيتين الأوليين من سورة عبس عتاب رفيق استوجب التعريض، والتلميح، فرسول الله ﷺ اجتهد حين جاء ابن أم مكتوم يسأله، وعنده رجالات من قريش يأمل أن يؤمنوا به وبرسالته، فاستأخره حتى ينتهي من لقائهم.

- ومن الأمثلة أيضاً في الحكمة المشاكلة والمشاكلة:

فقوم فرعون كانوا ماهرين في أعمال السحر، فكان من الحكمة - والله أعلم - أن تكون معجزات سيدنا موسى، العصا التي صارت حية، وإخراج اليد من الجيب، فتلمع بيضاء من غير سوء، وضمها إلى جنبه، فيذهب عنه الخوف إن شاء الله، ويثبت جنانه.. قال تعالى: ﴿وَأَن أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذُنُوبُكَ بَرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (١).

والأمثلة على التصرف المناسب لكل موقف أيأ كان، والحكمة في معالجة الأمور كثيرة، تدل على حكمة العليم القدير الذي علّمنا ما لم نكن نعلم.

وأخيراً، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ (٢).

(١) سورة القصص، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

- ١ - فقد يسيء إليك أحدهم، وينتظر منك أن ترد على إساءته بإساءة مثلها، أو أشد منها، فهو متوثب حذر.
- ٢ - فإذا بك تتغاضى عن إساءته، أو تسامحه، أو تتقدم إليه متحياً ناصحاً متودداً.
- ٣ - يشعر أنه أخطأ نحوك، فتقلب عداوته لك شعوراً بالذنب، ورغبة في تصحيح موقفه.
- ٤ - يتقرب إليك، ويحبك بإخلاص وود.
- فهل هناك أعظم انتصاراً مما فعلت.
- أ - انتصرت على نفسك الأمانة بالسوء.
- ب - انتصرت على الخلاف بينكما فمحوته.
- ج - انتصرت على كيد الشيطان.
- د - اكتسبت أخاً محباً مخلصاً.
- ٥ - وكل ذلك بالصبر والمصابرة، وما يستطيع كل إنسان ذلك، إنما يفعل ذلك من كان ذا حظ عظيم، وأخلاق رائعة.



التفكير المنطقي (المحاكمة العقلية)

يدعونا القرآن الكريم دائماً إلى التفكير وإعمال الذهن للوصول إلى الحقيقة، والآيات في هذا الصدد كثيرة تملأ الصفحات منبهة إلى أن «أولي الألباب» والذين يتفكرون، والذين يعقلون، ومن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد... هم المؤمنون حقاً.

والإيمان التقليدي لا يجدي فتيلًا. أما ما قام على تفكير صحيح، ومحاكمة عقلية سليمة فهو الإيمان الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى.

فهلمّ نقتطف من رياض القرآن العظيم بعض هذه الأنوار التي تدفع المسلم أن يلاحظ ويفكر، ليصل إلى القرار الصحيح.

- فاليهود يدّعون أن أخطأهم قليلة، يدخلون لأجلها النار أياماً معدودة، ثم يخرجون منها إلى الجنة، ونرى القرآن الكريم يردّ إفكهم: أهذا ما عاهدكم الله عليه؟! - والله لا يخلف الميعاد - أم إنكم تفترون على الله ما لا تعلمون؟ ثم يقرر بعد هذا التوبيخ أن من أصاب سيئة، وأحدقت به هذه الخطيئة فهو خالد في النار جزاء كفره وعناده ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أُنْصَابًا مَّغْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَكُونُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ (١).

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٨٠، ٨١.

- أما النصارى فيقولون زاعمين: إن عيسى ابن الله، وإلا فأين أبوه؟! ويعجبون أن يولد هذا النبي دون والد، ونسوا أن أعجب منه آدم عليه السلام إذ خلقه الله تعالى دون أم وأب، فهو قادر على كل شيء سبحانه ﴿لَنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) (١).

- واليهود والنصارى كلٌ يدعي أن إبراهيم منهم، وهذا زعم عجيب فالمعروف أن التابع يأتي بعد المتبوع، وإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء، من نسله جاء اليهود والنصارى فأحرى أن يتبعوه في توحيد الله تعالى.. ويلفت القرآن الانتباه إلى أن رسول الله محمداً ﷺ ومن آمن به جاءوا على دين التوحيد، فهم أولى بإبراهيم عليه السلام ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٦٥) (٢).

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٦٧) إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٨) (٣).

- ولمن تكون التوبة؟ ومتى يقبلها الله تعالى؟.. تكون لمن أخطأ عن جهالة ثم استغفر الله تعالى، واستقام على الحق سريعاً، أما من سدر في غيّه، وأصرَّ عليه إلى الغرغرة فهذا لا توبة له، وكذلك لا يقبل الله التوبة من الكافر.

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٧٧) وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنِّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٧٨) (٤).

- والله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، فهو يرسل رسله إلى الناس يبشرون بالجنة من أطاعه، وينذرون بالنار من عصاه، فالمؤمن المصلح لا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٧، ١٨.

يخاف ولا يحزن، والكافر المكذب يعاقب جزاءً وفاقاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بَسْمُ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٤٩) (١). وبهذا نقول: (قد أعذر من أنذر).

- ونرى التفكير المنطقي عند مُرافق زوج المرأة التي راودت سيدنا يوسف عن نفسه فلما فوجئت - وهي تشد النبي يوسف عليه السلام إليها - بزوجه ادّعت أنه تحرّش بها، فنفى يوسف عن نفسه التهمة وألصقها بها وهذا حق فقال المرافق:

﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (٢٦)
وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (٢٧) (٢).

لأنه لو شدّها فسوف تدافع عن نفسها وتشق قميصه من أمام ولو هرب منها، فشده، فسوف تشق قميصه من الخلف ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كِبِدِكُنَّ إِنَّ كِبِدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٢٨) (٣) وهكذا ثبتت براءة يوسف عليه السلام.

- ونرى المنطقية في ردّ القرآن على الكفار الذين تعجبوا من إرسال بشرٍ نبيٍّ، واحتجوا بأن النبي إذا كان ملكاً كان ذلك أدعى إلى التصديق، فكان جواب القرآن أن الله يرسل إلى كلِّ جنس نبياً من جنسه كي لا يكون هناك انبهار وقهر ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمُوتُ مَطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥) (٤).

- وترى القرآن يسأل في محاكمة عقلية سليمة، مَنْ خالق السموات، والأرض، وله التصرف، والقوة؟، فيجيبون: الله، فيقول معقّباً: ما دام هو

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.

الخالق فهل تستطيع الآلهة المزعومة أن تمنع نفعه إن أراد نفعي، أو تدفع ضرره إن أراد ضرري؟ .. والجواب لا تستطيع .. فلمن نلتجىء إذا؟! لا شك أن الالتجاء إلى الله، ... فهو حسبنا، وعليه توكلنا.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (١).

- ويؤكد هذا حين يستنكر أن يتخذ الناس من هذه الآلهة المزعومة شفعاء يوم القيامة وهي من صنعهم، لا تضر ولا تنفع، بينما الشفاعة الحقّة لله تعالى الذي يملك السموات والأرض، وإليه نعود، ونعرض عليه ﴿أَوِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ ﴿٤٣﴾﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَمْ يَلِكْ لَكُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (٢).

- أما مؤمن آل فرعون فإننا نرى في تحليله الأمور محاكمة عقلية راجحة ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ؟ أ - وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَلَعَلَّهِ كَذِبٌ كَرِيمٌ﴾

ب - وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴿٣﴾﴾.

ثم يقرر قاعدة رائعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٤).

وينبه هذا الرجل المؤمن إلى أننا اليوم نملك القوة فماذا نفعل حين يأتي عذاب الله؟! ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ؟ ﴿٥﴾﴾.

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢٨.

(٥) سورة غافر، الآية: ٢٩.

- وتكرر المحاجة والمجادلة بين ملائكة العذاب والكفار:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ﴾ (٤٩)

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيَكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَالُوا بَلَىٰ

قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ (١).

إنها محاكمة عقلية فقد جاءتهم الرسل بالبينات، فكفروا، فكان عقابهم حتماً لازماً.

- وتعال معي إلى الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان - مراحل الخلق والحياة - وبما أن الخالق هو الله، فبيده كل شيء وهذا أمر - أيضاً - لا يختلف فيه اثنان من أهل العقول ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن رُّبَابٍ ثُمَّ نَضَعُ مِنْ نَّفْسِكُمْ مِمَّنْ نَّفَخَ فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَنَبْرِئُنَا مِن طِينٍ ثُمَّ نَسْفِكُهَا ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّنْفِقُ مِن قَبْلِ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلَ مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١٧) ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢٨) (٢).

- والكفار من المشركين وأهل الكتاب يجعلون الملائكة إناثاً فيؤيخهم القرآن: هل شهدتم خلق الملائكة حتى حكمتهم بأنوثتهم.

والمشركون وهم مخلوقون يكرهون الإناث، فكيف يرضون للمخلوق ما يكرهون؟! أمر عجيب. مع أن الذكور والإناث سواء: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَ وَجْهُهُ مُسْوِداً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (١٧) (٣).
﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩) (٤).

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٧.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

- ويدعي النصارى واليهود أن الله ولدًا وهذا أمر عجيب، وبهتان كبير.. لماذا؟! إن الولد يأتي عن شهوة الجماع، والرغبة في دوام النسل، فتقبلات الدهر حياة وموت واستبدال قوم بقوم.. والله سبحانه حي لا يموت منزّه عن النقائص كامل كمالاً مطلقاً فهو سبحانه لا يحتاج لولد فكل شيء عبيد له خاضعون لسلطانه.. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۖ تَتَنَسَّقُ الْأَرْضُ وَتُخَرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُبْلِغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩١﴾ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٢ وَكُلُّهُمْ أَتَاهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٣﴾ (١).

- وترى القرآن يفتح عقول الناس بهذه الأسئلة الأربعة التي لا تحتاج جواباً باللسان إنما بالقلب والعنان، والتدبر والتفكير والحسبان.

١ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ۝٩٤﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۝٩٥﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٩٦﴾ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ أَمْنَكُمْ وَنُفْسَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٩٧﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٩٨﴾ (٢).

٢ - ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۝٩٩﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّزَّاعُونَ ۝١٠٠﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝١٠١﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ۝١٠٢﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝١٠٣﴾ (٣).

٣ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ۝١٠٤﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ۝١٠٥﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تُشْكِرُونَ ۝١٠٦﴾ (٤).

٤ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۝١٠٧﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ۝١٠٨﴾ نَحْنُ

(١) سورة مريم، الآيات: ٨٨ - ٩٥.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٥٨ - ٦٢.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣ - ٦٧.

(٤) سورة الواقعة، الآيات: ٦٨ - ٧٠.

جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ (١)، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾ (٢)
ولا نملك إلا أن نسبح باسم الله العظيم...

- وتابع معي هذه الاحتمالات التي تراود المشركين في الصدّ عن سبيل الله ومغالطة الحقيقة الساطعة التي لا تحتمل جدالاً إلا في أوهام المشركين، وليس لها من الصدق شروى نقيير إلا في خزعبلاتهم، احتمالات يطرحها القرآن، يلجم بها تخرصات المتخرصين وإفك الآفكين.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبَّ الْعَمُونَ؟﴾ ﴿٣٠﴾

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَهْلُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ !!؟ ﴿٣٢﴾

أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُكُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ! ﴿٣٣﴾

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ !! ﴿٣٤﴾

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ !!؟ ﴿٣٥﴾

أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفِقُونَ . ﴿٣٦﴾

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُهَيِّطُونَ ؟ ﴿٣٧﴾

أَمْ لَهُمْ سُلٌُّ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ !!؟ ﴿٣٩﴾

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ؟ ﴿٤٠﴾

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧١ - ٧٣.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٤.

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ (١).

- وأخيراً، نجد في سورة القلم، استفهاماً استنكارياً واحتمالات تدحض - حين يتمعن فيها القارئ - أكاذيب المشركين.

﴿أَفَجَعَلَ السَّالِينَ كَالْجَرِيمِينَ﴾ (٣٥)!!؟

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)!!؟

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخْتَرُونَ (٣٨)!!؟

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩)!

سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠)

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ (٢).

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ يَنْفَرُونَ مَثْقَلُونَ﴾ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ (٣).

إنك ترى الدفع إلى التفكير المنطقي، والمحكمة العقلية، يوصل - إن كنت منصفاً - إلى الجواب الصحيح. نسأل الله تعالى أن نكون من المنصفين.



(١) انظر: سورة الطور، الآيات: ٣٠ - ٤٣.

(٢) انظر: سورة القلم، الآيات: ٣٥ - ٤١.

(٣) سورة القلم، الآيتان: ٤٦، ٤٧.

التسلسل المنطقي

سرد الأحداث أو الأفكار مسلسلة مرتبة يقيّد المتلقي في أمور عدة منها:

- ١ - استيعاب الأفكار أو الأحداث دون انقطاع.
- ٢ - حسن المتابعة لما يلقى عليه وحسن التفاعل.
- ٣ - قدرة المتلقي على الحكم السليم على ما يسمع.
- ٤ - الاستجابة لعدد أكبر من الأفكار والمعلومات.

والقرآن الكريم يخاطب أولي الألباب، والقوم الذين يعقلون، ويتفكرون وأولي الأبصار... ويسعى إلى إقناعهم بما يلقي عليهم واكتسابهم وإنقاذهم من الضلال.. فلا غرو أن يخاطبهم بهذا الأسلوب المتميز الذي يسارع في الوصول إلى الهدف.

- فمن الأمثلة على التسلسل المنطقي قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَاَدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ (١)

فمن التسلسل المنطقي في هذه الآية:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

- ١ - تقديم الذكر على الأنثى.
- ٢ - يشعر المسلم بالضيق فيها جر.
- ٣ - ينصب العذاب على من بقي فيضطر للخروج مكرهاً.
- ٤ - يطاردون ويؤذون في سبيل الله.
- ٥ - يقاتلون الأعداء الذين أساءوا إليهم.
- ٦ - يقتلون في المعركة.
- ٧ - تكفر عنهم سيئاتهم فيكونون أهلاً لدخول الجنة.
- ٨ - فيدخلونها...

- ومن الأمثلة عليه كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾^(١).

فكان التسلسل المنطقي كما يلي:

- ١ - شراء النفس وهي أعلى.
- ٢ - شراء الأموال.. والبذل «الجنة».
- ٣ - بدء القتال في سبيل الله.
- ٤ - يقتلون ويقتلون.
- ٥ - الوعد في التوراة أولاً والإنجيل ثانياً والقرآن ثالثاً حسب التسلسل الزمني.
- ٦ - الذي وعد بذلك هو الله سبحانه وتعالى، ووعدته الصدق.
- ٧ - البيع - إذاً - صحيح وافر الربح كبير الفوز...

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

- ومن أمثلة التسلسل المنطقي كذلك قوله سبحانه جل شأنه: ﴿الرَّكَابُ أَكْرَمُ مَا يُنْفَخُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرٌّ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَفْقِرُوا مِنْكُمْ فَقُلُوا لِلَّهِ يَمِيعُكُمْ مَنَّاعًا حَسَنًا إِلَى أَعْيُنِ مُسِيٍّ وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَكُونُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَخِفُّوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُرْسُوتَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ (١).

يظهر التسلسل المنطقي فيما يلي:

- ١ - نُظِمَ القرآن تنظيمًا محكمًا ليس فيه تناقض ولا خلل.
- ٢ - ثم فَصِّلَ تفصيلاً دقيقاً كاملاً موضحاً مراميه.
- ٣ - جاءت صفة حكيم تناسب الإحكام، وصفة خبير تناسب التفصيل والشرح.
- ٤ - لِمَ أَحْكَمَ وَفُصِّلَ؟ ليعبد الناس ربهم العبادة الصحيحة.
- ٥ - ما دور الرسول ﷺ:

 - أ - إنذار الناس من عذاب ربهم إن خالفوه.
 - ب - بشارتهم بفضله وعفوه إن آمنوا به وأطاعوه.

- ٦ - من علائم العبادة عند معرفة الله تعالى الاستغفار أولاً، والتوبة إليه من الذنوب ثانياً.
- ٧ - فَإِنْ حَصَلَ هَذَا نَالَ كُلُّ مُحْسِنٍ جَزَاءَهُ.
- ٨ - وَإِلَّا كَانَ هُنَاكَ عَذَابٌ كَبِيرٌ فِي يَوْمٍ مُخِيفٍ.
- ٩ - متى هذا؟ يوم القيامة حين ترجعون إلى الله تعالى.
- ١٠ - وهل يستطيع ربنا إحياءنا بعد إماتتنا؟ نعم إنه على كل شيء قدير.

(١) سورة هود، الآيات: ١ - ٥.

- ١١ - يظهر بعض من يخالف الرسول ﷺ حبه إياه ويضمر كرهه وعداوته .
- ١٢ - الله سبحانه يعلم ما يسرون وبدأ بالسر ليناسب الاختباء والتغطية بالثياب خوف الفضيحة، ثم جاءت كلمة يعلنون .
- ١٣ - هل يعلم الله السر؟ نعم . . إنه عليم بذات الصدور .
- إنها متابعة دقيقة وتعليل متسلسل، ينتقل من فكرة إلى فكرة انتقالًا واقعياً منطقياً ليس فيه انقطاع .

- ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾^(١) .

ويبدو التسلسل المنطقي في عرض الأفكار هنا فيما يلي:

- ١ - يوم القيامة يعرض المكذبون على ربهم سبحانه .
- ٢ - يفضحهم الله تعالى حين يأمر الأشهاد من الخلائق أن يشيروا إليهم بالكفر، والفساد، والكذب .
- ٣ - تنصب عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لكفرهم، وظلمهم .
- ٤ - هؤلاء كانوا يمنعون الناس عن إتباع الحق، ويريدون أن تكون السبيل معوجة، وجحدوا بالآخرة وكفروا بها .
- ٥ - فهل أفلتوا من عذاب الله؟ هل هناك من نصير يدفع عنهم العذاب؟ لا . . .

(١) سورة هود، الآيات: ١٨ - ٢٢ .

٦ - بل يضاعف لهم العذاب لأنَّ الله تعالى جعل لهم سمعاً وبصراً، لكنهم كانوا صماً عن سماع الحق، عُميّاً عن اتّباعه فلم ينتفعوا بما حباهم الله من حواس.

٧ - قد يخسر الإنسان شيئاً مَهْماً كان مُهِمّاً فيعوضه. لكن حين يخسر نفسه فهذه هي الخسارة التي لا تعوّض.

تسلسل رائع في عرض الأفكار وتحليلها، والوصول إلى الهدف المنشود.

- ومن الأمثلة على التسلسل المنطقي قصة نوح عليه السلام لكننا نقتطع من المشهد كلّ جانباً واحداً.. قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَتَّارُضْ ائْتِي مَاءَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفُصِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٤) (١).

ويبدو التسلسل فيما يلي:

١ - الأمر للأرض أولاً أن تبتلع ماءها الذي نبع فيها، وماء السماء الذي نزل عليها، فمهمتها أشقّ، ثم الأمر للسماء أن تجبس مطرها.

٢ - ذهب الماء في أغوار الأرض، وتم بهذا إغراق مَنْ غرق ونجاة من نجا.

٣ - ثبات السفينة على الأرض فوق جبل الجودي، فنزل الناس واطمأنوا.

٤ - لما انتهى كل هذا، وتبين هلاك الكافرين كان الدعاء عليهم.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُونَ﴾ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ (٤٩) (٢).

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٤٧ - ٤٩.

ويظهر التسلسل هنا فيما يلي .:

- ١ - زرع سنين سبعٍ بجهد ونشاط وهذه سنوات الرخاء .
- ٢ - تخزين ما لا يحتاج إليه من القمح في سنبله كي لا يسوس ، وأكل ما يُحتاج إليه .
- ٣ - تأتي سنون سبعٌ جدداء لا زرع فيها ذات شدة وقحط على الناس ، تأكلون فيها ما ادخرتم أيام الرخاء .
- ٤ - اتركوا للسنة الثامنة بعض القمح الذي ستزرعونه فيها .
- ٥ - في السنة التي تخلفُ سنِّي الجذب العصبية يعم الرخاء فيكثر المطر والزرع والأعنا ب .

- ومن الأمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

- ١ - يعذب المشركون مَنْ آمَن ويفتنونهم عن دينهم .
 - ٢ - يضطر المسلمون إلى الهجرة للنجاة بدينهم وإنشاء مجتمع مسلم .
 - ٣ - والمجتمع المسلم لا يحميه سوى الجهاد في سبيل الله .
 - ٤ - للجهاد في سبيل الله مشاق ، على المسلم أن يتحملها ويصبر عليها .
 - ٥ - بعد الهجرة والجهاد والصبر يغفر الله تعالى ويرحم .
- أفكار متسلسلة تأتي الواحدة إثر الأخرى بشكل طبيعي .
- ومن الأمثلة على التسلسل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (٢) .

(١) سورة النحل، الآية: ١١٠ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٦ .

لا بدّ لإهلاك أي قرية من سبب.. فما هو السبب..؟:

١ - يسلط الله الأشرار المتنعمين، فيأمرهم أن يحكموا بشرعه، ويسرعوا إلى مرضاته.

٢ - لكنهم يعصون فهم مجبولون على الفساد والطغيان.

٣ - وجب - إذاً - عليهم العذاب بفسقهم وطغيانهم.

٤ - فيدمرون تدميراً مريعاً ويهلكون هلاكاً شديداً.

- ومن أمثلة التسلسل المنطقي قوله تعالى: ﴿أَتُوفَى رَبَّرَ الْحَدِيدِ حَقٌّ إِذَا

سَاوَى بَيْنَ الصَّالِحِينَ قَالَ أُنْفَخُوا حَقٌّ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُوفَى أُنْفَخَ عَلَيْهِ قَطَرًا ﴿٩٦﴾
فَمَا أَسْتَظْعَمُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَظْعَمُوا لَمْ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾^(١).

١ - رَفَعَ سَدًا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ مِنْ قِطْعِ الْحَدِيدِ بَارْتِفَاعَهُمَا.

٢ - أَشْعَلَ النَّارَ فِي الْحَدِيدِ حَتَّى احْمَرَّ، وَصَارَ كَالنَّارِ مِنْ شِدَّةِ الْإِحْمَاءِ.

٣ - صَبَّ النِّحَاسَ الْمَذَابَ عَلَى الْحَدِيدِ، فَسَدَّ مَا بَيْنَ الشَّقِيقِ وَمَلَأَ الْفَرَاقَاتِ.

٤ - صَارَ السَّدُّ قِطْعَةً وَاحِدَةً يَسْتَحِيلُ تَحْرِيكُهَا أَوْ نَقْبُهَا.

إنَّه عمل متقن مرتب ترتيباً محكماً.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِيَّ لَقْفَارٍ لِمَنْ

١ - تَابَ

٢ - وَءَامَنَ

٣ - وَحَمَلَ صَلِيحًا

٤ - ثُمَّ أَهْتَدَى ﴿٨٧﴾﴾^(٢).

(١) سورة الكهف، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٨٢.

إن هذه الآية مثال صارخ على التسلسل، فأمعن النظر فيها وتدبر.

- هناك آيات كثيرة تتحدث عن الخلق وترتيبه.

ففي سورة «المؤمنون» الآيات [١٢ - ١٦]، وسورة «الروم» الآية

[٤٠]، وسورة «السجدة» الآيات [٧ - ٩]، وسورة «الحج» الآية [٥].

وأخيراً يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَبْأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ

الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

١ - مِّن ثَرَابٍ

٢ - ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ

٣ - ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ

٤ - ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ^(١) لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ

٦ - وَنُقِضَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى

٧ - ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً

٨ - ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ

٩ - وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً... ﴿٢﴾.



(١) قدّم المخلقة على غير المحلقة للبناء اللفظي المحكم وهذا لا يخفى على القارئ اللبيب.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥.

التجريب

طريقة تربوية، عملية، تفيد في عدة أمور:

أولها: تثبيت الفكرة أو الأمر في النفس، وتأكيداها.

ثانيها: اختبار المرء في أمر ما، للحكم على قدرته.

ثالثها: تعويده على شيء يخافه ليطمئن قلبه، فلا يخاف استعداداً لما قد يستجد.

رابعها: كشف سريرة المدعي، وفضحه.

خامسها: تنقية الصف من شوائبه.

سادسها: التوصل لأمر جديد لم يكن موجوداً سابقاً.

- فمثال الأمر الأول: تثبيت الفكرة وتأكيداها:

أ - قصة عزير الذي أماته الله مئة عام، وحفظ طعامه وشرابه، فلم يفسدا وجمع عظام حماره ثم كساه لحماً، ونفخ فيه الروح فعاد كما كان. قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ

وَأَنْظُرْ إِلَى الظَّالِمِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا^(١) ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾^(٢).

ب - وقصة إبراهيم عليه السلام الذي أراد أن يزداد بصيرة في قلبه، وعقله، فسأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، مع العلم أنه شديد الإيمان بربه وقدرته ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ^(٣) إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

ولم يشك إبراهيم عليه السلام في قدرة الله، ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، ويدل عليه ورود بصيغة «كيف» وموضوعها السؤال عن الحال، ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» ومعناه: نحن لم نشك، فلأن لا يشك إبراهيم أولى.

- ومثال الأمر الثاني: اختبار المرء:

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوَكُمْ اللَّهُ شَيْءًا مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾^(٥).

فاختبر الله تعالى المؤمنين في إحرامهم بالحج بشيء من الصيد يمكن إمساك صغاره باليد، واقتناص كباره بالرماح.. ومع أن العرب تتلذذ بالصيد واقتناصه إلا أن المسلمين لم تمتد أيديهم إليه.. وهكذا كان المؤمنون عند حسن ظن ربهم بهم إذ امتنعوا عن الصيد وهم مُحَرِّمون وكانوا من الصادقين.

(١) ننشرها: نركب بعضها فوق بعض.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) صرهن: أقطعهن واخطفهن بعضهن ببعض.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٤.

وقال سبحانه عز من قائل: ﴿... وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (١)، فهو سبحانه يختبرهم بالمصائب والنعم ليرى الشاكر من الكافر، والصابر من القانط، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال... يختبرهم بما يحبون ليرى كيف شكرهم، وبما يكرهون ليرى صبرهم. فهم إليه راجعون فيجازيهم بأعمالهم.

- ومثال الأمر الثالث: التعمّد على الشيء والاطمئنان إليه:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا حَآجَةً وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الرَّسُولِ﴾ (١١) ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢) ﴿وَادْخُلْ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَيْضَاءَ مِن غَيْرِ سُوءٍ فِي سِتْرٍ ءَاتَيْتَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْ هُمْ كَاوُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (١٣) (٢).

إن الله سبحانه وتعالى حين أراد لموسى أن يكون رسوله إلى فرعون، وأمام فرعون سيلقي عصاه وتنقلب شعباناً، ويخاف موسى من الشعبان ويهرب وعندئذ يكون سخرية لفرعون وقومه حينما يهرب، جرب الأمر، بعيداً عنهم ليعتاد عليه، فحين ألقى العصا أمام فرعون كان هذا سهلاً عليه ولم يفاجأ، وكذلك الأمر في إدخال يده إلى فتحة ثوبه، وإخراجها مضيئة ساطعة تتلألأ كالبرق الخاطف دون مَرَضٍ أو بَرَصٍ.

- ومثال الأمر الرابع: كشف سريرة المدعي وفضحه:

أ - قول الله سبحانه مخاطباً رسوله الكريم: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَسْبِقَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤٣) ﴿لَا يَسْتَنْزِلُكَ الَّذِينَ يَوْمُنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٤٤) (٣).

فهذا عتاب لطيف للرسول ﷺ حين أذن للمنافقين في التخلف عن الخروج بمجرد الاعتذار. فهم سواء أذن لهم أم لم يأذن لهم فسيقعدون

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النمل، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

ويتخلفون عن غزوة تبوك، فكان الاعتذار وقبوله ساتراً لهم، فلم يفضحهم أما المؤمنون فلا يعتذرون عن الجهاد لأنه سنام الأمر وذروة الإسلام.

ب - وقوله سبحانه وتعالى في المخلفين من الأعراب: ﴿قُلِ الْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤَيِّدْكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٦) ﴿١﴾.

لم يسمح رسول الله ﷺ للمخلفين عن عمرة الحديبية أن يخرجوا معه إلى خيبر لفتحها وأخذ غنائمها مع المسلمين، وهذا عقاب لهم لتخلفهم ذاك. فلما ادعوا أن المسلمين منعواهم الذهاب معهم لأنهم لا يودون مشاركتهم في الغنيمة قال لهم: ستدعون إلى حرب قوم أشداء هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب أصحاب الردة، فإما أن يدخلوا في دينكم أو تقاتلوهم، فإن تستجيبوا ولا تتخلفوا يعطكم الله الغنيمة والنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة، وإن تتخلفوا كما تخلفتم زمن الحديبية، يعذبكم الله عذاباً أليماً في نار جهنم، فلا عذر أبداً عن تخلف المسلمين عن الجهاد.

- ومثال الأمر الخامس: تنقية الصف من الشوائب:

قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (٢) ﴿٢﴾.

إن طالوت أراد أن يعرف جلد جنوده وصبرهم وثباتهم في القتال، والقائد حين يعرف جنوده يقدر للمعركة، مكانها، وزمانها، وحجم قواتها. فمر بهم على نهر، وأمرهم أن لا يشربوا منه، ومن كان عطشان فليشرب قليلاً لكن أكثر الجنود شربوا فصرفهم من جيشه، فلا خير في جنود لا يطيعون قائدهم قبل القتال لأنهم في القتال سينهزمون، فليخلص منهم ليكون على بينة من أمره وليكون جيشه من النوع الجيد الذي لا شائبة فيه.

(١) سورة الفتح، الآية: ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

- مثال الأمر السادس: التوصل لاكتشاف جديد:

قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۖ وَأَنَا كَفَّا نَقَعْدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَكُمْ شُهَابًا رَصَدًا﴾ (٩) (٨).

فمن عادة الجن أن يبلغوا السماء لاستماع كلام أهلها، لكن رسول الله ﷺ حين ولد مُنِعت الجن أن تسترق السمع من أهل السماء بله الاقتراب منها، فقد ملئت بالملائكة الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي تقذف من يحاول الاقتراب منها.

لقد كانوا يأخذون الأخبار، ويلقونها إلى الكهّان مغلوبة مبتورة، فيتلقفها هؤلاء يزدون فيها ويسرفون، فمن يحاول استراق السمع بعد الآن يجد شهاباً ينتظره راصداً إياه، فيحرقه ويهلكه.

فعملية التجريب إذاً تجعل الإنسان يلمس بيديه، ويرى بعينه، ويسمع بأذنيه، فيثبت الأمر في نفسه ولا ينساه أبداً.



التخطيط واتخاذ الأسباب

العمل الارتجالي لا يؤدي أكله كما لو كان مُعدّاً إعداداً جيداً ومدرّساً دراسة وافية، معروفة أبعاده وجدواه، ومراحله.

وكل عمل أو فكرة تخطر على البال لا بدّ أن تخطط له تخطيطاً، جيداً تراعي فيه الهدف منه وبدايته وإتمامه وإيجابياته وسلبياته، وإلا كان عملاً عشوائياً قد ينجح وقد يفشل، واحتمالات فشله أكبر. وإن نجح فنجاحه مرحليّ أو غير مكتمل.

والقرآن الكريم يضع بين أيدينا نماذج من التخطيط، الذي يؤدي إلى الوصول إلى الهدف المنشود منها:

ما فعله إخوة يوسف حين شعروا أن أباهم يحب يوسف أكثر منهم، ويفضله عليهم، فماذا يفعلون؟ تدارسوا الأمر فيما بينهم فقال بعضهم: ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ إِيْكَمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (٩) (١).

تفكير شيطاني سهّل لهم القتل، وبعد ذلك يعودون أتقياء أنقياء وكأن القتل لا يترك في القلب نكتة سوداء تورق صاحبها إلى أن يموت ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١٠) (٢).

(١) سورة يوسف، الآية: ٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠.

وقلبوا وجوه الأمر فرأوا أن إلقاءه في الحب أسلم لهم، ولن يؤرقهم كما لو أنهم قتلوه.. ثم جاءوا أباهم يقنعونه أن يسمح لهم باصطحاب يوسف معهم، في رحلة برية يترضون ويصطادون، وأكدوا له حرصهم على أخيه، فلما أظهر الأب تخوفه أن يتركوه وهو صغير فيعدو عليه - في غفلة منهم - الذئب فياكله أقسموا أنهم لا يتركونه وإلا فهم خاسرون وكأنه لقنهم حجة هم بحاجة إليها يتعللون بها عند أبيهم.. وهكذا كان ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِّحُونَ﴾ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفَظُونُ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَخَشِئْتُ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاشِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ (١).

وحبكوا قصتهم ورتبوا مكرهم ﴿وَجَاءَ وَ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ (٢).

فقد:

- ١ - جاءوا أباهم عشاءً فلا يرى الغدر في عيونهم.
- ٢ - بدأوا يكون فشر بالخطب الجسيم قبل أن يلقوه على سمعه.
- ٣ - هياه بكاؤهم على تقبل المصيبة التي سيسمعا منها.
- ٤ - تلطفوا له بالقول: «يا أبانا» ولهذا فائدتان:
الفائدة الأولى: هي كلمة استعطاف ليرق قلبه لهم فلا يعاقبهم.
الفائدة الثانية: إيهامه صدقهم في حرصهم على أخيه.
- ٥ - لقنوه الحجة التي سمعوها منه في اعتذاره عن إرسال يوسف معهم «أكله الذئب».
- ٦ - أنت لا تصدقنا مع أننا صادقون.

(١) سورة يوسف، الآيات: ١١ - ١٤.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ١٦، ١٧.

لَكُنْ هَذَا التَّخْطِيطُ الْمُحْكَمُ نَقْضٌ بِخَطَأٍ كَبِيرٍ وَقَعُوا فِيهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا
حَسِينَ ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلَى سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ
جَمِيلٌ ﴿١﴾.

كان القميص ملوثاً بدم لكتته غير ممزق، فالذئب الذي أكله كان
ذكياً!! لقد جعله يخلع قميصه قبل أن يأكله حتى يستفيد منه إخوته!! لذلك
لم يكن التخطيط كاملاً فهذه الثغرة فضحتهم وعرف الأب ذلك فقال هذا
مكر دفعكم إليه نفوسكم الخبيثة.

- وهذه امرأة العزيز تراود يوسف حين بلغ مبلغ الرجال وكان جميلاً،
وسيماً، تتفجر الدماء من عروقه ويطفح وجهه إشراقاً فيأبى ذلك ويقول:
﴿مَعَادَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢﴾ فزوجها أكرم
يوسف وتعهده بالرعاية فكيف يسيء إليه في زوجته؟! لا يفعل ذلك إلا
الخائنون الذين يجازون الإحسان بالسوء، ويوسف ليس منهم.

وانتشر الخبر بين نساء المدينة:

أ - امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه.

ب - امتنع عليها وأذل كبرياءها.

والأمران وصمة عار عليها فأرادت أن تلجم أفواههن فماذا فعلت:

١ - دعتهم إلى قصرها.

٢ - أكرمتهم بالطعام والفاكهة.

٣ - أمرت يوسف أن يخرج عليهن فخرج.

٤ - رأيته فائق الجمال ملكاً يمشي على الأرض فدهشن لهذا الجمال
الأخاذ.

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

٥ - لم يشعروا إلا والدماء تسيل من أصابعهن فقد أخذ الإعجاب بجماله والدهشة له منهن كل مأخذ، فجرحن أيديهن.

٦ - شعرت بالانتصار عليهن، فعاتبتهن على ما قلن في حقها من تجريح.

٧ - حين رأت نفسها منتصرةً عليهن باحت بمكنون قلبها نحوه وأصرت على تعلقها به والرغبة في وصاله، ولو أدى ذلك إلى سجنه إن أبى.

وهذه خطة جهنمية لا يفعلها إلا صاحب الكيد الذكي ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٦﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسْجَنَ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ (١).

ثم تأمل معي كيف خطط عليه الصلاة والسلام للخروج من السجن بل كيف خطط الله تعالى له:

١ - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي بِهَذَا؟﴾

٢ - فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ؟ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾

٣ - قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَوَدْتُمُ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ ؟

٤ - قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ

٥ - قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَن حَضَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْغَافِلِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٨﴾

٦ - وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي بِهَذَا اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

٧ - فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ ﴿٥٤﴾

٨ - قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهٗ ﴿٥٥﴾ ﴿١﴾

وهكذا كان تخطيط الله تعالى له حيث أخرجته من السجن إلى الصدارة ومن كونه مرؤوساً إلى صيرورته رئيساً.

وكيف خطط يوسف عليه السلام لاستعجال أخيه بنيامين إلى مصر؟:

١ - ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

٢ - وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَنْجٍ لَّكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾

٣ - فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾

٤ - قَالُوا سَتَرُوهُ عَنْهُ آبَاؤُهُ وَإِنَّا لَفَعِلُونَ ﴿٦١﴾

٥ - وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَيْكَ أَهْلِيهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

٦ - قَالُوا يَتَابَانَا مَنَعَ مِنَ الْكَيْلِ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٦٣﴾ ﴿٢﴾

٧ - ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٣﴾

إضاءة: أراد أن يرى أخاه الشقيق، فأظهر تعجبه من كثرتهم وهم عشرة رجال، فقالوا هناك عند أبيهم رجل آخر. فقال عند ذلك جيئوا به لأراه، فإن لم يجيء فلا كيل لكم عندي.

(١) سورة يوسف، الآيات: ٥١ - ٥٥.

(٢) سورة يوسف، الآيات: ٥٨ - ٦٣.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٦٥.

ولن يعودوا سريعاً، إنما سيعودون حين ينفد القمح، لذلك جعل ثمن البضاعة فيها لعلهم أنهم حين يفتحون متاعهم، سيجدون ثمنه، وسيضطرون إلى العودة لدفع الثمن، وفي الوقت نفسه يأخذون ميرة جديدة، لكنه لن يعطيهم إذا لم يكن أخوه معهم. إذا سيضطرون على أبيهم ليسمح باصطحابهم بنيامين وهكذا كان، بعد أن استوثق منهم على الحفاظ عليه.

أما كيف خطط ليحفظ بأخيه دون أن يتبينوا إلى ذلك؟:

١ - ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾

٢ - فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ

٣ - ثُمَّ أَذَنَ مُؤَدِّنَ ابْنَتِهَا الْعَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧٠﴾

٤ - قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾

٥ - قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

٦ - فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ

٧ - كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ... ﴿١﴾

في شرع الملك كان السارق يضرب، ويعتف، ويدفع ضعف ثمن ما سرقه. أما في شرع يعقوب وأبنائه فإن السارق يصبح عبداً لمن سرقه، فعاملهم بشريعتهم لا شريعة الملك.

أما قصة سيدنا موسى في سورة طه، وتيسير الله وحفظه له في قصر فرعون فتراها في الآيات [٣٧ - ٤٠].

(١) سورة يوسف، الآيات: ٦٩ - ٧٦.

- ١ - أوحى الله إلى أمه أن تضعه في صندوق خشبي بعد إرضاعه.
 - ٢ - أمرها بإرضاعه كي لا يتقبل موسى ما يُقدَّم له من حليب المرضعات غير حليب أمه الذي استساغه ولن يرضى بغيره.
 - ٣ - دفعته الأمواج بإذن الله إلى قصر فرعون، عدو الله، وعدو موسى.
 - ٤ - كتب الله له القبول عند آل فرعون، ليبقى عندهم.
 - ٥ - متابعه أخته له حتى تعرف إلى أين سينتهي.
 - ٦ - أخته تدلُّ الباحثين على أمه لترضعه.
 - ٧ - عودة موسى إلى أمه بعون الله ومساعدته.
- إنه تخطيط رب العالمين، يحفظنا على ترتيب ما نريده بخطة سليمة، وتفكير سديد.

ونلاحظ التخطيط في كسر إبراهيم أصنام قومه، حين أرادوا الخروج من المدينة في عيد لهم فاعتذر بأنه مريض فتركوه، وخرجوا، فاغتنم فرصة خلوا المكان فانطلق إلى الأصنام فحطمها ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨) فَقَالَ ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩) فَقَوْلُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ﴾ فَقَالَ ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣) ﴿١﴾.

- أراد الله سبحانه وتعالى أن يعبدته الناس متجهين إلى قبلة محددة، فبين إبراهيم مكان بناء البيت كي يقصده الناس حاجين وأمره بعد انتهاء البناء أن يؤذن فإذا أذن أسمع الله نداءه إلى المخلوقات جميعاً.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾

أَنْ لَا تُشْرِكَ بِى شَيْئًا

وَطَهَّرَ بَيْتِى لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴿٢﴾...

(١) سورة الصافات، الآيات: ٨٨ - ٩٣.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

فالله سبحانه خطط منذ القدم أن يكون البيت الحرام في مكة قبله لعباده، يحجون إليه ويطوفون حوله ويعبدون ربه.

وقام إبراهيم وابنه إسماعيل ببناء البيت وتجهيزه لحجاج بيت الله الحرام، ثم أذن فسمعت النُطْفُ أذانه فرددت ما قال.

وفي سورة النمل الآيات [٢٧ - ٤٤]:

١ - عاد الهدهد إلى سليمان يحمل خبر مملكة اليمن التي يسجد أهلها للشمس ويعبدونها.

٢ - حَمَلَ سليمان عليه السلام الهدهد كتاباً فيه دعوة إلى الإيمان بالله، يلقيه بين يدي بلقيس ملكة سبأ، ثم يتعد فيراقب ردة الفعل.

٣ - أرسلت بلقيس هدية إلى سليمان علّه يتركها وبلادها.

٤ - لما أبى سليمان إلا إسلامها وقومها انطلقت إلى عاصمة ملكه زائرة.

٥ - أراد اختبار ذكائها فأمر بحمل عرشها إلى فلسطين.

٦ - حمّله أحد العارفين بالله في لمحة البصر بإذن الله.

٧ - نكر عرشها وعرضه عليها فلم تخطئه.

٨ - بنى قصرأ من الزجاج الصافي، فلما أرادت دخوله كشفت عن ساقها ظانة أنه ماء لشدة صفائه.

٩ - رأت عظمة ما لسليمان من ملك ونبوة فأمنت بدينه.

والملوك لتعازمهم لا يسلمون لأمر إلا إذا كان عظيماً، فخطط سليمان لذلك بجلب عرشها وبناء القصر العظيم ليخلب لبّها ابتداءً فتسلم له، وكان تخطيطه موفقاً.

وقبل ذلك نجد النملة تتخذ الأسباب، ويساعدها على ذلك سليمان عليه السلام، ينطلق سليمان وجنوده من الجن والإنس والطير، فيصلون إلى وادي النمل، وكان النمل خارجاً من أعشاشه يبحث عن رزقه، فإذا ظلّ منتشراً في الوادي فستطوه أرجل الجنود، وحوافر الخيل، وقوائم السباع،

والجيش كبير العدد، ولن تسلم نملة منهم، فقالت نملة لبيبة رأت من بعيد جيش سليمان يهز الأرض تحته صارخة في قومها منبهة السامعين منهم ليحذروا ﴿يَتَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

فيسمع سليمان عليه السلام صوتها وتحذيرها، فيوقف تقدم الجيش، ويسأل ربه أن يرزقه شكره على نعمه التي وهبه إياها ولوالديه، ويسأله العمل الصالح الذي يرضيه، وأن يرزقه جنته ورضوانه، ودخلت النملة مسكنها وتبعها النمل فخلا الجو منهم (٢) وفرغت الأرض، فانطلق الملك سليمان عليه السلام إلى هدفه شاكراً حامداً..

ويخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتخذوا الأسباب المادية والمعنوية في لقاء العدو.

- أما المثال على اتخاذ الأسباب المعنوية فقولُه سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فُجَّةً

أ - فَأَنْتَبَهُوا

ب - وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

ج - وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

د - وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ

هـ - وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ (٣).

ثم نهاهم أن يكونوا بطرين أشرين يراؤون الناس ولا يخلصون لله سبحانه ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ

(١) سورة النمل، الآية: ١٨.

(٢) عاملت النمل معاملة المذكر لأن الله سبحانه وتعالى حين تحدث عنهم فقال: ﴿... ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ...﴾ جعل الخطاب بواو الجمع وميم الجمع، والله أعلم.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ (١).

فالثبات، وذكرُ الله، وطاعته وطاعة رسوله، والوحدة الإيمانية، والصبر، والبعد عن الرياء، والإخلاصُ لله سبحانه أسباب معنوية، إن اتخذها المسلمون نصرهم الله تعالى، ولا أَرانا في هذه الأيام الرديئة نتصف بواحدة منها... لذلك ترانا كالقصعة التي يتداعى الأكلة الشرهون إلى التهامها.

- والمثال على اتخاذ الأسباب المادية قوله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (٢).

فالإعداد المادي يستدعي:

- ١ - التربية البدنية واللياقة العالية.
- ٢ - التدريب على السلاح بكل أنواعه.
- ٣ - تأمين السلاح الثقيل، والتدريب عليه.
- ٤ - إرهاب العدو بإظهار القوة قدر الإمكان.
- ٥ - القوة ترهب من يمدُّ العدو ويساعده.
- ٦ - إنفاق المال في سبيل الله والعقيدة.

وهذا سيدنا موسى عليه السلام يرى - وهو عائد إلى أهله في مصر وزوجته معه - ناراً والدنيا باردة، والمكان مظلم، ولا بدَّ للدفع والأمان، ورؤية من يقصدونه من الحصول على النار، وها هو يراها من بعيد فيترك أهله قريباً من المكان، ويسرع إلى الضوء ليقبس قبسة تفيده فيما يرمي إليه

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

من أحد يدلّه على الطريق، فقد ضلّ عنه وقد هبت ريح شديدة فرقت ماشيته، فهو يسعى لنار تريحه إياها كما أن زوجته أخذها الطلق، وهذا أخذ بالأسباب الموصلة إلى الراحة، والأمان، والدفع...

وهناك يكلمه الله سبحانه وتعالى ويعرفه بحقيقته، ويأمره أن يذهب إلى فرعون يدعوّه إلى الله سبحانه ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾^(١). ويعطيه الله سبحانه من الأسباب المساعدة على إبلاغ الدعوة سلاحين:

أ - العصا التي تنقلب ثعباناً يثير الرعب والهلع في نفوس الحاضرين.

ب - التوهج الشديد ليده حين يدخلها في جيب قميصه.

كما يؤيده بأخيه هارون فهو فصيح اللسان واضح الكلام. وينفي عنه الخوف من فرعون أن يقتصر منه لأنه قتل قبطياً... ﴿وَأَن آتَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَازِلُ كَانَتْهَا جَانًّا وَلَىٰ مَذْبَرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَصَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَصَاكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَمَّا سُلْطَنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾^(٢).

- وتأمل معي أمر الله تعالى لموسى في النجاة من فرعون، ثم إغراق فرعون ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَن أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾^(٣).

(١) سورة القصص، الآية: ٢٩.

(٢) سورة القصص، الآيات: ٣١ - ٣٥.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا
 بَنِي إِسْرَءِيلَ ۝٥٩﴿ فَأَتَيْنَاهُمُ الْمُشْرِيقِينَ ۝٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا
 لَمَذْكُونٌ ۝٦١﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ
 بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝٦٣﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَ الْآخِرِينَ ۝٦٤﴾
 وَأَجْمِنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ۝٦٥﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۝٦٦﴾ (١)

﴿فَأَنشَرِ بِعَادَى لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ۝٦٧﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ كُفْدُ
 مُغْرَقُونَ ۝٦٨﴾ (٢)

تجد موسى عليه السلام اتخذ الأسباب التالية:

- ١ - استنجد بربه حين دعاه أن ينقذه وقومه من فرعون وجنده.
- ٢ - أمره الله أن ينطلق بقوة تجاه المشرق، فسار بهم ليلاً كي يقطع مسافة طويلة قبل أن يشعر بهم فرعون.
- ٣ - وحين وصلوا إلى شاطئ البحر كان فرعون مسرعاً بجيشه يقترب منهم. فقد رأى كل من الطرفين الطرف الآخر، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ففعل، فانفلق البحر، وانشق طريق يابس بين جبلين من الماء.
- ٤ - أسرع موسى بقومه إلى الطرف الآخر وهم مشفقون خائفون.
- ٥ - وصل موسى وقومه إلى الشاطئ الآخر، وهم أن يضرب الماء ليعود البحر كما كان حتى لا يستطيع فرعون العبور إليهم.
- ٦ - أمره الله سبحانه أن يترك البحر كما هو ليدخل فرعون الطريق وجنوده، فلما صار الجيش كله في الطريق أمر الله تعالى الماء، فعاد كما كان فأغرق الكافرين.

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٧ - ٦٦.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٢٣، ٢٤. والرهو: ترك البحر منفرجاً مفتوحاً.

فلاستنجاد بالله، والدعاء له، والمسير في الليل، وضرب الماء، ثم
الهمُّ بضربه مرة أخرى ليعود كما كان.. اتخاذ للأسباب.

لكنَّ التخطيط واتخاذ الأسباب لا يوصلان إلى الهدف إلا إذا أراد الله
سبحانه وتعالى ذلك، فعلينا التفكير وعلى الله التدبير، وهذا هو التوكل على
الله.



الإشهاد.. والشهادة

لهاتين الكلمتين معانٍ عدة:

ف «شهد»: أخبر الخبر القاطع، وأدى ما عنده من علم بأمر ما، وأقر بما علم، وعاین الشيء، وأكد ما سمع، وأخبر بما رأى.

و «أشهد» على الأمر: جعله يشهد عليه، وأشهد الشيء: أحضره.

فلا تكون الشهادة والإشهاد إلا على حقيقة ساطعة، وأمر بين لا إبهام فيه، وقد قيل: (على مثل ضوء الشمس فاشهد).

١ - فرضية الشهادة: وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نشهد لإرضائه في إقرار الحق وإبطال الباطل، فقال آمراً بالشهادة:

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

وقال أيضاً: ﴿...وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾^(٣).

ولذلك كان كتم الشهادة وإغفالها ظلماً وجوراً، لا ينبغي للمسلم الوقوع في إثمها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ...﴾^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٠.

وقال تعالى: ﴿...وَلَا تَكُنْتُمْ شَهِدَةً لِّلَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ (١).

٢ - مكانة الشهادة:

أ - الشهادة إقرار بالحق.

ب - دعوة إليه وإصرار عليه.

ج - أصحابها بلغوا ذروة من الشرف والعلم.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) (٢).

ولأن الشهادة إقرار بالحق استنكر القرآن الكريم كفر أهل الكتاب، على الرغم من أنهم يشهدون الحق ويعرفونه. قال تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهِدُونَ﴾ (٧٠) يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُونُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) (٣).

ويقول الله تعالى موضحاً مكانة الشهادة كي لا يضيعها أحد: ﴿قُلْ أَتَىٰ شَهِدٌ أَكْبَرُ شَهِدَةٍ

قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ

أَيْتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ

قُلْ لَا أَشْهَدُ

قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) (٤).

وقال: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّ شَهِدَتُهُمْ وَسْئَلُونَ﴾ (٥).

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ١٩.

٣ - وجوب أداء الشهادة: وحين تشهد على أمرٍ فلتلق شهادتك كاملة، ليس فيها نقص أو إبهام، وإلا غاب الحق عن أهله، وطمست معالمه.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾^(١).

وإذا طلب أحد لأداء الشهادة لبي، وأداها على أحسن وجه. قال تعالى: ﴿... وَلَا يَأْبِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ذَلِكَ كُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْقُ إِلَّا تَرَابُوا﴾^(٢).

٤ - مَنْ يشهد؟

ذكر القرآن أنواعاً من الشهداء وكلهم شهادته مقبولة معتبرة.

١ - طائفة من المؤمنين: ﴿وَالشَّهَداءُ ... عَدَائِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

٢ - أهل الحق: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٤) ﴿٨٦﴾.

٣ - أهل العدل: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(٥).

٤ - كل مؤمن بالله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَأَسْتَكْبَرُوا﴾^(٦).

٥ - مَنْ لا ترد شهادته لقربه من المتهم وهو ادعى أن يصدق: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾^(٧).

٦ - الصالحون، فهذا سيدنا عيسى شاهد على قومه ما دام حياً: ﴿وَكُنْتُ

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٣.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٨٦.

(٥) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٦) سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ﴿١﴾ .

٧ - مَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى صَادِقٌ: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ ﴿٢﴾ .

٨ - وأولاً وأخيراً يشهد الله تعالى كما مرَّ معنا قبل قليل وكما في الآية التالية ومعه ملائكته الكرام: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُونَ

وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٣﴾ .

٥ - مكانة الشهداء: إنَّ للشهداء الذين يشهدون الحقَّ وبالحقِّ مكانة كبيرة، فقد ذكرنا قبل قليل أنواعهم، وكلهم عدول، يتمتَّى كل واحد منا أن يكون مشهوداً له بمثل ما شهد الله لهم، وهنا نذكر أنَّ مكانتهم من الله تعالى قريبة.

- فمن قتل في سبيل الله وإعلاء كلمته كان شهيداً لله، قال تعالى: ﴿... وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ﴿٤﴾ .

- وقد سمي الله سبحانه وتعالى الأنبياء شهداء، فكل نبي شهيد على أمته، والرسول الكريم ﷺ شهيد على الجميع، فقال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ ﴿٥﴾ .

- ومن قام بالحقِّ وعمل في سبيل الله فقد شهد بالعدل، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٨.

- والشهداء أهل النور، وأصحاب الشواب العظيم: ﴿... وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ...﴾ (١).

٦ - علام نشهد؟

أ - الصادق لا يشهد إلا بما علم وتأكد، وإلا كان كاذباً، فإخوة يوسف نصح بعضهم بعضاً بالعودة إلى أبيهم لإخباره أن ابنه سرق... ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ﴾ (٢)، ولا يزيد ولا ينقص ولا يقلب الأمور فيكون - والعياذ بالله - من أهل الزور قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (٣).

ب - نشهد بالإيمان والإسلام... ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٤) هذا ما قاله الحواريون، وأطاعوا أمر ربهم حين أكدوا مكررين ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ مَاتُوا فِي رَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٥).

وشهد النبيون جميعاً على التبشير بالرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، واتباعه، ونصرته إن بعث وهم أحياء، فأقروا وشهدوا ﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٦).

ج - ونشهد على وحدانية الله وربوبيته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ (٧).

(١) سورة الحديد، الآية: ١٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٢.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

د - والشهادة على الأمن والأمان، وعدم الإساءة إلى الآخرين، فقال تعالى مخاطباً اليهود: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ... ﴿٨٥﴾﴾ (١).

هـ - وتكون الشهادة لنفي التهمة كذلك - فلما قالت ثمود لنبهم هود عليه السلام: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (٢).

ويوم القيامة يسأل الله المشركين عن آلهتهم المزعومة ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ إِنْ شُرَكَائِي قَالُوا إِيَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٣﴾﴾.

و - ويشهد الكفار على أنفسهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾ (٤)، وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنْ مَّا كُنْتُمْ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَاشْهَدُوا عَلَيْنَا أَنْفُسُهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

ز - وقد يشهد الإنسان لدرء العذاب عنه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شَهِدَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَنْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْفَلِيسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾ (٦).

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٨٤، ٨٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٤.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٧.

(٤) سورة العاديات، الآيتان: ٦، ٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٧.

(٦) سورة النور، الآيات: ٦ - ٩.

٧ - عدد الشهداء: وينبها القرآن الكريم أن أقل الشهادة في المعاملات الدنيوية شاهدان من الرجال، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ (١)، وقد يكون الشاهد رجلاً معه اثنتان من النساء: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى﴾ (٢).

وفي حوادث الزنا يشهد أربعة رجال: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ (٣).

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَلَاثِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤)، وقد جعل للزنا أربعة شهداء من الذكور لمنع الفاسقين من ثلم أعراض المسلمين ونشر الفاحشة بينهم.

٨ - إقامة الحجة:

- وقد يُكثر الكاذب، وصاحب الهوى، والمفسد، وأقرانهم من أهل السوء، الكذب فيكون الإشهاد للتكذيب وإقامة الحجة على المفسدين أيًا كانوا: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٥)، فكانت شهادة الله فيهم أنهم أهل الكذب والفساد... وعراهم فبانوا على حقيقتهم.

- وشهد سبحانه وتعالى في المنافقين: ﴿... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٦) حين ادعوا أنهم مؤمنون بالله ورسوله.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥.

(٤) سورة النور، الآية: ٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

(٦) سورة المنافقون، الآية: ١.

- وتعال معي إلى شهادة من نوع عجيب غريب - وما ذلك على الله
بعزيز - فيوم القيامة ترى، وتسمع شهادة ما بعدها من إنكار ﴿وَيَوْمَ
يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ
شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٢١﴾﴾.

٩ - بعض الشاهدين كاذبون:

أ - في الدنيا تجد كثيراً من الكفار والمنافقين وأهل الأهواء يشهدون كذباً،
ويحلفون كذباً، وهذا ديدنهم، وعليه جبلوا.

فمن أمثلة المنافقين قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ
رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ أَخَذُوا
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

ومن أمثلة الكافرين المدعين أنهم يحبون الخير، ويكرهون الفساد قوله
تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي
قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ
الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ
بِالْأَيْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ (٣).

ومن أمثلة المسلمين الذين يرمون أزواجهم - وعددهم هذه الأيام كثير
فعقوبتهم اللعنة - والعياذ بالله - ومن النساء من يزنين، وينكرن ذلك،
ويكذبن أزواجهن الذين رموهن، فعقوبتهن الغضب من الله عليهن - والعياذ
بالله - وقد ذكرت آيات من سورة النور تحت عنوان: «علام نشهد»؟.

- وعلى هذا لا يؤذن يوم القيامة لهؤلاء الكاذبين قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشَرُ
مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِمَا يَتْلُو فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا قَالُوا

(١) سورة فصلت، الآيات: ١٩ - ٢١.

(٢) سورة المنافقون، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ - ٢٠٦.

أَكْذَبْتُمْ بِتَائِبِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ
بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَظْطَرُّونَ ﴿٨٥﴾ (١)

١٠ - الشاهد لا يؤذى: وكثير من غلاظ الأفتدة مغلفي القلوب
يظلمون الناس، ويسئون إليهم، وقد يضطرون لإشهاد بعض الناس في أمر
فإذا جاء وقت الشهادة لاستعادة الحق، وشهد هؤلاء نالهم السوء من العتاة
المجرمين، فهددوهم وأرهبوهم كي يسكتوا... ولا يرضى الله سبحانه
وتعالى مثل هذا التصرف المشين، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يُصَافَّرُ كَاتِبٌ وَلَا
شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾ (٢).
نسأل الله أن يجعلنا من المتقين، الذين يشهدون الحق، ولا يخافون الباطل.

(١) سورة النمل، الآيات: ٨٣ - ٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

التقعيد

كل بناء له أساس يقوم عليه، وقاعدة يرتكز عليها، ولن تجد بناءً متيناً إذا لم يقم على أسس صلبة وقواعد ثابتة.

- والدين بناءً قاعدته الأولى التوحيد. قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (١) ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٣).

- ومع القاعدة الأولى تتصل القاعدة الثانية «الإيمان باليوم الآخر» ذلك اليوم الذي يحاسب فيه الإنسان على ما قدمت يده خيراً أو شراً.

قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحْدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (٥) ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (٦) ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (٧) ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (٨) ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (٩) ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ (١٠).

(١) سورة الإخلاص.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٥.

وقال تعالى يؤكد لقاءه سبحانه يوم القيامة: ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۖ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ بِإِلَهِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَدْرًا﴾ (٩٥) ﴿٩٤﴾ (١).

والقاعدة الثالثة: الموت والبعث... والموت يؤمن به كل الناس مؤمنهم وكافرهم إلا أن مفهوم الموت يختلف عندهما، فالمؤمن موقن به وبالحساب والعقاب، والكفار ينكرون البعث، ولا يرون حياة بعد الموت، قال تعالى على لسان الكفار: ﴿... وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ (٢)، وقال كذلك على لسانهم: ﴿إِنَّا كُنَّا نَمُوتُ وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ﴾ (٣) ﴿٢﴾ (٣).

أما المؤمنون فيقول الله تعالى فيهم مادحاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١١٧) ﴿١١٦﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿١١١﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿١٠٦﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ (٤).

والقاعدة الرابعة: الحساب والعقاب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْصَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ ﴿٠﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ (٦).

وقال كذلك: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ ﴿٠﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٩﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٠﴾ ﴿٩﴾ ﴿٨﴾ ﴿٧﴾ ﴿٦﴾ ﴿٥﴾ ﴿٤﴾ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ ﴿١﴾ (٧).

والقاعدة الخامسة: أن طريق الله تعالى واحد مستقيم، لا يضل من

(١) سورة مريم، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٢) سورة الباقية، الآية: ٢٤.

(٣) سورة ق، الآية: ٣.

(٤) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٦) سورة الأعراف، الآيتان: ٨، ٩.

(٧) سورة القارعة، الآيات: ٦ - ١١.

ذِمَّةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ (٢٠) (٢)، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَفَقَّهْتُمْ لَكُمْ أَعْدَاءٌ وَيَنْسِفُوكُمْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ يَأْسُوءُ وَوُدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢) (٣).

القاعدة الثامنة: أن الله تعالى شديد العقاب لمن عصى، وواسع المغفرة لمن آمن به قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ عِدَايَ أَفَىٰ أَنَا أَلْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) ﴿وَأَن عَدَايَ هُوَ أَلْعَدَابُ أَلَّيْلُ﴾ (٥٠) (٤).

وقال سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩٨) (٥).

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجَّتُمْ لِنِ شُكْرَتِهِ لَأَرْيَدَنَّكُمْ وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَدَايَ لَشَدِيدٌ﴾ (٧) (٦).

القاعدة التاسعة: أن العاقبة لأهل الإيمان، قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١) (٧).

وقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨).

وقال تعالى مؤكداً نجاة المؤمنين من جهنم على الصراط ووقوع الكافرين في عذابها: ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَأَرَدُّهَا كَانَ عَلَىٰ رَيْكِ حَتَّىٰ مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرْنَا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا﴾ (٧٢) (٩).

القاعدة العاشرة: دمار الكافرين، ولكن بعد أن يرسل الله إليهم الرسل

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٢.

(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٩٨.

(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٧) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٨) سورة هود، الآية: ٤٩.

(٩) سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢.

فيكفرون بهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْيَقِينَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٥٨) ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧) ﴿٢﴾.

أما حين يقتلون الرسل فعقابهم شديد ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِطْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١١) ﴿٤﴾.

القاعدة الحادية عشرة: عداوة الشيطان للإنسان، فهو - الشيطان - يعتقد أن الإنسان سبب شقائه، فحين خلق الله تعالى آدم أمر الملائكة وإبليس أن يسجدوا له تعظيماً، ورأى إبليس نفسه أكرم من آدم، فأبى أن يسجد له، وعصى ربه، فلعنه، وطرده من رحمته، فآلى هذا على نفسه أن يغوي الإنسان، ويضله ليكون شريكاً له في النار فقال: ﴿فِعَزَّيْكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٨٣) ﴿٥﴾، فنبه الله تعالى آدم محذراً إياه من إبليس، فقال: ﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (١١٧) ﴿٦﴾.

ومن تحذيرات الله سبحانه وتعالى لعباده من الشيطان قوله سبحانه: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ (٧)،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٧.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٧٦، ٧٧.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٦.

(٥) سورة ص، الآية: ٨٣.

(٦) سورة طه، الآية: ١١٧.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٠٠) (١)، وقوله سبحانه: ﴿... إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٢).

- القاعدة الثانية عشرة: أن الإنسان يتحمل وحده نتائج ما آمن به وما عملته يده، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ (٢٨) (٣). وقال أيضاً: ﴿كُلُّ أُنثَىٰ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٤)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُزِرُّ وَارِثَةٌ وَرِثَةَ أُخْرَىٰ...﴾ (٥).

وهناك قواعد عديدة وأسس واضحة تقوم عليها العلاقة:

١ - بين الله سبحانه وعباده.

٢ - بين الناس أنفسهم.

نترك لك أيها القارئ الكريم استجلاءها وتوضيحها.

فلا بد - إذا - أن تكون أعمالنا وتفكيرنا قائمين على قواعد متينة يمنعنا التثبُّت منها أن نزل ونخطيء، أو نميل مع الهوى، أو ننتيه في دروب الضلال بعيدين عن الحق. لا سمح الله.



(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٣.

(٣) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الطور، الآية: ٢١.

(٥) سورة فاطر، الآية: ١٨.

العظة والعبرة

توقد النار في الليل، فترى الفراشات تتسابق إليها وتحترق بها، وتُنصب الشباك في مياه النهر والبحر فتعلق بها ملايين الأسماك يومياً، ويحمل الصياد بارودته إلى النبع القريب ليصطاد العصافير، فتأتي هذه لتشرب فتلقى حتفها، ولا تحجم العصافير الأخرى عن العودة إليها، لتقع فيما وقعت فيه مثيلاتها.

فلا عقل لها ولا تدبير يعصمها، ولا تفكير يقودها إلى النجاة.. فالإنسان وحده الذي يتعظ بغيره ويعتبر، الإنسان الذي يفكر في عاقبة كل أمر...

ولكن مع الأسف تجد الكثرة الكاثرة من الناس لا تفكر، ولا تريد أن تفكر، وهبها الله صمام الأمان (العقل) فتطرحه جانباً إلا في الأمور المعيشية، وتنسى أنها خلقت لتمر بمراحل الحياة، ثم تطوى صفحة الملايين من الناس يومياً والعجلة تدور، والناس غافلون ساهون عن الحقيقة التي خلقهم الله لأجلها، ويأتي الأنبياء والرسل ويأتي الدعاة من بعدهم يهزؤون الناس ليستيقظوا من سباتهم، لينتبهوا إلى حقيقتهم.. ويصحو أناس ويغرق أناس.. والقرآن الكريم يهزنا لنستفيق، ويدعونا إلى العظة والعبرة، فيطرق أفكارنا من جهات عدة:

أ - الاتعاظ بمصير الأمم السابقة.

ب - الاتعاظ بنا أنفسنا.

ج - الاتعاظ بما حولنا من حياة طبيعية، نراها يومياً.

١ - الاتعاظ بمصير الأمم السابقة:

أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياءه الكرام إلى الناس، يهدونهم إلى صراطه المستقيم، فلما أبوا عاقبهم سبحانه: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾

١ - فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

٢ - وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

٣ - وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

٤ - وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴿١﴾

- أما قوم لوط فقد غرقوا بأن اقتلع جبريل قراهم من قرار الأرض، ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم، وأرسل عليهم حاصباً (حجارة من سجيل منضود)، وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة متنتة «البحر الميت» وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد، وترك من هذه القرية آثار منازلهم الخربة، ليعتبر بها الناس ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾

- وأما قوم شعيب - أهل مدين - فقد نصحهم أن يؤمنوا بالله وحده، ويخافوا العذاب الشديد، ولا يبخسوا الناس أشياءهم، ولينصفوا فلا يطففوا المكيال والميزان، فكذبوه، وهددوه والمؤمنين معه ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٣﴾

هذه الرجفة دمّرت منازلهم، وزلزلت قراهم، ثم جاءتهم صيحة هائلة أخرجت القلوب من حناجرها، فأصبحوا هلكى على الركب ميتين.

- ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَاتَّبَعُوا أَمْرًا غَالِيًا﴾ ﴿٤﴾ فقد أرسل الله تعالى عليهم صيحة مدمرة جاوزت الحد في أحده فخلعت قلوبهم، وذلك أنهم لما عقروا

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٧.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ٥.

الناقة قال لهم نبيهم: ﴿تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ وهكذا كان ففي اليوم الرابع جاء الهلاك المحتوم ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمٍ﴾ (١).

ثم ينبهنا الله تعالى إلى الإيمان بالله وحده، مخوفاً إيانا من عذاب يشبه عذابهم ﴿كَانَ لَمْ يَنْفَوْا فِيهَا إِلَّا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ (٢).

- أما عاد التي سبقت ثمود فقد سبقتها كذلك بالكفر والفساد، وحذرهم نبيهم هود من مغبة الكفر، فلم يأبها فكانوا ملعونين في الدنيا والآخرة ﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (٣).

ولكن كيف أهلكوا؟

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ (٤).

إنها ريح عاصفة باردة شديدة الهبوب والصوت، استمرت عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَفَجَاءَتْ أَتَائِرٌ حُسُومًا﴾ (٥)، تقلعهم إلى الأعلى، ثم ترميهم إلى الأرض على رؤوسهم، فتدق أعناقهم، وتركهم على الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، وشبههم بالنخل لطولهم، وضخامة أجسامهم.

وينبهنا الله تعالى أن لا نكون مثلهم، فيعاقبنا كما عاقبهم ﴿فَهَلْ رَأَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٦)، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (٧).

- وهؤلاء قوم نوح عليه السلام مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك عبادة الأصنام، لكنهم أبوا

(١) سورة هود، الآية: ٦٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٦٨.

(٣) سورة هود، الآية: ٦٩.

(٤) سورة القمر، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٥) سورة الحاقة، الآية: ٧.

(٦) سورة الحاقة، الآية: ٨.

(٧) سورة القمر، الآية: ١٦ و ٢١.

الإيمان ف ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْم عَصَوْي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّزَّ نَزْدَهُ مَا لَّهُمَّ وَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُوهًا مَّكَرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَصْلَحُوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾ (١).

فكيف كان عقابهم؟ يشس منهم نوح حين نعتوه بما لا يليق به، ثم قالوا له: ﴿... مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٢﴾﴾، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿٢٣﴾﴾، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٤﴾﴾، فاستجاب له ربه:

﴿فَفَلَحْنَا الْوَنُوبَ أَسْمَاءُ بِمَا وَفَّيْتُمْ ﴿٢١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْأَمَاءُ عَلَى أَمْرِ قَدِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿٢٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿٢٤﴾﴾ (٥).

ولما انتهى كل شيء ونصر الله تعالى نبيه نوحاً والمؤمنين معه، وغرق الكافرون توقفت السماء عن المطر، والأرض عن إخراج الماء.

أ - ﴿وَقِيلَ يَتَّزِشْ أَلْبَعَى مَاءُكَ﴾

ب - وَكَسَمَاءُ أَقْلِي

ج - وَغِيضَ الْأَمَاءِ

د - وَفُضِيَ الْأَمْرُ

ه - وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ

(١) سورة نوح، الآيات: ٢١ - ٢٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٢٧.

(٣) سورة القمر، الآية: ١٠.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢٦.

(٥) سورة القمر، الآيات: ١١ - ١٤.

و - وَقِيلَ بَعْدَ لِقَايَةِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ (١).

نعم بعداً للقوم الظالمين...

- وهذا فرعون يقول متجبراً متغطرساً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (٢)، ﴿فَحَرَّ فَنَاقِي﴾ (٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ (٣).

فكيف أهلكه الله تعالى؟ لقد سار موسى إلى البحر، وتبعه فرعون، فنجى موسى وأغرق الله فرعون وجنوده ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٤) وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُذَكِّرُ إِلَى الْآخِرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ (٤).

ونجى الله بدن فرعون ليكون عبرة لمن يعتبر ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ (٥) وما يزال بدنه في متحف مصر عبرة للمعتبرين.

وهذا قارون آتاه الله المال الكثير، يعجز عن حمل مفاتيحه الرجال الأقوياء، يتكبر، ويبطر، ويدعي أن المال آتاه بكده وفهمه وذكائه، فغضب الله عليه، ولما خرج يزهو بنفسه ابتلعه الأرض جزاءً وفاقاً ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ يَدَايِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (٦).

أما ضعفاء الإيمان الذين كانوا يرغبون أن يحوزوا مثل ما عند قارون فقد انتبهوا من غفلتهم، وحمدوا الله على نعمة الإيمان، واتعظوا.

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٧.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ٢٣ - ٢٦.

(٤) سورة القصص، الآيات: ٤٠ - ٤٢.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٢.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨١.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُرُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) (١).

ب - الاتعاظ بنا أنفسنا:

يفرح الوالدان بولدهما الذي أنجباه، ويكرسان حياتهما لخدمته، فإذا شبَّ هياً له ما استطاعا، ويكبر فيموتان، ويتزوج هو وينجب... وتدور العجلة من نطفة إلى علقة إلى مضغة غير مخلقة ثم إلى مضغة مخلقة ثم يكون جنيناً كاملاً، ثم يخرج طفلاً، ثم فتى يافعاً، ثم شاباً نشيطاً ثم رجلاً قوياً، ثم يشيب ثم يهرم، وقد يردُّ إلى أرذل العمر، ويموت... وقد ينتهي أجله شاباً^(٢). والعاقل يفكر، ويعي أن هذه الدنيا فانية، لا دوام لها، وأن الآخرة هي الباقية، فليعمل لها.

والإنسان يرى العبر بعين البصيرة قبل عين البصر، يرى تلك التحولات فيتساءل ما أعظم قدرة الله تعالى، وما أجدره بالأنوذية والربوبية!

والقرآن ينبهنا إلى التفكير والتدبير ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١٦) (٣)، أفلا تبصرون قدرة الله في مراحل الخلق وفي اختلاف العصور، والألسنة، والألوان والطبائع، والسمع والبصر، وما إلى ذلك؟.

يقول قتادة: مَنْ تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق، ولُيْنِت مفاصله للعبادة.

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يُنَوِّه إلى عظمة الله في خلق الإنسان:

(١) سورة القصص، الآية: ٨٢.

(٢) عُدْ إلى سورة الحج، الآية: ٥، وإلى سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ - ١٤.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
لماذا جعل الله الإنسان خليفة في الأرض؟ أليس لأنه حَمَلَ الأمانة
التي أبنتها السموات والأرض؟ خلقه فأحسن صورته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (١).

ج - الاتعاض بمن حولنا من طبيعة ومخلوقات نراها دائماً:

فهذه الأنعام يخرج الله عز وجل منها شراباً لذيذاً ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ
لَعِبْرَةً يُشْفِيكُمْ بِهَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ بَيْنَ آخِلَاصٍ سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦) (٢).
والعجب أن ما حوله دم وكرش مليء بالثفل . . يا سبحان الله .

وهذا العسل الحلو المذاق المفيد تصنعه لنا حشرات صغيرة دائبة
العمل ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ
(٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ
أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَفَكَّرُونَ﴾ (٦٩) (٣).

وإذا نظرت فيما حولك من الأرض وجدت واحدة خصبة، والثانية
صخرية، والثالثة رملية. من الذي قسمها هكذا؟.

وإذا نظرت إلى المزارع والحقول، وجدت الأنواع الكثيرة التي لا
تحصى من أنواع الثمار، كلها تشرب الماء، ولكن طعومها مختلف من
حلو، إلى مر، إلى حامض، إلى مالح، ونفضل بعضها على بعض في
الأكل . . مَنْ خلقها ونوعها؟.

بل إن الشجرة الواحدة قد يكون لها فرعان لثمر واحد، لكنهما يختلفان
في الطعم .

(١) سورة التين، الآية: ٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٦.

(٣) سورة النحل، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

بل انظر إلى الأرض الممتدة أمامك فيها الوديان والجبال والأنهار،
ومن كل الثمرات، ثم تمنع في اختلاف الليل والنهار بشكل منتظم...
أليس من خلق كل هذا ودبره قمين أن يُعبدَ - سبحانه - ؟

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا

وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ

يُغْشَى الْأَيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَعَلْنَا فِيهَا زَرْعًا وَخَيْلًا صُنُوفًا وَغَيْرَ
صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضٍ بَقْعَتِهَا عَلَى بَقْعٍ فِي الْأَكْثَلِ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ (١).

وكل ما حولنا فيه تعظيم لخالقنا، دال على قدرته، سبحانه وتعالى من
إله عظيم قدير.



(١) سورة الرعد، الآيتان: ٣، ٤.

الدقة في العلم والتصرف

صفة في الإنسان تدلُّ على نباهة صاحبها وذكائه، تصدر عنه الأمور بعد روية وتدقيق، وحساب ومراجعة، يتابع الأمور معتمداً على آليات ومعطيات موثوقة، ويتحرى الأشياء قبل الحكم عليها ويحسب لكل شيء حساباً.

وهذا لا يعني أنه موفق دائماً فالأمر بيد الله لكنّه يتعاطى الأسباب، وغالب أفعاله توصله إلى ما يرميه.

والقرآن الكريم يضع بين أيدينا كثيراً من الآيات التي تصف المولى عز وجلّ بالعلم المطلق، والدقة الكاملة سبحانه وتعالى، فلم لا نسير على هداه، ونقطف من جناه، ونستقي من ضياه، ونقبس من سناه؟.

فهو سبحانه وتعالى يحكي عن ذاته العظيمة فيقول: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١).

فهناك إذاً ما هو أصغر من الذرة، وقد اكتشف العلم الحديث ذلك.. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢).

(١) سورة يونس، الآية: ٦١.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣.

وكما أنه يعرف كل شيء، ولا يغيب عنه شيء: فهو سبحانه يحاسب على كل شيء، مهما صغر أو كبر، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (١).

وقال سبحانه كذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤) (٢).

كما أن الذي يؤمن بالله، ويقرن الإيمان بالعمل يكرمه الله تعالى فيدخله الجنة، ولا ينقصه من ثوابه شيئاً، مهما كان صغيراً، كيف لا والمجازي هو الرحمن الرحيم؟

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١٢٢) (٣) والنقيير: حفرة في ظهر النواة، كراس الدبوس، لا تكاد ترى.

والله سبحانه وتعالى المتصرف في كل شيء. أما المعبودات الأخرى فلا تملك شيئاً مهما حقر، فضلاً عن أنها لا تملك نفسها، فكيف يعبدها الضالون.

قال تعالى: ﴿... ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (٤) والقطمير: تلك القشرة الرقيقة بين الثمرة والنواة. أرأيت إلى هذه الدقة في التعبير ففي هذه الآية ذكر «القطمير» وفي الآية السابقة ذكر «النقيير».

فإذا وقفت في غابة كبيرة فيها مئات الآلاف من الأشجار، وعلى كل شجرة عشرات الأغصان، وفي كل غصن الآلاف المؤلفة من الأوراق، وعشرات الآلاف من الحب والثمار، قلت مَنْ يعلم عددها ونوعها؟

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ١٣.

والله سبحانه وتعالى يعلم عددها وعدد ما سقط على الأرض منها... دقة عجيبة، وحساب متقن ﴿..... وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَكْتُبُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١).

وكل ما يفعله الله فعله بقدر، وهو مكتوب عنده في لوحه المحفوظ.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) ﴿٢﴾، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ (٥٣) ﴿٣﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (١٧) ﴿٤﴾.

والمشركون يأخذون كتبهم بشمالهم، فيقرؤونها، فلا يجدون إلا ما عملوه كاملاً لم ينقص شيئاً صغيراً كان أم كبيراً، فيتملك اليأس قلوبهم.

أ - ﴿وَيَقُولُونَ يَتْلُونَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

ب - وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا

ج - وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ حَدًّا﴾ (٥٥).

وحين يرفع الله سبحانه وتعالى أوليائه الصالحين إلى الدرجات العلى، يكرمهم، فيرفع معهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإحسان، إلى مراتبهم على الرغم من أن صلاح الذرية لم يبلغ صلاح الآباء... متناً منه سبحانه وفضلاً، دون أن ينقص من ثواب الآباء شيئاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٦).

ومن الدقة العجيبة كما مر في «النقير» و «القطمير»، «الفتيل» أيضاً

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٣) سورة القمر، الآية: ٥٣.

(٤) سورة يس، الآية: ١٢.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٦) سورة الطور، الآية: ٢١.

وهو الخيط الذي في شق النواة.. لا يظلم الله المؤمنين في ثوابهم وأجورهم، بل يكرمهم ويزيدهم، فهو المنعم الوهاب.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانٍ مِمَّنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ بِيَمِينِهِ. فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝﴾ (١).

وتعال إلى الحساب الدقيق في السنوات، فهؤلاء أصحاب الكهف لبثوا فيه ثلاثة مئة سنة ميلادية، وهي تساوي ثلاث مئة، وتسع سنوات هجرية. وعلى هذا لاحظ الدقة في الحساب ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝﴾ (٢).

واقرا معي هذه الآية وتمعن في بعض أسباب تتابع الليل والنهار: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصَرَةً. لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ

ب - وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ

وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَّا تَفْصِيلًا ۝﴾ (٣).

فالدقة دليل على التمكن، وطريق إلى الثبت.



(١) سورة الإسراء، الآية: ٧١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

الوضوح في المعاملة

ليس هناك أفضل من الوضوح في التعامل، ففيه فوائد عديدة منها:

- ١ - أن يعرف كل من الفريقين حدوده، فلا يتعداها.
 - ٢ - أن يلتزم المتعاملون بما اتفقوا عليه، فترتاح النفوس.
 - ٣ - أن تنسأ أمام المتلاعبين طرق الاحتيال والفساد.
- والقرآن الكريم علمنا أن نعمل في ضوء الشمس، دون موارد أو ختل، فنحن ندعو إلى الله بطريق واضحة، يراها من يريد أن يراها، ويتبعها من يريد اتباعها من أهل الفطنة والعلم، والطوية النظيفة.

- والله سبحانه وتعالى علّم نبيّه الكريم أن يكون قدوة في الوضوح ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

- أما شعيب عليه السلام، أو الرجل الصالح في مدين، الذي سقى موسى عليه السلام لابتتيه غنمه، فقد أراد أن يزوج موسى ابنته، فكان شرطه واضحاً، قَبِلَهُ موسى عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ

١ - عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَّ

٢ - فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

٣ - وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ

٤ - سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

٥ - قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

٦ - أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ

٧ - وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ (١).

شروط واضحة ليس فيها لبس.. وعلى مثل عين الشمس فاشهد.

- وتزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ومكثت عنده فترة، ثم لم يتفقا، فطلقها وكان زيد مملوكاً للسيدة خديجة، وهبته للرسول الكريم حين تزوجها، فأعتقه وتبناه، وكان رسول الله ﷺ يأمر زيدا أن يمسكها، فلا يطلقها. وهو يعلم أن الله سيطلق التبني وأحكامه بتطليق زينب من زيد، وتزويجها للرسول الكريم ﷺ.

وبما أن الدين لا يمكن أن يكون فيه غموض وإبهام نزلت الآيات، موضحة الأحكام دون حرج ولا خجل، فالحق أحق أن يتبع، ولا يصح إلا الصحيح ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا

لَكَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٧﴾ (٢).

- وفتح الله سبحانه على نبيه وعلى المسلمين خبير، فملكوا الكثير الكثير، ورأت نساء النبي ﷺ كثرة المال بين يدي رسول الله ﷺ، فسألته الزيادة في النفقة، ليتمتعن بسعة الدنيا ونعيمها وبهرجها الزائل، فتأذى

(١) سورة القصص، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

رسول الله ﷺ من إلحافهن في السؤال، وإلحافهن فيه. فنزلت الآيات واضحة تبين ما على نساء النبي أن يكن:

- أ - ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨)
- ب - وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)
- ج - يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُصْغَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)
- د - وَمَن يَقْتُصِرْ بِكُنَّ إِلَهُ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا أَجْرًا مَّرَّتَيْنِ وَاعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)
- هـ - يٰنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ قُلُوبَكُمْ بِأَقْوَالٍ فَتَطْعَمَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢)
- و - وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)
- ز - وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) (١)

فوضح الله لهن مكانتهن العظيمة في بيوت رسول الله ﷺ، وأنهن قدوة لنساء المسلمين توضيحاً بيّناً. فرضين كلهن برسول الله ﷺ زوجاً وحيياً، وقلن كلهن: بل نريد الله ورسوله والدار الآخرة... رضي الله عنهن وأرضاهن.

- وليس المسلمون والكفار سواء في المعاملة في المجتمع الإسلامي.. صحيح أن لغير المسلمين في مجتمعنا حق المواطنة والعيش الكريم، والأمان، إلا أنهم لا ينبغي أن يكونوا على قدم وساق مع المسلمين، لا في الدنيا، ولا في الآخرة كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى. فقال في كتابه الكريم، نافياً أن يعامل المجرمون في الآخرة بما يماثل معاملة المسلمين،

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٢٨ - ٣٤.

في كثير أو قليل ﴿فَتَجْعَلُ السَّامِعِينَ كَالْغَرْمِيِّ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿أَمَّا تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٧٨)؟! (٢).

- وما أشدَّ وضوح معاملة المطلقات في هذه الآيات: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

أ - فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ

ب - وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ

ج - وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ

د - لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ

هـ - وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفِدْحَةٍ مُنِيَّةٍ ﴿٣﴾

و - ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ

ز - وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَدْلِ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴿٤﴾

ح - ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ

ط - وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي

لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْقُ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٥﴾ (٦)

ي - وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ ﴿٥﴾

- وكثير من النساء هربن من المجتمع المكي المشرك إلى المدينة

(١) سورة القلم، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٤) سورة الطلاق، الآية: ٢.

(٥) لم يحضن لصغرهن، عدتهن ثلاثة أشهر.

(٦) سورة الطلاق، الآية: ٤.

المنورة، بعد صلح الحديبية، فجاء أزواجهن أو إخوتهن يستردونهن بموجب الاتفاق المبرم، إلا أن النبي ﷺ، اعتبر المتفق عليه بحق الرجال لا النساء، وجعل لهن امتحاناً يعرف به المسلمون إن كنَّ مؤمنات حقاً، أو هربن لأمر ما.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

- ١ - إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ
- ٢ - فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
- ٣ - وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنْفَقُوا
- ٤ - وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَالَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
- ٥ - وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ
وَسَأَلُوا مَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَسْتَلُوا مَّا أَنْفَقُوا... ﴿١﴾.
- ٦ - ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ
يَتَلَّ مَّا أَنْفَقُوا﴾ ﴿٢﴾.

فهذه الآيات كانت موضحة تمام التوضيح لمعاملة النساء المسلمات، اللواتي هربن إلى المجتمع المسلم، والنساء اللواتي ارتددن إلى الكفر، وكيف يدفع للمسلمات الجديدات مهرهن، وكيف - إن كان ممكناً - استرداد ما دفعه المسلمون من مهور للنساء اللواتي عدن إلى مكة مرتدات... وضوح، وتنظيم، ودقة في المعاملة، كي يتعد المسلمون عن الحرج...

- ويجب البرّ بالوالدين، ولو كانا مشركين، ولا يكون الشكر لله إلا مقروناً مع الشكر لمن أحسن إليك - الوالدين - ولكن للبر حدود لا يمكن تخطيها!! خاصة إذا كانت حدود الله تعالى.

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٠.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ١١.

أ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانَهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ

ب - أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ

ج - إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

د - وَإِنْ جَهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

هـ - وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا

و - وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى ... ﴿١﴾

- ونرى الوضوح كذلك في التعامل مع من يرتكب فاحشة الزنا:

١ - فإن كان الزاني والزانية غير محصنين فكيف يعاقبان؟ .

أ - ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ

ب - وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

ج - وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

٢ - بمن يقترون الزاني والزانية؟

أ - ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً

ب - وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ

ج - وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

٣ - ما عقوبة من يقذف المحصنات دون وجه حق؟

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ

أ - فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً

ب - وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٣.

ج - وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ .

٤ - فهل تبقى العقوبتان المعنوية في الدنيا والنار في الآخرة إن تاب القاذف؟ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ ﴿٢﴾ .

٥ - فإن كان القاذف الزوج نفسه فما حكمهما؟

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ

١ - فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ

ب - وَالْخُلُوسَةُ أَنْ لَعَنَتِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾

وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ

أ - أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾

ب - وَالْخُلُوسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ ﴿٣﴾ .

وهكذا يفرق بين الزوجين المتلاعنين فراق بينونة كبرى، ويكون أحدهما قد باء بالخسران الأبدي إلا إذا كانت المرأة زانية، واعترفت، فرجمت، فقد طهرت، وتابت توبة نصوحاً.

إن الغوص في أعماق القرآن والقراءة فيه بامعان يجلي للقارئ كنوزاً من الأمثلة في كل أسلوب تعليمي من أساليب القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



(١) سورة النور، الآية: ٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٥.

(٣) سورة النور، الآيات: ٧ - ٩.

اغتنام الفرص

كيف يغتنم المرء هبوب رياحه؟، وهل تتاح الفرصُ كثيراً؟ وماذا يسمى من أوضاعٍ شيئاً كان بين يديه ثم سعى وراء ما يهرب منه ويتعد عنه؟.

إن الله سبحانه وتعالى يشبهنا في قرآنه العظيم إلى اغتنام ما بين أيدينا، والحرص عليه في مرضاة الله، قبل أن نلقاه مفلسين خاسرين نادمين على ما فرطنا فيه، وما دمنا في الدنيا لم نغرغر بعد فلنغترف من الخير قبل الممات، ففي الدنيا عمل ولا حساب، وفي الآخرة حساب ولا عمل.

قال تعالى يدعو إلى الإسراع إلى فعل الخير:

﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾^(١).

ويمدح المؤمنين الفاعلين الخير المسرعين إليه قبل غيرهم:

﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾^(٢).

أما أهل الغرف من جنات النعيم فهم الذين شمروا عن ساعد الجد واغتنموا الفرص فكانوا أهل الحظوة والقرب.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^(٣) ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١١) ﴿فِي جَنَّاتٍ الْغَيْرِ﴾^(١٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ - ١٢.

والله سبحانه وتعالى ينادي عباده داعياً إلى التوبة واللجوء إليه :

﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾

وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ
بَغْتَةً وَتَنْتَهُرُوا لَهَا تَشْعُرُونَهُ ﴿٥٥﴾

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴿١﴾

ويناديهم أيضاً منبهاً إلى حاجتهم إليه، فليغتنموا الدنيا وليعمل كل
إنسان بما يفيد.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ ﴿٢﴾

وما دام الله سبحانه قادراً على أن يفعل ما يشاء ولا حول لنا ولا قوة
فعلام نستكبر عن عبادته؟ ولماذا نكفر به ونعصيه؟

- ومن فضل الله سبحانه علينا أنه لا يعاقب إلا بعد أن ينذر ويوضح،
فيرسل رسوله إلى الناس، ويفسح لهم الفرصة ليغتنموها، فإن أضاعوا حلَّ

(١) سورة الزمر، الآيات: ٥٣ - ٥٨.

(٢) سورة فاطر، الآيات: ١٥ - ١٧.

بهم العذاب ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِّنْهُمْ فَفَسَدُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ (١).

وقد جرت العادة أن يرسل الله رسولا إلى المدن الكبيرة، يبلغ رسالة ربه، وينذر الكفار، فيقطع الحجج والمعاذير. حتى إذا أهلكهم لإصرارهم على الكفر والإنكار، لم يدع لهم حجة يتمسكون بها، وهذا قمة العدل، ومن أكثر عدلاً من الله سبحانه؟ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٥٩) (٢).

فالعاقل يغتنم الفرص التي يقدمها له الله سبحانه وتعالى، ويؤمن به ويطيعه، ويطيع رسول الله ﷺ.

- ومن الفرص التي يقدمها الله سبحانه وتعالى لعباده دائماً قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ... (٣) فهو سبحانه:

- ١ - يفتح أبواب التوبة مشرعات دائماً.
 - ٢ - فإذا أخطأ الإنسان - وهو خطأ - ثم استغفر، غفر الله له.
 - ٣ - العاقل يستجيب لهذا العفو، فيغتنم الفرصة، ويتوب.
 - ٤ - فإذا تاب وعمل صالحاً زاده من فضله وأكرمه.
- ومن الفرص التي يقدمها الله تعالى فيتلقفها المسلم المؤمن دون أن تفلت منه الدعوة المتكررة للإيمان بالله، فالله سبحانه لا يفتأ يرسل المرسلين - سابقاً - والدعاة المخلصين - لاحقاً - مذكرين، منبهين، منذرين، معلمين... ليستفيد منهم الناس قبل أن يفقدوهم.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ

إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا

فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾

قَالُوا رَبَّنَا يُعَلِّمُوا إِيَّانَا إِلَيْكُمُ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

قَالُوا طَهِّرْ كُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى

قَالَ يَبْقَرُونَ آبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

أَتَبْعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾

ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا؟

إِنْ يُرِدِ اللَّهُ الْفِتْنَةَ لَا تَفْنَى شَفَعْنَاهُمْ لَكَ وَلَا يَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ !

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿١﴾

فدخل الجنة، وكسب رضوان الله لأنه رأى الفرصة مواتية فاغتنمها...

- ويدعونا الله تعالى إلى الإسراع إلى الفرص واكتسابها فيقول: ﴿إِنَّ

هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ (٢).

(١) سورة يس، الآيات: ١٣ - ٢٥.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ٦٠، ٦١.

فيسرع المؤمنون إلى اقتناص ما يجعلهم فائزين، ويعملون جادين مجتهدين.

ويعرض الله سبحانه وتعالى السبيل الذي يصل فيه المسلمون إلى الفلاح، وإرضاء الله، ليهرع إليه أصحابه المريدون له ﴿فَكَاتِذَا الْفَرَقَيْنِ حَقَّهُ وَالْمُسَكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٨) (١).

يهرعون، فيدفعون زكاة أموالهم وصدقاتهم لمن ذكرهم الله تعالى فينالون ما وعدهم من رضا وفلاح.

- وهذا سيدنا موسى وأخوه هارون يقدمان على فرعون، ويدعوانه إلى عبادة الله وحده، وترك البطر وادعاء الألوهية الكاذبة، فينكر عليهما ذلك، فيفجؤه موسى بالآيتين اللتين تبهرانه وأتباعه، فيدعي أن موسى ساحر، وأن أخاه يؤيده، وأنه سيبطل هذا السحر، فعنده من السحرة الكثير، ويضرب لموسى موعداً في يوم عيد للمصريين، فيمهله موسى إلى ذلك اليوم... فيغتنم فرعون المهلة، ويجمع السحرة والأعوان.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ (٦٠) (٢).

﴿قَالُوا آتِجْهُ وَأَخَاهُ وَانْفِثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦) ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ (٣٧) ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٣٨) (٣).

حتى إن السحرة اغتنموا حاجة فرعون لهم، فطالبوه بمكاسب ووعدهم بتنفيذها، بل وعدهم بأكثر مما طلبوا ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرٌ إِن كُنَّا نَعْنُ الْقَلِيلِينَ﴾ (٤١) ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَئِنَ الْمُفْرَقِينَ﴾ (٤٢) (٤).

- وهذا سيدنا يوسف عليه السلام في السجن، يأتيه رجلان، رأى كل منهما حلمًا، يستفتيانه، فلم يجبهما ابتداءً، بل اغتنم فرصة حاجتهما إليه وإصغائهما

(١) سورة الروم، الآية: ٣٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٤١، ٤٢.

إليه، ودعاهما إلى الله تعالى، وعبادته، وتوحيده، ثم أفتاهما فيما عرضاه:

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا
مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيَ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرِئِيهِمْ وَاسِئْتِمِي وَنَعَقُوبُ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ تَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ
شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

يَصْدَحِي السِّجْنَ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا
مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (١).

- وهذه ابنة الرجل الصالح ترى من موسى قوة وأمانة، وقلما تجتمع
هاتان الصفتان في رجل. وأبوها بحاجة إلى مثله، يرعى مصالحهم، ويرعى
الغنم، فطلبت إلى أبيها أن يستأجره، فهو مغنم يعز نظيره ﴿قَالَتْ لِحَدِيثِهِمَا
يَتَأَبَّى أَسْتَجِرُّهُ لِيَكْ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتُ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ ﴿٢١﴾﴾ (٢) ففعل أبوها
ذلك.

وفي سورة الكهف، في قصة موسى والرجل الصالح نجد:

أ - موسى يغتنم صحبة الرجل الذي آتاه الله رحمةً من عنده، وعلمه من
لذنه علماً، فهو لا يتركه إلا أن يستفيد منه ما شاء الله له الاستفادة،
فيصحبه في أعمال ثلاثة، ولا يفارقه إلا مضطراً.

ب - الرجل الصالح نفسه يحاول منذ البداية أن يعتذر عن صحبة موسى،
لأنه لن يصبر عليه دون أن يعلم الأسباب الدافعة له في ما يفعل من
أمر الله، وحين يجزبه ثلاث مرّات لا يصبر موسى فيها على قبول
أفعاله، لا يعرف لفعلها سبباً، يعلن الرجل الصالح وجوب الفراق،

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٧ - ٤٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٦.

مغتتماً فرصة إخفاق موسى في التماسك دون سؤال إلى أن يخبره
الرجل حين يريد . . فيفارقه . . (١).

ونظرة ممعنة في آيات القرآن الكريم تجعلك أيها الأخ العزيز قادراً
على الوقوف أمام عديد منها، توضح لك اغتنام الفرص، واقتناصها لتكون
من الناجحين الفائزين.



(١) سورة الكهف، الآيات: ٦٦ - ٨٢.

إيصال الأمر إلى أهله

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ حَافِظُونَ﴾^(١).

هو أعلم بما جاء به، فهو سبحانه صاحب القرآن ومنزله على رسوله الكريم ﷺ، وهو الذي يحفظه من التحريف والتبديل والتلف، والقادر على ذلك، وهو الذي يأمرنا - سبحانه - إذا غاب عنا أمرٌ من الأمور أن نلجأ إلى من هو عالم به، عارف بأحواله، عنده الحل عن دراية وخبرة.

ففي حالة المرض نلجأ إلى الطبيب لا إلى بائع الحليب.

وفي الرغبة في بناء منزل جديد نلجأ إلى المهندس ومقاول البناء، لا إلى المزارع وبائع الدباء.

وفي الأمور الشرعية - إن استغلق علينا فهم حكم شرعي - نستفتي العالم والفقهاء، لا الصانع والتاجر النبيه...

والقرآن كما علمنا ويعلمنا دائماً ينبه إلى إيصال الأمر إلى أهله فيقول: ﴿فَتَسَلَّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) وليس المقصود بالذكر فقط الفقه والتفسير، والسنة... إنما يتجاوز إلى الأمور الحيوية والحياة المعيشية. وإن كانت الآية هنا تخصص هذه المقاصد لأن الحديث في هذه الآية عن الأنبياء وما يوحى إليهم.

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.

كما أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على رسوله ﷺ وعلمه كي يعلم الناس، ويوضح لهم هذا الدين ويشرحه، ليكونوا عارفين به عالمين، ويستطيعوا تطبيقه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤) (١).

والقرآن الكريم يحض المسلمين أن يسألوا العارفين بالبوطن والظواهر كي يعملوا على هدى وبصيرة. من أمثلة ذلك: ﴿وَسَلِّ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا...﴾ (٢)، ﴿الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ (٣).

كما أن الإيمان يعتبر ناقصاً بل مفقوداً إذا احتكم المسلمون إلى غير كتاب الله، وغير رسول الله، وهذا الرسول الذي يبعثه الله معلماً ومرشداً ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) (٤) وكيف يكون الحرج وأنت تسلم أمرك إلى المختص النبوي، صلة الوصل بيننا وبين صاحب التشريع جل شأنه؟!.

وإذا سألنا أنفسنا: لماذا يحتكم الناس إلى ربهم؟ فالجواب بدهي معروف، إنه العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء.

أ - ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

ب - وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ

ج - وَيَعْلَمُ مَا فِي الْآرْحَامِ

د - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا

هـ - وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

و - إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) (٥).

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

وقد نعى القرآن الكريم على المدّعين الإسلام إحجامهم عن طاعة رسول الله ﷺ وإيغالهم في الابتعاد عن الاحتكام إليه، فهذا ليس من شأن المسلم الصادق الإيمان، بل هو من شأن أهل الأفتدة الضعيفة والقلوب المريضة. فكيف نتبعد عن النطاسي البارع، وييده الدواء الشافي، والعلاج الناجع!!؟

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤٦)
وَيَقُولُونَ ءَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٤٨)
وَلَنْ يَكُنْ لَهُمُ الْخُفْءُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ (٤٩)
أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٥٠)

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١)
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَرِثَقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٥٢) (١).

ففي طاعة أهل الاختصاص وأولي الأمر، والاحتكام إليهم، والنزول على أحكامهم الصائبة، وتسليم الأمور لهم فوز أيما فوز، وفلاح أيما فلاح.

ومن الآيات الواضحة جداً في هذا الباب قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَمْنُونَ

إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ فَنَبِّئْهُ فَتُبَيِّنُوا أَنْ تَصِيْبُوا قَوْمًا بِجَهْلَتِهِمْ

فَنُصِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَذَرِينِ﴾ (٦)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ...﴾ (٢).

فالمسلم المؤمن يسمع الخبر فلا يعجبه، لأنه مخالف للحقيقة، مجاف لها، هكذا يحسه بفطرته، فيتحراه، ويسأله عنه، حتى يتبينه على حقيقته،

(١) سورة النور، الآيات: ٤٦ - ٥٢.

(٢) سورة الحجرات، الآيتان: ٦، ٧.

فلا يجوز اتخاذ القرار إلا بعد معرفة حيثيات الأمر، وإلا ظلم أقوام، وأوذي آخرون، وندم المسلم على عمل عمله دون البحث عنه وتحريه ومعرفته المعرفة التامة.

ومن الآيات الواضحة وضوحاً بيناً كذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ (١)

فالخبر يأتينا سواء كان مفرحاً أم محزنأ، مبشراً أم محذراً فينتشر خبره بين الناس انتشار النار في الهشيم، ولا يصل إلى أهل العلم والندرية إلا متأخراً وقد لا يصل، وكان أخرى بمن سمعه أول ما سمعه أن يحمله إليهم ليحللوه، ويتأكدوا منه، فإن كان إشاعة لبلبله الصف طوؤه، ومنعوا وصوله إلى العامة، وإن وصل إليهم وضح أهل العلم مقاصده الدنيئة، وحصنوا العامة من سوءه وسمومه، فضيعوا الفرصة على المغرضين، المصطادين في الماء العكر، وإن كان صحيحاً استعدوا له وحذروا الناس منه.

وكذلك يفعلون بالخبر الحسن.

ولا يفعل المسلمون ذلك ينزلقوا إلى المستنقع الآسن، الذي أراده لهم أعداؤهم أن يقعوا فيه، وأراده الشيطان لهم أن يسقطوا في أوساخه وتعلق بهم أوشابه.

لكن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، وفضله عليهم نبههم إلى ضرورة إيصال الأمر إلى أهله، فهم أولى به، وأقدر على التعامل معه.



التزام الوقت

يدلُّ على أن صاحبه دقيق في عمله، ملتزم بأدائه في وقته، صادق في وعده، حريص على كسب ثقة الآخرين - وأخيراً - يعرف قيمة الوقت واستغلاله فيما ينفع، وضرره إن لم يستفد منه.

وقد قيل قديماً في التزام الوقت والاستفادة منه: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

والقرآن الكريم حافل بالآيات الشريفة التي تحضُّ على استغلال الزمن، وسباقه في الوصول إلى الهدف الصحيح، قبل أن يأتي وقت لا ينفع فيه الندم.

فالله سبحانه وتعالى خلق الكون كله في أيام ستة، أرضه وسماؤه، وما بينهما فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١) وكرر هذه الآية لفظاً ومعنى، أو معنى فقط سبع مرات في كتابه الكريم، مع أنه سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى الزمن في أفعاله ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢).

فلماذا خلقهما في ستة أيام إذاً، وألزم نفسه هذا الزمن؟ أليس فعلَ هذا ليعلم عباده التوقيت لكل أمر، والاستفادة منه وعدم تضييع الزمن الذي تمضي عقاربته إلى الأمام، ولا تعود أبداً إلى الوراء؟ بلى إنه ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣).

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٩، وسورة السجدة، الآية: ٤.

(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٣) سورة العلق، الآية: ٥.

وعلى الرغم من أن الله سبحانه خالق الزمن والمتصرف فيه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(١) فقد فرض على نفسه التزام الزمن كي لا يترك للكافرين والمشركين ثغرة للتخلص من عاقبة كفرهم وإشراكهم - فهو سبحانه - يوبخ الكافرين الضالين الذين لم يعرفوا قدر الله تعالى وعظمته. فهذا الكون العظيم من صنعه. فإلى أين يتيهون؟ ﴿قُلْ أَيْنَ تُكْفِرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿١٢﴾

وهؤلاء الكفار يكذبون أنبياءهم، ويسخرون منهم، ومن تهديدهم بالعذاب، ويستعجلون العذاب الأبدي الذي واعدهم الأنبياء به، فهل يأتيهم العذاب سريعاً؟ لا فالله سبحانه وتعالى حدّد لهم يوماً لا مناص منه.

﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾^(٣)

﴿وَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ هَؤُلَاءِ الْعَذَابِ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤)

والبشر هم الذين يغضبون ويفعلون فيطشون، ولكن الله الحليم - وإن غضب - يلتزم بالموعد الذي حدده لهم، وأنذرهم إياه ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ

وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾^(٥)

(١) سورة الرعد، الآية: ٨.

(٢) سورة فصلت، الآيات: ٩ - ١٢.

(٣) سورة هود، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٥٣.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

والكفار يستفزّون الأنبياء ويصفونهم بالكذب، وإلا - على زعمهم - فلماذا لا يأتيهم العذاب أين هو ومتى يكون؟ فيجيبهم القرآن الإجابة نفسها ﴿وَقُولُوا مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩)

قُل لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِزُّونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِرُونَ ﴿٣٠﴾ (١).

ولهم أجل محدد يرجئون إليه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (٢).

وتتجلى شدة الالتزام بالوقت في الآية الكريمة التالية: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (٣).

١ - فالغضب الشديد على الكفار واضح في الشرط لولا - حرف امتناع لوجود.

٢ - والشرط الموجد كلمة الله سبحانه بتحديد الساعة محققة الوجود.

٣ - فامتنع الجواب «لقضي بينهم» في الساعة التي يريد الكفار مستهزئين أن تأتيهم.

٤ - ولا بدّ من الانتظار إلى الأجل الذي ضربه الله سبحانه وتعالى لمحاسبتهم وعقابهم.

والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه حذروا أقوامهم هذا اليوم الذي لا يمكن تأخيرها أبداً، وحثوهم على الإسراع بالإيمان بالله قبل حلول هذا اليوم الشديد الوطأة على الكافرين ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ (٤).

﴿فَذَلِكَ يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ (١٠) (٥).

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦١، وسورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٤.

(٤) سورة القمر، الآية: ٨.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٩، ١٠.

يقول سيدنا نوح عليه السلام: ﴿... يَقُولُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝٢﴾ أَنْ
 أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
 إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾^(١) ولكن هل
 يعقلون؟ هل يراعون؟ هل يستمعون النصيح والإرشاد؟

فلنستمع إلى نوح يشكو إلى الله كفرهم وعنادهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ
 قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ
 جَعَلُوا أَصْوَاعَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَأَسْتَسْقُوا شَأْهُمْ وَأَصْرُوا ۝٧﴾ وَأَسْتَكَرُّوهُمَا اسْتِكَارًا^(٢)

فإذا حلَّ ذلك اليوم الرهيب - نسأل الله العفو والعافية - ورأى هؤلاء
 المشركون مصيرهم المرعب نسوا أنهم أقسموا أنه ليس بعد الدنيا دار،
 وأنكروا البعث والنشور، فسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى الدنيا، ويؤخر
 عنهم العذاب، ولكن لا تغيير في الوعد، ويوم الحساب له ميعاد لا يخلفه
 الله سبحانه، إنما سيتقم فيه من المشركين الكافرين لا محالة.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ

فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ حُجِّبْ دَعْوَتَكَ وَتَسْجِ الرُّسُلُ
 أَوْلَمْ نَكُفِّرُوا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۝٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي
 مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
 الْأَمْثَالَ ۝٤٥﴾

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِيَرْوَلْ مِنْهُ
 الْجِبَالُ ۝٤٦﴾

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ. رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝٤٧﴾^(٣)
 ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ

(١) سورة نوح، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة نوح، الآيات: ٥ - ٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآيات: ٤٤ - ٤٧.

إِنَّهُمْ طَرَفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ (١).

إن الالتزام بالوقت، والعمل الجاد المتوازن، والإيمان الواعي المستنير
يوصل إلى النجاة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا هناء، وسعادة، وسمعة
حسنة، وفي الآخرة جنات النعيم، ورضوان من الله أكبر.



(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٣.

الاستبعاد

استبعد الشيء: عدّه بعيداً لا يكون.

وهذا أسلوب يتكرر في القرآن الكريم فيه شيء من التحدي والتعجيز، وشيء من الرفض والتأكيد، وفيه تهديد ووعد وفيه استنكار وإثبات.

فإذا جمعنا هذا إلى ذاك وجدنا تدافعاً بين فريقين، كل منهما يحكم على شيء وينفي ضده... ولكن الحق يكون دائماً مع الله، الحق الذي ينّه إلى العاقبة، ويخوف من النكران، ويحث على التزام الهدى والبعد عن الضلال... أليس هو الله سبحانه مالك الملك وملك الملوك الذي شرّع فأوفى وحكم فعدل...؟!

فقد سمح الله تعالى للرجال أن يتزوجوا من أربع نساء، لكنّه نبّه إلى الطبيعة البشرية الضعيفة، التي لا يمكنها العدل بين النساء، فحذّر من الميل الشديد إلى بعضهن، وترك الأخريات معلقات ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ

فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ

وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾^(١).

وقد حرص النبي ﷺ على إيمان الناس جميعاً وأتعب نفسه في ذلك، وهنا ينبهه الله تعالى أن عليه البلاغ فلا يحزن لإعراضهم، فلو بذل كل شيء

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

ويضع نفسه فأكثرهم كافرون، ولن يستجيب له إلا من كتب الله له الهداية. أما موتى القلوب فحسابهم عند الله تعالى.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ

وَالْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ

ثُمَّ إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (١).

واستبعد القرآن إيمان هؤلاء الذين يصمون آذانهم عن قول الحق، ويغمضون أعينهم عن رؤيته، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

وَلَوْ فَدَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ

أَبْصَارُنَا بَلْ عَن قَوْمٌ مُّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ (٢).

﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ

نَاصِرٍ ﴿٣٧﴾﴾ (٣).

وهؤلاء المشركون لا يؤمنون بالنشور والبعث بعد الموت، ويستبعدونه

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ (٤)، ويرد عليه القرآن:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾ (٥)، وإعادة الخلق

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة الحجر، الآيات: ١٠ - ١٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٧.

(٤) سورة مريم، الآية: ٦٦.

(٥) سورة مريم، الآية: ٦٧.

أسهل من إيجاده من عدم، وكل شيء على الله سبحانه وتعالى هين.
وحين أرسل الله تعالى سيدنا هوداً عليه السلام إلى قومه عاد كفروا به
واستنكروا البعث بعد الموت فقالوا ساخرين:

﴿وَلَيْنَ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمُ إِنَّا لَنَخْسِرُونَ﴾ (٣٤)
﴿أَيَعِدُّكُمْ أَنتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتُمْ تُخْرِجُونَ﴾ (٣٥)
﴿هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (٣٦)

إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِبَارِعِينَ ﴿٣٧﴾ (١)، ﴿وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءُ لَمُخْرِجُونَ﴾ (٣٨) ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ
وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَٰذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩) (٢)، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤٠) (٣).

ولكن الساعة من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِندَ
اللَّهِ وَلَئِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٤١) (٤).

وتأمل معي عناد الكافرين وشدة كفرهم حين يشتطون ويسخرون
ويعاجزون ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٤٢)

أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن تَحِيلٍ وَعَسَىٰ فَتُنَفِّجَهَا الْأَنْهَارُ خِلَافَهَا نَفْحًا ﴿٤٣﴾
أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيْلًا ﴿٤٤﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن دُخَانٍ

أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِإِٰرْقِيكَ حَتَّىٰ تُزِيلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نُفْرَقُ ﴿٤٥﴾
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٤٦) (٥).

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٣٤ - ٣٧.

(٢) سورة النمل، الآيات: ٦٧، ٦٨.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الملك، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ - ٩٣.

ومهما فعل الكافرون فمصيرهم بين يدي الله سبحانه لا فكاك لهم
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِرُونَ﴾ (٥٩) (١).

- وتصور الكافر حين يأتيه ملك الموت وهو في الغرغرة ويرى حوله
ما قيل له، فيوقن أنه ذاهب إلى النار لا محالة، فيطلب تأخير الموت
ليصلح ما أفسده - ولكن هيهات - فلكل أجل كتاب ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ (٢).

بل إن المؤمن العاصي الذي يرى أجله قد حان ولما يفعل من الخير
إلا القليل، يرغب أن يؤخر أجله ليعوض ما فات.

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْوَعْدُ فَيَقُولُوا
رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠)
وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٣).

وهل يغفر الله للمنافقين إن استغفر لهم المسلمون؟! بل إن استغفر
لهم الرسول ﷺ - اقرأ معي قوله سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) (٤) إنهم فسقوا وخرجوا من الإسلام،
فهم والكفار سواء.

وقد أراد رسول الله ﷺ أن يستغفر لرأس المنافقين ابن سلول فنهاه الله
تعالى عن ذلك، فقال سبحانه: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٨٠) (٥).

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

فامتنع الرسول الكريم عن الاستغفار له وقال: «لو أعلم أن الله يغفر له إن استغفرت له أكثر من سبعين مرة لفعلت»، وليس المقصود من العدد السبعين هذا إلا لكثرة الدالة على عدم الغفران للمنافقين.

وهؤلاء الكفار لا غفران لهم كذلك، لأنهم صدوا عن دين الله، وأصروا على الكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٣٤) (١).

وهذا الكافر نفسه كآخيه المنافق يود العودة إلى الدنيا ليؤمن بالله، ويعمل صالحاً، فهل ينفعه ذلك؟ قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠) (٢).

﴿فَإِنْ يَصْصِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ (٢٤) (٣).

والله إنها لنهاية مأساوية ما بعدها من أسى، فالنار من نصيبهم صبروا أم لم يصبروا، وإن طلبوا من الله تعالى الرضا والصفح والغفران فلن ينالوا شيئاً، بل يقال لهم: ﴿... أَحْشُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (٤)، اللهم نجنا من مصيرهم الأسود.

إن العذاب شديد، شديد، والمصيبة للكافرين والمنافقين والمشركين كبيرة، كبيرة ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥٤) (٥).

وفي آية أخرى تزداد كلمة «ومثله معه» للدلالة على شدة العذاب الذي لا يوصف، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ

(١) سورة محمد (ﷺ)، الآية: ٣٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٤.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة يونس، الآية: ٥٤.

لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّثْلَ مَعْمُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ سُوءُ الْحِسَابِ
وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلَّهِ الْفَهَادُ ﴿١٨﴾ (١).

وانظر معي إلى الظالمين قبل أن يدخلوا النار وهي أمامهم - والعياذ بالله منها - يريدون النجاة منها والعودة إلى الدنيا ليعملوا غير الذي كانوا يعملونه، ثم بعد ذلك يعرضون عليها، وهم خائفون، أذلاء، ينظرون إليها بأطراف عيونهم لأنها مرعبة، ثم ينجو المؤمنون فرحين بنجاتهم.

إن الخسارة الحقيقية ليست خسارة الأموال والدور، وما يملكه الإنسان، إنما هي خسارة النفس ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوكَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿٤٤﴾ وَتَرَنَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَةً مِنَ الْأَذَىٰ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ

وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْغَاسِقِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ (٢).

ولذلك نجد الكافر يتحسر على ما فات ويود لو يتخلص من العذاب ولو كان يملك ملء الأرض ذهباً لدفعه راجياً خلاصه... ولكن ما من خلاص ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ ﴿٩١﴾ (٣).

فإذا كان الأمر هكذا، لا نجاة للكافر والمنافق من العذاب أفلا يعقل الإنسان ويرعوي ويصطلح مع الله... أم على قلوب أفعالها؟!

يا إله العالمينا يا مجيب السائلينا
هب لنا منك نجاة وثباتاً وبقينا

(١) سورة الرعد، الآية: ١٨.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٤، ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

رَبِّ جُمِّلْنَا بِفَضْلٍ وَاهْدِنَا دُنْيَا وَدِينَنَا
رَبِّ وَفَقِّنَا لَخَيْرٍ وَاغْرِسْ الْإِيمَانَ فِيْنَا
يَا إِلَهَ الْعَالَمِينَ



دحض الافتراء

العقل هبة من الله سبحانه وتعالى لبني البشر لأنه فضّلهم على كثير ممن خلق، فلما كانوا أصحاب عقول وجب عليهم أن يفكروا بها التفكير السليم ولا يتبعوا أهواءهم، فالأهواء حجب تغطي العقل وتشده إلى البهيمية.

والمشركون والكفار اتبعوا هذه الأهواء التي تنأى بصاحبها عن الحق، وتزين له الباطل، فيصدر أحكاماً ليس لها من الحقيقة نصيب، ويدّعون ما ليس بصحيح، ويزينون لأنفسهم ولمن تبعهم أنهم قد أصابوا كبد الحقيقة، والحقيقة أمامهم، لكنهم لا يرونها، أو يتعمّون عنها.

والقرآن الكريم يورد كثيراً من افتراءاتهم ويبين تفاهتها وسفاهتها بقول محكم تتجلى فيه الفكرة المقنعة، والبرهان الساطع. أو السخرية اللاذعة...
فهلّم إلى أي القرآن نقف على بعض منها.

- فالكفار يرمون رسول الله ﷺ بالكذب والافتراء على الله حين يقرأ عليهم القرآن. فكيف جاء ردّ القرآن الكريم على دعواهم الكاذبة هذه؟ قال تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ؟!!﴾

أ - قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْسِدُونَ فِيهِ

كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

وَهُوَ الْعَفْوَورُ الرَّجِيمُ ﴿٨﴾

ب - قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ

وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ

إِن أَنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

ج - قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ

فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ (١)

... فالرّد كان على ثلاثة مراحل:

الأولى: أن الله تعالى يعاقبه إن كان مفترياً عليه، ولا تقدرّون أنتم على ردّ عذابه، فكيف أفتريه وأدعيه لأجلكم وأنعرض لعقابه؟ أنتم تقولون سحر وشعر وغير ذلك من الطعن، فالله شهيد على صدق دعوتي وخسّن تبليغي، ويشهد عليكم بالجهود والنكران، فإن عدتم وآمنتم فهو يتوب عليكم ويرحمكم.

الثانية: لست أول رسول جاء الناس بما جئتُ به، فلاي شيء تنكرون عليّ؟ ولا أدري بما يقضي الله عليّ وعليكم، فأنا متبع لا مبتدع، ونذير لكم من عذاب الله.

الثالثة: أخبروني يا معشر المشركين إن كان هذا القرآن من عند الله حقاً وكذبتُم به، كيف يكون حالكم؟، ولقد عرف أحد علماء بني إسرائيل صدقي، فأمن بالقرآن، وكفرتُم أنتم. أَلستم أضل الناس وأظلمهم؟.

(١) سورة الأحقاف، الآيات: ٨ - ١٠.

إنه رد رائع سد عليهم مسالك افتراءهم.

- ويعود الكفار إلى التكذيب ورمي الصادق الأمين بالافتراء على الله، مدعين أن القرآن صنعه رسول الله ﷺ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ يَعْْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾^(١).

والجواب المفحم يتضمن ما يلي:

١ - أنتم عرب فصحاء مشهود لكم بالبلاغة فهااتوا عشر سور مفتريات كما فعل محمد - على زعمكم -.

٢ - استعينوا بكل إنسي وجني إن كنتم صادقين في دعواكم أن القرآن من عند غير الله.

٣ - إذا لم تستطيعوا أن تفعلوا ذلك فاعلموا أن رسول الله بشر مثلكم، لا يستطيع ذلك، وما يقرؤه عليكم كلام الله سبحانه وتعالى.

٤ - والعاقل من يسلم حين يرى الحق ساطعاً واضحاً.

- بل إنهم يدعون أن رومياً علمه القرآن الكريم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾﴾^(٢).

روى ابن إسحاق أنه كان في مكة فتى أعجمي قرب الصفا يبيع بعض السلع البسيطة يمر عليه الرسول ﷺ كما يمر عليه الناس، ويكلمه كما يكلمه الآخرون، ولم يكن هذا الأعجمي ليتكلم من العربية سوى كلمات وجمل لا يكاد يبينها، ولا يحسن نطقها... ادعى كفار مكة أنه علم النبي ﷺ القرآن والحكمة!!.

(١) سورة هود، الآيات: ١٣، ١٤.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٠٣ - ١٠٥.

وعلى الرغم من أن هذا الادعاء لا وزن له إلا أنه ينبغي أن نشير إليه
رادين على تخرصات المشركين:

١ - لو كان هذا الغلام ذا حكمة وفهم ما وضع نفسه في الموضع الذي
هو فيه، يمر عليه الجميع من كبار وصغار، وينظر الكثير منهم إليه
نظرة ازدراء.

٢ - أتى لهذا الفتى أن يعلم رسول الله ﷺ القرآن والحكمة على فرض
وجودها عنده، وأداة التعليم واللغة وحسن البيان ليست فيه! وفاقد
الشيء لا يعطيه؟!...

٣ - كان أخرى بهذا الأعجمي الذي اتصف بالعلم والحكمة - على حد
قول الكفار - أن ينسب القرآن إلى نفسه، فيفخر بذلك على أهل مكة
ومن حولها ويتبوأ فيهم مركز الصدارة، لا خانة النسيان!!.

٤ - لم تكاسل هؤلاء جميعاً فلم يتعلموا منه - إن صح زعمهم - فأفادوا
واستفادوا، ونافسوا محمداً ﷺ في دعوته!!.

٥ - وعلى فرض أنه ﷺ - حسب ادعائهم - تعلم من ذلك الفتى الأعجمي
القرآن والحكمة، ثم صاغ ذلك بأسلوب غربي مبين - أما كان أهل
قريش - وهم أفصح العرب، أن يصوغوا الأفكار بقلب سام من
البلاغة شأنهم شأن النبي ﷺ!!.

لقد تحداهم القرآن أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات فعجزوا...
فأحرى بهم أن يصدقوا أنه كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ.

- قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى
وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ الْنَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨) لَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ
فِيهِ وَلَعَلَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) (١)

فهم:

(١) سورة النحل، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

- ١ - يقسمون بالله والعجيب أن الذي يقسمون به يكذبهم سبحانه.
- ٢ - ويؤكدون أن الميت لا يبعث.
- ٣ - وسبحانه قد وعد - ووعدته حق - أنهم سيبعثون، فمن أصدق قولاً؟! إنه الله جلّ وعلا.
- ٤ - البعث لأمرين اثنين:

أ - ليوضح لهم ما اختلفوا فيه.

ب - ليدفعهم بكذبهم وافترائهم على الله ورسوله إلى جهنم، وبئس المصير.

- وبعض الفاسقين الجلاوزة بل كلهم يأمرون الناس بالكفر، ويدعون أنهم يحملون عنهم العذاب في الآخرة - إن كان هناك يوم بعث ونشور -
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَاتَّقَالُوا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾^(١).

فمن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.
- ويقول تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَان مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾^(٢).

وكلنا يعلم ما يفعل الشركاء بعضهم ببعض من الدسائس والمكر وسعيهم إلى إقصاء من يستطيعون إقصاءه.

- ويقول سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ إِلَٰهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾^(٣).

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٢، ١٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: ٩٨ - ١٠٠.

فهل هذه الآلهة تدفع عنها هذه النار المحرقة ۱۱؟

ويقول سبحانه مؤكداً الفكرة نفسها:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً

لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا

وَهُمْ يُخْلَقُونَ

وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا

وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿٢﴾﴾ (١)

فلماذا هم إذا آلهة إن كانوا ضعافاً محكومين ۱۱؟

- ويتعجب الكفار أن يكون الرسول بشراً ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ

يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَسْجُو فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا

﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِثَ إِلَيْهِ كَافُرٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ

إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾﴾ (٢)

فيرد الله تعالى عليهم ببساطة متناهية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَسْجُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٣)

- ومن العجيب أن صفاة الكفار لا تقف عند حد، فهم يدعون أن

الملائكة إناث. وأن الله أمرهم بعبادتها، ولو شاء ما استطاعوا عبادتها!!

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا

أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَخَكَبَ شَهْدَتِهِمْ وَسُئِلُوا ﴿١٩﴾

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ

مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣.

(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

أَمْ ءَاتَيْنَهُم كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِرُونَ ﴿٢١﴾
 بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ (١)

فيستخر الله تعالى منهم حين يسألهم هل حضرتهم خلق الملائكة
 فرأيتموهم إنثاء؟! إن الملائكة ستكتب شهادتكم، ويوم القيامة تحاسبون
 عليها. وهل أنزلنا عليهم كتاباً يقول مثل هذه التخرصات؟! لا، بل إنهم
 رأوا آباءهم ضالين فسلكوا طريق الضلال هذا..

- والعجيب أنهم ينسبون إلى الله الخالق ما لا يرضونه لأنفسهم، فهم
 يكرهون الإناث، ويحزنون إن رزقوا بهنّ، وينكفئون إلى بيوتهم خجلاً أن
 يسمعوا أحداً أو يشير إليهم أحد أنهم رزقوا بنات، وقد يسعون إلى دفنهن
 أحياء، ويجعلون الملائكة إنثاء وينسبوهن إلى الله بنات.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾
 وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
 يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۖ
 أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَوْ يَدُمُّهُ فِي التُّرَابِ
 أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (٢)

وأخيراً وليس آخراً، فالرسول ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب فمن أين له
 أن يتعلم.. إن القرآن من عند الله سبحانه، لا شك..

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
 وَلَا تَخُطُّوْا بِمِيزَانٍ
 إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾
 بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) سورة الزخرف، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٢) سورة النحل، الآيات: ٥٧ - ٥٩.

وَمَا يَجْعَلُ يَتَابِعَتَنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢).

إذاً، فالقرآن يعلمنا أن نكون واعين نردُّ على الافتراءات التي ينشرها الأعداء هنا وهناك - ابتغاء التشكيك والطعن - بطرق واضحة ودليل بين.



(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.

الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (١).

فمن دعا الله تعالى فقد لجأ إليه، ونزله ببابه، واتكل عليه، وأظهر عجزه بين يديه، وتقبله الله وقضى حوائجه، وأزال عنه همه وغمه، وأبدله مكانهما فرحاً وسعادة، أما العتلُّ الجَوَاطُ المستكبر فليس له إلا النار يصلها، والجحيم يتسعرها، لأنه استعلى وتكبر.

والدعاء مخ العبادة، بل هو العبادة نفسها، فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» (٢).

وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يتقبل دعاءه ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ (٣).

كما أن الدعاء يُتقبل حين يكون صاحبه مخلصاً لله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٤).

ويوم القيامة يفرح المؤمنون حين يعلمون أن الله استجاب لدعائهم

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٤.

حين التجأوا إليه في الدنيا.. يقول أهل الجنة معترفين بفضلِهِ سبحانه: ﴿إِنَّا
كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨) (١).

إنك حين تدعو لنفسك تشعر بالأمن والأمان، والهدوء والاطمئنان.

وحين تدعو لذريتك وأهلك تنزل البركات عليهم، ويحوطهم الله
برعايته.

وحين تدعو للمسلمين تزداد أواصر الحب، وتنمو الصلات، وتنتشر
المودة.

وحين تدعو على أعداء الله وأعدائك تتفتح السماء بنصرِكَ عليهم،
وتتزلزل الأرض من تحت أقدامهم.

ولنا في السلف الصالح خير قدوة وأفضل أسوة.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو للبلد الحرام وأهله، قال تعالى:
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢) (٢٩).

ثم تراه وابنه إسماعيل عليهما السلام، وهما يرفعان قواعد البيت يدعوان
لنفسيهما ولذريتهما، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ
وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠) (٣١) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣٢) (٣٣).

كما أن عباد الرحمن يسألون الله تعالى أن يحفظهم في أزواجهم
وذرياتهم ويجعلهم قدوة لعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرْقَةً أَغْنِيْكَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٣٤) (٣٥).

(١) سورة الطور، الآية: ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٧، ١٢٨.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

ثم انظر إلى برد الراحة وسمو النفس حين يقف الإنسان في رحاب الله يسأله ما لا يُسأل غيره سبحانه، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا

رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا

رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ

وَاغْفِرْ عَنَّا وَارْحَمْنَا

أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

- وهذا سيدنا زكريا عليه السلام يرى التقوى في مريم البتول، فتتحرك نفسه شوقاً إلى ولد صالح يخلفه، فيضرع إلى الله بالدعاء، أن يرزقه الولد الذي تقرُّ به عينه فيأتيه الجواب سريعاً.. سبحانه الله ما أسرع فضله وأكرم عطائه ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (٢٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ (٢).

أما حواريو عيسى عليه السلام فيرفعون أياديهم إلى المولى يسألونه رفع درجاتهم ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَرْسَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٢) (٣).

وأولو الألباب أصحاب القلوب الحية تسبح أفكارهم في ملكوت الله، فيرون الجمال، ويرون الحق في كل ما تقع عليه عيونهم، وتصل إليه عقولهم، وتشعر به قلوبهم فيسألون الله العفو والمغفرة والنجاة من النار، والكرامة يوم القيامة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (١٩١)

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٣.

رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا

رَبَّنَا فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾

رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا نَحْزَنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾ ﴿١﴾

فكان الجواب على الفور نازلاً من السماء بالإيجاب قائلاً: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾ ﴿٢﴾

ونبي الله يوسف عليه السلام يرى النساء المترفات يدعونه إلى طاعة المرأة الماكرة في الفحشاء فيأوي إلى ركن الله المتين يسأله حفظه وصونه ﴿...وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣﴾، فيستجيب الله فيصرف عنه كيدهن... ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٤﴾

والقرآن الكريم مليء بآيات الدعاء التي تربط الإنسان ومصيره بربه سبحانه وتعالى، وتدله على الطريق الصحيح الموصل إلى رضاه ومغفرته، وحين يتصل الإنسان بخالقه يدعو له كل مخلوق، ويحبه ويعظم في عينه. هذه ملائكة الرحمن تدعو لك أيها المسلم.. قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

أ - يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

ب - وَيُؤْمِنُونَ بِهِ

ج - وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا

د - رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَتَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَفِيهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩١ - ١٩٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣٤.

هـ - رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾

و - وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَبَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (١).

أرأيت إلى هذا الدعاء المتكامل الشامل لصنوف الخيرات؟!.

فإذا التجأت إلى الله من ظلم الأعداء وبطشهم وفسادهم أجابك سريعاً لأنه يراك وجهادك في سبيله، واستقامتك على شرعه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ (٢)، فيقول الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

ثم انظر معي إلى دعاء سيدنا نوح على الكافرين واستجابة الله سبحانه له: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ (٤).

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (٥).



(١) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٨٩.

(٤) سورة نوح، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٦، ٧٧.

أسلوب القص «القصّة»

للقصّة تأثير كبير في نفس متلقيها، لما فيها من تدرّج في سرد الأخبار، وتشويق في عرض الأفكار وطرحها ممزوجة بعاطفة إنسانية.

وهي تعتمد على الحوار والنقاش الداخلي حيناً، والخارجي حيناً آخر، وتصدر مقترنة بالزمان والمكان اللذين يغلفان الأحداث، بإطار يمنع الذهن من التشتت وراء الأحداث، وتتدرج من موقف إلى آخر تجذب السامع والقارئ إلى التفاعل معها، والمتابعة بأحاسيسه وأفكاره ومشاعره، ويندمج فيها فتصل به إلى نقطة التآزم «العقدة» ثم تنحل شيئاً فشيئاً.. وتكون «نقطة التنوير» في الأحداث الضوء الذي ينقذ الموقف القصصي، وينقله إلى حالة الهدوء والانتظام أو اتخاذ الموقف الإنساني.. نتيجة للتفاعل الفكري والنفسي مع الأحداث^(١).

والقرآن الكريم استخدم الأسلوب القصصي إذ رآه من أبلغ الطرق المؤدية إلى توثيق الفكرة وإصابة الهدف.

فالقصة في القرآن الكريم: .

١ - الله سبحانه وتعالى [راويها]. [فهي حقيقة واقعة لا ريب فيها] على عكس ما زعمه من يُدعى «عميد الأدب العربي» حيث زعم في قصة إبراهيم عليه السلام أنها رُويت في القرآن على سبيل العبرة والعظة لا على سبيل الحقيقة في الوجود! يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ

(١) من كتاب التربية النبوية ص ١٤.

إِلَّا اللَّهُ ﴿١﴾، ويقول جلّ وعلا في أهل الكهف: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ
بِالْحَقِّ﴾ ﴿٢﴾، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَنْقُصُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ
الْفَصِّلِينَ﴾ ﴿٣﴾.

ففي الآيات الثلاث يؤكد صاحب العزّة والجبروت أن ما يقصّه حقّ،
فماذا بعد الحقّ إلا الضلال؟! وهل بعد الحقّ إلا الضلال في أوهام
المخرّصين؟!.

٢ - والله تعالى يقص [أفضل القصص وأحسنها] «للفائدة والعبرة» لا
ليتمتع بها «أهل الفنّ للفنّ» إن القصة تأتي:

أ - لغرس مبدأ وفكرة.

ب - وتثبيت عمل صالح.

ج - ونشر فضيلة.

د - ودعوة إلى حقّ وهدى.

قال تعالى: ﴿تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ﴾ ﴿٤﴾.

﴿فَأَقْصَصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥﴾.

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٦﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٦.

(٦) سورة هود، الآية: ١٢٠.

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ (١).

٣ - وهي في مادتها تنحو تجاه وحدانية الله وطاعته والعمل بشريعته، وقصد رضوان الله والفوز بالجنة، والنجاة من النار.. قال تعالى: ﴿يَنْصَحِرَ الَّذِينَ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهِى وَيُذَرُّوْكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾﴾ (٢).

وقال أيضاً: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهِى فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (٣).

٤ - وهي أنواع عدة في شخوصها.. فنحن نرى:

أ - قصص الأنبياء وأقوامهم - قوم نوح - عاد قوم هود - ثمود قوم صالح - إسرائيل وموسى - اليهود وعيسى - داوود وجالوت.

وهذه - على سبيل المثال - قصة الرجل من بني إسرائيل الذي قتله ابن أخيه ليرثه، فكشفه الله تعالى أمام قومه لينال جزاءه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً

قالوا: أَلَنَخِذُنَا هُزُؤًا

قال: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾

قالوا: أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ

قال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكُرُّ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا

تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

قالوا: أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٣٠، ١٣١.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ٣٥، ٣٦.

قال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوُثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾

قالوا: قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَيْكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾

قال: إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا

قالوا: أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ

فَذَجَّحُواهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧١﴾ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الَّذِينَ يُكْرِمُونَ الْعِبَادَةَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ (١).

ومن الفوائد في هذه القصة:

أ - قوله: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ تنبيه على أن الاستهزاء بأمر الدين جهل كبير.

ب - قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ خطاب موجه إلى اليهود المعاصرين للنبي ﷺ، وقد جرى هذا الأسلوب المعروف في مخاطبة الأقباط، إذ ينسب إلى الخلف ما فعل السلف، إذا كانوا سائرين على نهجهم، راضين بفعلهم، وفيه تقريع وتوبيخ للغابرين والحاضرين منهم.

ج - واقعة قتل النفس هذه جرت قبل أمرهم بذبح البقرة وإن وردت في الذكر بعده، والسر في ذلك التشويق إلى معرفة السبب في ذبح البقرة.

د - التكرار في التقريع والتوبيخ لتكرار سوء أديهم في عدة أمور:

أولها: أنهم استهزأوا برسول الله موسى عليه السلام ﴿أَلَنَخَذُّنَا عُزُرًا﴾.

(١) سورة البقرة، الآيات: ٦٧ - ٧٣.

ثانيها: ما ضيقوه على أنفسهم في اختيار البقرة، فضيق الله عليهم.

ثالثها: العودة إلى الهزء بالرسول الكريم في قولهم: ﴿الْقَنَ جُنَتْ بِالْحَقِّ﴾ إذاً فهو على زعم المغضوب عليهم لم يكن يأتي سابقاً بالحق!!.

رابعها: عدم الكشف عن القاتل، ومداراته، ومحاولة إخفاء جريمته.

هـ - التأكيد على إحياء الموتى بطريقة حسية ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٧٣).

ولا بد في كل قصة كما أسلفنا من فوائد، وعظات، وعبر، جاءت السورة لأجلها.

ب - قصص الصالحين كقصة مريم عليها السلام وزوجة فرعون، ورجل من آل فرعون، والرجل الصالح في سورة يس.

أما قصة الرجل الصالح فتدل على عميق إيمانه، فلم يخف من قول الحق وعُضِدَ رُسُلُ اللَّهِ، ودعا إلى اتباعهم، وأعلن كلمة التوحيد، فقتلوه فكانت الجنة مثواه رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُوا الْوَرَسَكَيْنِ﴾ (٢١) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُنْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنَّهُ إِذَا لَفَى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ءَأْمَنُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ (١).

ومن الفوائد في هذه القصة:

١ - الإسراع إلى نصره الحق. ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾.

٢ - مهما قل العدد فإنه يفيد في نصره الحق.. رجل [واحد].

(١) سورة يس، الآيات: ٢٠ - ٢٧.

٣ - إعلان كلمة الحق وذلك في اتباع المرسلين المهتدين الذين لا يريدون أجراً إنما عند الله ثوابهم.

٤ - لا تجوز عبادة أحد سوى الله الذي خلق وأمات، وإليه المعاد.

٥ - لا يُعْبَدُ إلا مَنْ بيده الأمر، فهو يعطي ويمنع، ويضر وينفع.

٦ - أي إشراك بالله إجحاف بحقه في الألوهية - سبحانه - وظلم للنفس.

٧ - المسلم داعية إلى الله، يُسْمِعُ الناس كلمة الحق ﴿فَاسْمَعُونَ﴾.

٨ - دخول الجنة وغفران الله تعالى الربح العظيم والفوز الكبير.

٩ - لا يحقد المسلم على أحد حتى على الذين قتلوه بل يطلب لهم الهداية كما اهتدى، والنجاة كما نجا، والفوز كما فاز: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

١٠ - التحبب إلى الناس ﴿يَقْوِرُ﴾ لإشعارهم أنك منهم، تريد لهم الخير.

ج - قصص الأنبياء والصالحين، ومنها: قصة - موسى والخضر - وموسى والرجل الصالح في مدين الذي زوجه ابنته^(١) وقصة ذي القرنين.

أما موسى عليه السلام فقد ظن أنه أعلم الناس في زمانه لأنه النبي الوحيد - إذ ذاك - من أولي العزم، فنبهه الله إلى أن هناك مَنْ هو أعلم منه، فرغب عليه السلام أن يقابله ليتعلم منه، فبدأت القصة: قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ^(٢) لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا عَدَاءُكَ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٧﴾﴾

قَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا

(١) على قول أنه - صاحب مدين - ليس نبياً.

(٢) هو سيدنا يوشع بن نون الذي استلم الراية بعده وقاتل الكفار، وتوقفت الشمس عن الغياب حين دعا وهو يحاربهم حتى انتصر فغابت.

قال: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ

فَازْتَدَا عَلِيٌّ ءَاثَارَهُمَا فَصَصَا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

قال له موسى: هَلْ أَتَيْكَ عَلِيٌّ أَن تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا

قال: إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٦﴾

قال: سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا

قال: قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٦٧﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا

قال^(١): أَخْرَقَهَا لِنُفْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا^(٢)

قال: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

قال: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَفَيَا غُلَامًا فَفَقَلَهُ^(٣)

قال: أَفَقُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا

قال: أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا

قال: إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي فَدَّ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَن يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ

قال: قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا

قال: هَذَا فِرَاقُ بَنِي وَيَسَّكَ سَائِبُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا

(١) القائل موسى.

(٢) الأمر من الشيء: العجيب المنكر، العظيم.

(٣) قتله الرجل الصالح (الخضر).

أ - أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ
مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

ب - وَأَمَّا الْفُلُ فَكَانَ آبَاؤُهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾
فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

ج - وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَالِحًا فَآرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾^(١)

والفوائد في هذه القصة جمّة وفيرة نذكر منها:

- ١ - أن يلتزم الإنسان - مهما علا قدره وارتفع - حذره.
- ٢ - الإصرار على حيازة العلم، «لا أبرح... أو أمضي حقبا».
- ٣ - الترتيب الجيد للسفر، من تهيئة الطعام، ومعرفة الغاية من سفره، ومكان الوصول، ومن تلتقي، ومن تصاحب في سفرك....
- ٤ - قدرة الله تعالى أحيت الحوت المشوي، فانطلق في الماء مبتعداً.
- ٥ - الاعتراف بالنقص حين طلب الطعام، وكأنه شعر بالجوع بعد السفر وأن الله تعالى كان يعلمه فأثر العودة.
- ٦ - الأدب في نسبة النسيان إلى الشيطان، أما الله تعالى فهو يُذكر بالخير.
- ٧ - سمات عباد الله، آتيانه رحمة من عندنا، وعلمناه من لدنا علماً.
- ٨ - إذا اتخذ الله ولياً لم يتركه جاهلاً، إنما علمه «العلم اللدني».
- ٩ - الصبر على طلب العلم واحتمال المعلم، والتلطف به.
- ١٠ - من شروط تحصيل العلم: الصبر، وطاعة المعلم.
- ١١ - كل أمر بمشيئة الله سبحانه ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.

(١) انظر: سورة الكهف، الآيات: ٦٠ - ٨٢.

١٢ - توضيح الأمور للمتعلم قبل أن يفارق أستاذه.

١٣ - أن تنسب العلم والأمر كله لله سبحانه ﴿وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي﴾.

١٤ - التأدب مع الله حين جعل الخضر خرق السفينة من عمله وإن كان الله تعالى قد أمره وكذلك قتل الغلام.. أما بناء الجدار فقال فيه: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ فجعل ذلك من الله.

د - قصص التائبين: ومنها قصص أصحاب الجنة، وسحرة فرعون، وأصحاب الأخدود.

ونقف عند سحرة فرعون الذين ظنوا سحرهم يقف أمام آيات الله الباهرات، فلما عاينوا قدرة الله عرفوا أنفسهم، فسجدوا لله، وآمنوا بموسى عليه السلام، فهددهم فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فكان صبرهم أوفى دليل على صدق إيمانهم... قال تعالى:

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَبْقَوْنَ ﴿١١﴾

قال: رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَصِيبُ صَدْرِي وَلَا يَبْقَىٰ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾

قال: كَلَّا فَادْهَبَا بِعَابَتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾

قال: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الْكُفْرَ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

قال: قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾

قال فرعون: وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾

قال: رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٢﴾

قال لمن حوله: أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٣﴾

قال: رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

قال: إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
 قال: رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
 قال: لَيْنِ اتَّخَذَتْ إِلَٰهًا غَيْرِي لَآجَعَلَنكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾
 قال: أَوَلَوْ جِئْتَكَ بِشِقْوِ مُيْمِينٍ ﴿٣٠﴾
 قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾
 فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ يَمْرُؤًا فَإِذَا هِيَ بَيْعَاتُ لِلنَّاطِرِينَ ﴿٣٣﴾
 قال للملأ حوله: إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
 بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾
 قالوا: أَرْجِهْ وَأَعَاهُ وَاتَّبِعْ فِي الدَّائِنِ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَاأَتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ
 عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ
 لَعَلَّآ نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قالوا لفرعون: أَئِنَّا لَمُخْلَجُونَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾
 قال: نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرَجِينَ ﴿٤١﴾
 قال لهم موسى: أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّتَهُمْ
 وقالوا: بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٣﴾
 فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلَاثُ حَنَافٍ مُنْقَلَبَةٍ ﴿٤٤﴾
 قالوا: ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٦﴾
 قال: ءَأَمْسَرْتُمْ أَمْ قَبُلْتُمْ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَاِبِرٌ لَّكَ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ
 نَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٧﴾
 قالوا: لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا نَنْظُرُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَنَا أَنْ
 كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾
 ومن الفوائد في هذه القصة:

(١) انظر: سورة الشعراء، الآيات: ١٠ - ٥١.

- ١ - أن الله رحيم بعباده يرسل إليهم الأنبياء يدلونهم إلى طريق الهدى والسداد.
- ٢ - معية الله لأنبيائه والداعين إلى سبيله.
- ٣ - قوله: ﴿إِنَّا رَسُولٌ﴾ بالمفرد وهما اثنان دليل على وحدة الهدف.
- ٤ - استهزاء المشركين بالرسول والدعاة، والمنُّ بما يكون ولا يكون.
- ٥ - الاعتراف بالذنب، والإقرار بالتوبة، وجواز الفرار من الكفار في حالة الضعف.
- ٦ - الإقرار بفضل الله ومنه وكرمه.. ﴿فَوَهَبَ لِي رَقِي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٧ - الرسالة فضل من الله تعالى، وكذلك الإيمان يثبت الله به قلوب الدعاة.
- ٨ - رفض الظلم والعبودية، فالله تعالى خلق الناس أحراراً.
- ٩ - على الدعاة أن يبلغوا رسالة ربهم على الرغم من المعوقات، والإرجاف والتهديد.
- ١٠ - الاستعلاء على الدنيا واللجوء إلى الله سبحانه وتعالى في العسر واليسر.
- ١١ - الاتهامات التي يطلقها أهل الكفر على الدعاة واحدة [سحر، جنون...].
- ١٢ - البطانة الفاسدة المترفة عون للحاكم الفاسد على التماذي في الظلم.
- ١٣ - الحاكم الظالم يستهين بكل شيء، ليثبت أركان ملكه. ويبذل المال وغيره في سبيل ذلك.
- ١٤ - انتصار الحق على الباطل نهاية المطاف. والحق منتصر، لا بدّ ولو بعد حين.
- ١٥ - يصل إلى الإيمان أصحاب العقول، وذوو الفطن والنباهة.

١٦ - يجعل الإيمان الحق أهله أقوياء، لا يهابون الموت في سبيله، ويتحملون المصائب والمحن.

هـ - قصص الكفار والمفسدين، ومنها قصص - إبليس والذي آتاه الله آياته فانسلخ منها، قصص الكفار في النار وحوارهم...

و «بلعام بن باعوراء» رجل من اليهود أرسله موسى إلى «مدين» داعياً إلى الله، وكان بلعام عنده اسم الله الأعظم، فرشاه الملك على أن يعطيه الملك، فترك دين موسى، ففعل وضل، واستحوذ عليه الشيطان حتى جعله في زمرة الكافرين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين.. قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِيلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيَاتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقَصْصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيَاتِنَا وَٱنْفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ۝﴾ (١).

ومن الفوائد في هذه القصة:

١ - قد يضل المؤمن وإن بلغ من الهداية مبلغاً إن اتبع هواه نسأل الله الثبات على الإيمان.

٢ - لا يرضى الشيطان من ابن آدم إلا الكفر، فهو يسعى جاهداً إلى ذلك، والمؤمن يستعيد دائماً بالله من الشيطان الرجيم.

٣ - التعبير بالانسلاخ دليل على الخروج من الإيمان كلية بعد أن كان بينهما كمال الاتصال.

٤ - فمثله كمثل الكلب، دلالة على السوء الذي يعيشه من غوى على علم، فهو ضالّ سواء حمل علماً أم بقي جاهلاً..

٥ - هذه القصة دفع للمؤمن أن يعزو فضل الإيمان لله تعالى لا لنفسه.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١٧٥ - ١٧٧.

٦ - مَنْ آمَنَ فَقَدْ أَسْعَدَ نَفْسَهُ، وَمَنْ كَفَرَ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْهَا.

٥ - طريقة عرض القصة في القرآن الكريم:

أ - قد تجيء القصة كاملة مفصلة في سورة كبيرة اختصت بها، كقصة يوسف عليه السلام في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر.

ب - وقد تأتي كاملة مختصرة في سورة صغيرة الحجم، كقصة أصحاب الأخدود في سورة البروج.

ج - وقد تأتي في سور عديدة موزعة حسب الهدف الذي جاءت أجزاء القصة موضحة له كقصص سائر الأنبياء الكرام: آدم، نوح، إبراهيم، هود، صالح، موسى....

٦ - بناء القصة في القرآن:

أ - بعض السور جاءت بطريقة السرد، ومثالها قصة نوح عليه السلام في الجزء التاسع والعشرين، وقصة الذي انسلخ من اسم الله الأعظم، وقصة آدم في سورة البقرة....

ب - وبعضها جاءت بطريقة الحوار، ومثالها ما رأيناه في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وقصة موسى وفرعون والسحرة، وقصة مريم عليها السلام، وقصة إبراهيم عليه السلام وقومه، والنمرود....

ج - وبعضها جاءت تحمل في أسلوبها السرد والحوار معاً كقصة سيدنا يوسف عليه السلام، وَمَنْ سَأَلَ عَنْ قَرِينِهِ الَّذِي كَادَ أَنْ يَغْوِيَهُ لَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّهِ بِهِ^(١).

د - وبعضها جاءت مسرحية حوارية كقصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام في سورة الأعراف^(٢) وكقصة موسى عليه السلام في السورة نفسها^(٣).

(١) انظر: سورة الصافات، الآيات: ٥ - ٦١.

(٢) انظر: سورة الأعراف، الآيات: ٥٩ - ٩٣.

(٣) انظر: سورة الأعراف، الآيات: ١٠٣ - ١٥٦.

٧ - زمان القصة في القرآن ومكانها:

أ - قصص حدثت في الزمان الماضي على هذه الأرض كقصص الأنبياء الكرام وأقوامهم، والصالحين، والتائبين، والمفسدين. . وقد مرّت أمثلة عليها.

ب - قصص ستحدث في المستقبل، يعلم الله سبحانه أنها ستكون، فقصّها علينا سبحانه، وكأنها حصلت لتكون العبرة أبلغ والفكرة أوضح فمثالها هذه القصة القصيرة: ﴿هَذَا وَابْنُ الظَّالِمِينَ لَشَرِّ مَتَابٍ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَقْسِئُونَ إِلَيْهَا ۚ هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ۖ ۝٥٧ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۝٥٨ هَذَا قَوْجٌ مُقْتَنِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ صَلَوا النَّارَ ۝٥٩ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَقْسِئُونَ الْقَرَارَ ۝٦٠ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۝٦١ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَفَتُخَذُّنَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۝٦٣ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۝٦٤﴾ (١).

وهذه القصة القصيرة أيضاً: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ أَقَابِلْ مِنْهُمْ إِلَىٰ كَأَن لِّيَ قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَوَدَا مِنْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلًا أَوَإِنَّا لَمَعِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّظْلِمُونَ ۝٥٤ فَأَطْلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْحَجِيرِ ۝٥٥ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرَوِّينِ ۝٥٦ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلَيْنِ ۝٥٨ إِلَّا مَوَلَّتَنَا الْأَوَّلَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٦٠﴾ (٢).

(١) سورة ص، الآيات: ٥٥ - ٦٤.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٥٠ - ٦١.

أراد الله تعالى له السعادة، فلم يتبع صاحبه الكافر، وانطلق في ركب
المؤمنين الأطهار، فكانت الجنة مثواه.

وهكذا كانت القصة في القرآن أسلوباً تربوياً رفيعاً أفادت معلومات
وأرشدت إلى خير، وشوّقت إلى عبرة وعظة، ودفعت إلى التأسي بالصالحين
والسير على منوالهم، والتفكير السليم والتصرف الصحيح.



الحوار

أسلوب راق في التربية له فوائد كثيرة منها:

- ١ - أنك تسمع حديثاً فيه آراء وحجج يدلي بها المتحاورون، ليبرهن كل منهم على صواب ما يرتثيه.
 - ٢ - أن الحوار يشري السامع أو القارئ أو الرائي بأفكار تطرح أمامه بالحجة والبرهان، فيعتاد التفكير السليم والأسلوب القويم.
 - ٣ - أن الحوار أثبت في النفس، لأن السامع يُشغل أكثر من حاسة في تفهم أبعاد الحوار ومراميها.
 - ٤ - وقد يكون الحوار بين أصليين مختلفين، كالإيمان والكفر وقد يكون في أمر واحد وفكر واحد، فيه دقائق وتفاصيل تثري معلومات السامع، وتعلمه الدقة في الاستنتاج والطرح.
- والقرآن الكريم يستعمل أسلوب الحوار بكثرة، فما تقرأ سورة إلا والحوار عماد فيها، وأساس من أسسها.

فمن أمثلة الحوار تخاصم أهل النار.. يدخل فوج جديد من أهل النار في النار، فيقول المجرمون الذين سبقوهم إليها بعضهم لبعض:

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَدِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَاَ بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ۖ﴾ (٥٩)

قالوا: بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ

وقالوا: رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهِ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ

وقالوا: مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۚ!! أَخَذْتَهُمْ سِحْرًا أَمْ رَآغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾

إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ (١)

وما نزال نسمع حوار أهل النار بعضهم مع بعض، ودخول الملائكة الحوار بالحجة والبينة:

﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾

فيقول الضعفاء للذين استكبروا: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ

وقال الذين في النار لخزنة جهنم: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ

قالوا «الملائكة»: أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

قالوا: بَلَىٰ

قالوا: فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٦٥﴾ (٢)

فالملائكة إذا تنبههم أن لا فائدة من الدعاء، فقد استنفذ الظالمون فُرْصَتَهُمْ.

- وتأمل الحجة البينة التي يطرحها سيدنا إبراهيم على قومه في هذا الحوار

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧١﴾﴾

قالوا: نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُنُّهَا عَافِيِينَ

قال: هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ۚ أَوْ يَبْقَوْنَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٢﴾

(١) انظر: سورة ص، الآيات: ٥٩ - ٦٤.

(٢) انظر: سورة غافر، الآيات: ٤٧ - ٥٠.

قالوا: بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ

قال: أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

أ - الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

ب - وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

ج - وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

د - وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

هـ - وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴿٨١﴾

فحجتهم نافهة.. لقد رأوا آباؤهم يعبدون الأصنام، ففعلوا مثلهم دون تفكير، أما سيدنا إبراهيم فهو يعبد ربه لفضله العميم عليه.. وذكر بعض هذا الفصل.

- واسمع هذا الحوار بين الله تعالى وإبليس المطرود من رحمته لعصيانه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَاحٍ مِّن حَمَلٍ مَّتَسُونٍ ﴿٧٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا ﴿٨٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٨١﴾﴾

قال: يَتَّبِعُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٨٢﴾

قال: لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدْ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلَاحٍ مِّن حَمَلٍ مَّتَسُونٍ ﴿٨٣﴾

قال: فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٨٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٨٥﴾

قال: رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٨٦﴾

قال: فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٨﴾

(١) انظر: سورة الشعراء، الآيات: ٧٠ - ٨٢.

قال: رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٥﴾

قال: هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ آتَاكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴿١﴾

فأنت ترى في هذا الحوار أمر الله سبحانه الذي يجب على المأمور به أن يقول سمعت وأطعت، وبذلك تتحقق العبودية لله، أما المتمرد فحجته داحضة عند ربه، فلا يُشَرَّفُ المرء بالمادة التي خلق منها، إنما يُشَرَّفُ بطاعة الله عزَّ وجلَّ، وامثال أمره.

ونجد هذه المحاوراة تقريباً بألفاظها في سورة الأعراف الآيات [١١] مع بعض التغييرات المناسبة للنص القرآني.

- أما اليهود والنصارى فيدعون الزلفى إلى الله تعالى، ومحبتهم عزَّ وجلَّ إياهم، فيأمر الله تعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم، إنه سيعذبكم بفسادكم وهل يعذب الحبيب حبيبه؟! ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ.....﴾ (٢).

ولو قرأت بإمعان سورة هود لرأيت حواراً دائراً بين أنبياء الله وأقوامهم.

أ - الأنبياء يدعون إلى الله تعالى..

ب - وأقوامهم يكفرون ويشركون به.

فالحوار في هذه السورة في الآيات [٢٥ - ٣٤] بين نوح وقومه.

وفي الآيات [٨٥ - ٩٤] بين شعيب وقومه أهل مدين.

وفي الآيات [٥٠ - ٦٠] بين هود وقومه عاد.

(١) انظر: سورة الحجر، الآيات: ٢٨ - ٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.

وفي الآيات [٦١ - ٦٥] بين صالح وقومه ثمود.

وفي الآيات [٧٧ - ٨٠] بين لوط وقومه.

والنتيجة واحدة.. يصمُّ الكفار آذانهم فينزل بهم العقاب الأليم..

- بل إنك لتجد قصة سيدنا موسى عليه السلام في سورة الشعراء، تبدأ من نداء الله سبحانه وتعالى له في الآية العاشرة بشكل حوارى منتظم، فيأمره أن يذهب إلى فرعون، فيدعوه إلى الإسلام، فيعتذر أنه قتل من قوم فرعون رجلاً قد يقتلونه به، كما أنَّ لسانه ألثغ. فيطمئنه رب العزة إلى أنه سبحانه معه، فلا يخف وسيكون هارون عليه السلام المتكلم معه، ثم نرى موسى عليه السلام يجادل فرعون ويظهر له الآيتين:

أ - إلقاء العصا فتقلب حية تسعى.

ب - إدخال يده في جيبه فتخرج بيضاء لامة.

ثم يلتقي بالسحرة فيغلبهم، فيؤمنون به غير هيتابين بطش فرعون وإيذائه، ثم يسري موسى بقومه نحو البحر الأحمر، ويلحق بهم فرعون وجنوده، لكنَّ الله يفتح لهم طريقاً في البحر فينجون، ويغرق فرعون ومن معه.. وينتهي هذا الحوار القصصي في الآية الثامنة والستين.

إنه أسلوب يشد انتباه القارئ، فيستغرق في المشهد، ويندمج فيه، فكأنه واحد منهم، يرى ويسمع، ويلمس، ويندهش، ويخاف، ويفرح...

- كما أنك تجد الحوار بين موسى عليه السلام وعدو الله فرعون في سورة الأعراف، الآيات [١٠٣ - ١٢٩]، وفي سورة يونس، الآيات [٧٥ - ٨٦].

وتأمل هذا الحوار بين جبريل عليه السلام ومريم العذراء التي رآته داخلاً عليها، فخافت واستعادت بالله منه أن يمسه بسوء:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾

قالت: إِنَّهُ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴿١٨﴾

قال: إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

قالت: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

قال: قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَهَآءَ الْبَنَاتِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿١﴾

حوار (هاديء منفعل) فالهدوء من الملك الكريم جبريل، القادم بأمر من الله تعالى إلى مريم، والانفعال من السيدة العذراء، والمرأة الشريفة التي استغربت أن تحمل المرأة دون زوج:

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ﴾ ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنَاحِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾

فناداها من تحتها: أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَى إِلَيْكِ جَنَاحَ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ قَالَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ

قالوا: يَمْزِيغُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذُ هَزُونَ مَا كَانَ آبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ

قالوا: كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

قال: إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيَّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴿٢﴾

(١) انظر: سورة مريم ١٦ - ٢١.

(٢) انظر: سورة مريم، الآيات: ٢٢ - ٣٣.

حوار قائم بين استغراب القوم، ووجومهم وتعجبهم... هذا الحوار صادق، لكنه معتبر عن المعجزة التي ألجمتهم، فبهتوا، وبين ذلك الطفل النبي الذي أنطقه الله، فدافع عن أمه، وبرأها، وقطع ألسنة المفترين، وأعلن نبوته وكرامته على الله.

إنك لتقف معجباً بإيمان تلك المرأة بالله وثقتها به سبحانه، والرضا بقضائه، وتأثر باتهامات الناس إياها، وحاشاها أن تزلّ فهي العذراء البتول الشريفة، وتهتز سروراً بإجابة ذلك الطفل المبارك الذي كان عوناً لوالدته في محنتها، مبرئاً ساحتها، معلناً أنه رسول الله القادم إليهم، الرافع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

- وتأمل هؤلاء المشركين في هذه اللقطة الحوارية الصغيرة التي تنبئ عن الموقف المهيمن لهم يوم الحشر ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا آيَنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢٢) ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٢٤) (١).

بل إن هول الموقف أنساهم ما كانوا غارقين فيه من الكذب والضلال.

- وانظر إلى الموقف المخيف، والجواب المفزع، الذي يقض الأركان، ويكسر الظهور.

- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ

- قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ؟

- قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا

- قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠) ... ﴿(٢).

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٠.

فالحوار إذاً يوضح الصورة، ويجلو الفكرة، ويقرب المعنى بأسلوب شائق.

ولا بأس أن تراجع الحوار بين يوسف وإخوته في سورة يوسف بعد الآية السبعين، والحوار بين إبراهيم وقومه في سورة الأنبياء في الآيات [٥١ - ٧٠]، وحواره في سورة الشعراء في الآيات [٦٩ - ٧٧].

وستجد في رياض القرآن الكريم كثيراً من الحوار، رزقنا الله وإياك الفهم، إنه سميع مجيب.



التصوير

هو من الأساليب الراقية في التربية، فالإنسان روح وفكر وقلب.. وهو كذلك عين وسمع وذوق، ولمس وشم.

فهو معنوي ومادي بآن واحد فإذا عجز أحياناً عن الوصول إلى الفكرة الشفافة ذهنياً وصل إليها مادةً وحساً، والمهم أن يصل إلى المعلومة، وتتركز في ذهنه، ويتفاعل معها.

وهذا الأسلوب الرفيع يتخذه الأدباء للسمو ببيانهم، ويحتاج إليه الرجل العامي البسيط، كما يحتاج إليه الرجل المثقف العليم لأغراض عديدة منها.

١ - توضيح الفكرة والصورة، فالتصوير يزيد المعنى وضوحاً، ويكسبه تأكيداً.

٢ - التأثير في النفس:

- «فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس، وأعظم وأهزّ للعطف^(١)، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر.

- وإن كان ذمّاً كان مشه أوجع، وميسمه الذع^(٢) ووقعه أشدّ، وحده أحد.

(١) العطف: الجانب. هزّ جانبيه زهواً.

(٢) الميسم: الآلة التي يكوى بها. ولذع: نفخ وأخرق.

- وإن كان حجاجاً كان برهانه أثور، وسلطانه أقهر، وبيانه أنهر.
- وإن كان افتخاراً كان شأوه^(١) أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألد^(٢).
- وإن كان اعتذاراً كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب^(٣)، وللسخائم أسل^(٤)، ولغزب الغضب أفل^(٥).
- وإن كان وعظاً كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر^(٦).

وإني لأعجب ممن ادعى أن التصوير عند العرب لا يتجاوز أن يكون تصويراً جزئياً، وحسبه أنه تشبيه شيء بشيء، ليس في ذلك روح بل ترى فيه السطحية والصورة الجامدة. . ويدعي أن الحياة في الصورة لم تظهر في الأدب العربي إلا في العصور الأدبية الحديثة، التي اعتمدت على الألفاظ المتناسقة التي تحمل في طياتها الألوان المتعددة والحركة الدائبة، والأصوات المتتابعة.

وشبهوا الصور عند العرب باللقطات الفوتوغرافية الجامدة، والصور الحديثة التي استقاهها الأدباء العرب، من الأدب الغربي في العصر الحديث، بالصورة التلفزيونية الدقيقة المتحركة الحيوية!!.

ولا أدري كيف يستسيغ من يسمي نفسه أديباً، أن يردد كالبغاوات دون تفكير، ولا فهم مقولات لا تمت إلى الحقيقة بصلة. . فما هو القرآن الكريم حافل - بشكل كثيف ملفت للنظر - بالصور الممتدة ذات الظلال والإيحاءات، وقل أن تمر سورة دون أن ترى فيها الكثير منها.

(١) شأوه: أمده وعائبه.

(٢) ألد: أشد.

(٣) خلبه: فتنه.

(٤) أسل: أكثر نزعاً واستحراجاً. والسخيمة: الضغينة.

(٥) غرب السيف: حده. فل حده السيف: ثلمه، فالاعتذار يضعف من حدة الغضب.

(٦) أسرار البلاغة للرجزاني ص ٩٢ - ٩٦ عن كتاب البلاغة العربية - علم البيان - للدكتور بكري شيخ أمين.

ولن نستعرض هذه الصور كلها، فهي تقتضي الشهور والأيام الطوال..

وحسبنا أن نلّم بها لنوضح أثرها في المتلقي، سواء كان قارئاً أو مستمعاً.

- فهؤلاء المنافقون دخل الإيمان إلى قلوبهم، لكنهم استحبوا الكفر على الإيمان واشتروا الضلالة بالهدى، فذهب الله بنور الإيمان الذي تركوه هم ورغبوا عنه، فعاشوا في ظلام دامس وحيرة الشك، والكفر والنفاق لا يهتدون إلى سبيل خير، ولا يعرفون طريق النجاة. قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) (١).

صورة رائعة معبرة عن حياة المنافقين، فهم: يزداد الظلام في قلوبهم وعقولهم أكثر من الكافرين أنفسهم، وتصوّر معي رجلاً يمشي في ظلام اعتاد عليه، ورجلاً كان يمشي في نور، فانطفأ هذا النور، وحلّ محله الظلام الدامس.. أيهما يكون الظلام أشدّ على نفسه؟.. نسأل الله الثبات على الإيمان.

- وهاك مثالاً آخر يصف تردد المنافقين وشكهم وحيرتهم، قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) يَكَاذِبُونَ يَخْتَفُونَ أَيُّهَا الْمَثَلُونَ كُلًّا قَدْ جَاءَ لَكُمْ هَذِهِ الْحَقُّ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَالْكِتَابِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٢٠) (٢).

فالمنافقون في حيرتهم وترددهم كمثل قوم أصابهم مطر شديد، أظلمت له الأرض، وأرعدت له السماء، مصحوب بالبرق والرعد والصواعق، والظلمة الداجية، فأصابتهم الدهشة والفرع، فوضعوا أصابعهم

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١٩، ٢٠.

في آذانهم كي لا يسمعوا الرعد ولا صوت الصواعق، يحسبون أنهم في فعلهم هذا ينجون من الموت والهلاك، يلمع البرق حيناً لمعاناً شديداً يكاد يذهب بأبصارهم، فهم يغتيمون هذا الضوء فيسيرون خطوات على هديه، وإذا اختفى البرق وعادت الظلمة أشدّ وقفوا عن مسيرهم، وثبتوا في أماكنهم خشية التردّي في الحفر العميقة.

إنها صورة توضح الحالة المتردية للمنافقين المتخبطين في حياتهم لا يدرون ما يفعلون...

أما الذين يتصدّقون ويزكون ابتغاء رضوان الله تعالى، فلهم ثواب من الله كبير، وحسبهم أن الله تعالى يقبل منهم صدقاتهم، وينميها لهم نماءً عجيباً تنم عنه هذه الصورة الرائعة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَبْعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبٍّ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) (١).

- ١ - حبة قمح استقرت في أرض النماء فتفتقت منها سنابل سبع.
- ٢ - حملت هذه السنابل السبع، كل واحدة منها مئة حبة.
- ٣ - الحبة الوحيدة بعتها الله سبحانه وتعالى، فردّها إليك سبع مئة ضعف.
- ٤ -كرم الله الواسع قد يجعلها أضعافاً مضاعفة، وجود الله لا يحده حدّ.
- ٥ - لا تبخل أيها المسلم بالشيء القليل لأنّه يكون بإذن الله كثيراً...

- قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْزَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْدَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ﴾ (٢٦١) (٢).

وتعال معي نستوضح هذه الصورة، علّها تكون دافعاً إلى الإيمان بالله، والإيمان بيوم القيامة:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣١.

- ١ - الكفار يسخرون من الرسل إذ أنذروهم يوم القيامة، وحسابهم فيه.
 - ٢ - وإذا هم في هذا اليوم الذي يكذبونه جاءهم فجأة فعلموا أنهم خاسرون.
 - ٣ - الحسرة والندامة والخوف تسيطر عليهم فقد أذنوا بالويل والثبور، جزاءً وفاقاً فقد ضيعوا أعمالهم في الدنيا فخابوا وخسروا.
 - ٤ - يحملون آثامهم على ظهورهم على أقبح صورة.
 - ٥ - ما أسوأ أن تكون النهاية حمل الذنوب، ثم الوقوع في نار جهنم.
- إنها صورة واضحة جلية ترتعد لها أفئدة ذوي الألباب أصحاب الفهم.
- وهذه صورة أخرى توضح استحالة العفو عنهم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ لَمْ يَنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْفِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾^(١).
- ١ - الكفار كذبوا بآيات الله تعالى على الرغم من وضوحها، واستكبروا عن الإيمان بها والعمل بمقتضاها، وهذا في الدنيا.
 - ٢ - فإذا كان هذا عملهم فلا عمل صالحاً لهم يرتفع إلى السماء، إنما يصعد إليه سبحانه الكلم الطيب، وإذا قبضت أرواحهم لا تفتح لهم أبواب السماء.
 - ٣ - هل يدخل الجمل الضخم في ثقب الإبرة.. كلا وحاشا.. فهم كذلك في جهنم، هي مأواهم.
 - ٤ - وتصوّر أيها الأخ الأريب اللبيب أن الضيف يكرمه صاحب البيت، إذ يقدم له فراشاً وثيراً وغطاءً دافئاً، لكن هؤلاء المجرمين الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم واستكبارهم، جعلت النار فرشهم وأعطيتهم، فأى هوان بعد هذا؟!.. نسأل المولى حسن الختام.

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٤٠، ٤١.

- وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ (١).

صورة فيها حركة جيش قريش الذي خرج إلى بدر عاتياً متكبراً، طالباً للفخر والثناء، حيث قال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، فنقيم فيها ثلاثاً.. نشرب فيها الخمر، وننحر الجزور «الإبل» وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب، فلا تزال تهابنا أبداً.. ونقتل المسلمين فنستأصل شأفتهم، وندفن هذا الدين في صحراء الموت والفناء...

وهذا إبليس اللعين يحسن لهم الشرك، والأعمال القبيحة، ويحضهم على حرب الرسول الكريم ﷺ، وأصحابه الكرام البررة، ويعلن أنه سيساعدهم في قتالهم المسلمين ونبئهم..

واحتدم القتال ونزلت الملائكة لنصرة المسلمين، فولى الشيطان هارباً، فلما سأله المشركون إنفاذ عهده، وتمسكوا به، تفلت منهم صغيراً مدحوراً مغتاضاً حقيراً، وهرب وهو يقول: إني أرى ما لا ترون.. إني أخاف الله.. ولو كان يخافه ما عصاه، ولكنه رأى الملائكة فخاف منهم ولاذ بالفرار..

فهذه الصورة وضحت أن النصر للحق وجنده، وأن وسائل التشويش والإرجاف لا تثبت أمامه، وأن العاقبة للمتقين.

- إذا عاش الإنسان في وهم وسراب ثم عرف أنه كان مخطئاً، حاول تصحيح مساره، فماذا يفعل إذا لم يحس بخطئه إلا يوم الحساب، حين تصفحه الحقيقة، ولا يرى مناصاً من العقاب.. العقاب الأليم...

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزَلَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَارًا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٤٧، ٤٨.

يَنبَأُ وَيُنَبِّئُكُمْ إِن كُنتُمْ عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغُلَامِكُمْ ﴿٢٩﴾ (١).

الصورة واضحة أمامنا، ترىنا:

- ١ - الناس بادىء الأمر محشورين مؤمنهم وكافرهم.
 - ٢ - يفرق بين المؤمنين والكافرين.
 - ٣ - يحشر الكافرون مع آلهتهم المزعومة، لتصفعهم الحقيقة المرة.
 - ٤ - ينطق الله الأوثان فتقول للمشركين: ما شعرنا أنكم كنتم تعبدوننا وما أمرناكم بعبادتنا، فنحن لا نسمع ولا نعقل ولا نبصر، والله شهيد على ما نقول.
- ما أضلَّ من اتبع هواه، وأغلق عقله، وغاص في وحل الشرك والكفر...!

- وتصور الرعد بصوته الذي يملأ الدنيا، ويجلجل في الآفاق، ويلقي الخوف في نفوس الناس، ما هو إلا تسبيح لله ذي الجلال، وحمد له سبحانه، وثناء عليه جلَّ جلاله، هذه الأصوات التي لا نفهم حقيقتها دلَّ عليها القرآن، ونبَّهنا إلى أن التسبيح صادر مما لا يعقل، أفليس الأحرى بمن يعقل أن يسبح بحمد الله ويثني عليه، قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ (٢) ...

- ثم التفت إلى أبواب الجنة.. إنها مشرعة يدخل منها المؤمنون إلى مأواهم، الدائم نعيمه المتنامي خيرُه، معهم آباؤهم وزوجاتهم، وأبنائهم الذين اتبعوهم بإيمان. وها هم الملائكة يسلمون عليهم مهنيين بسلامة الوصول إليها، وما أعظمها من فرحة بالوصول إلى دار الأمان والسعادة، فالصبر على المكاره وعلى أداء الحقوق والعمل بما يرضي الله تعالى جعلهم أهلاً لجنات الله والخلود فيها ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

(١) سورة يونس، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٣.

وَأَنزَلْنَاهُمْ وِزْرَتَهُمْ وَالْمَلَكُ يُدْخِلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَدَقْتُمْ
فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ (١)

- الجبابرة المتعطرسون لهم الدنيا يتفرعون فيها، بين أيديهم ما يريدون، ولهم ما لذ وطاب من شراب وطعام ولذة حرام.. فماذا لهم في الآخرة؟ يقول الله تعالى: ﴿وَأَسْقَتْحُوا وَحَابَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَأْيِهِ جَهَنَّمَ وُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَنْجَرَعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِحَيِّتٍ وَمِنْ وَرَأْيِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ (٢)

إنهم خاسرون وهل ترى أشدَّ خسارة ممن خسر نفسه في جهنم المحرقة؟ شرابه قيح ودم، يبتلعه مرة إثر مرة، كارهاً إياه لمرارته، لا يكاد يستسيغه لقبحه، ولكن لا مفر، فليس في جهنم غيره، تأتية كل أسباب الموت وتحيط به كل الجهات، ولكنه لا يموت فليس هناك سوى العذاب الشديد. فهل يشتري الإنسان لذة عابرة في دنياه الفانية، ويبيع سعادة غامرة في حياة دائمة في جنات الله ورضوانه؟!.

- هؤلاء الكفار فيهم صفات إنسانية تدعوهم إلى أعمال فيها خير، يتمثل بالصدقة، وصلة الرحم، وغير ذلك.. يأخذون أجرها في الدنيا فقط أما في الآخرة فليس لهم إلا النار، فلا ينال المحسن أجره في الآخرة إلا إذا كان مؤمناً بالله، موحداً.. فإذا وقف الكافر أمام ربه فقدم أعماله تلك لم يجدها شيئاً.. قال الله تعالى يصور الخيبة في نفوس هؤلاء: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

أ - أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ

ب - أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ

ج - لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ

(١) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ١٥ - ١٧.

د - ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ... ﴿١﴾.

ضاع كل شيء، لأن هذه الأعمال لم تكن قائمة على أساس متين من التقوى، والإيمان بالله سبحانه.

- وتابع معي هذه الصورة المخيفة الرهيبة، قال تعالى:

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٤٩)

سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ

وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٥٠﴾ (٢).

١ - فالكفار مجرمون أجرموا بحق أنفسهم، وأجرموا بحق الله تعالى، فهم والشياطين سواء، يقترون بعضهم إلى بعض بالقيود والأغلال، أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم... منظر لا أذل منه.

٢ - ثيابهم التي يلبسونها من قِطْرَانٍ، وهي مادة يسرع فيها اشتعال النار، تُطلى به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحرّه وحدته، وهو أسود اللون متين الرائحة.

٣ - وهذه النار تندفع إليهم، فتعلو وجوههم، وتحيط بهم، وتحرقهم ثم تحرقهم، ثم تحرقهم.. اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

- أما يوم القيامة، وشدته، وهوله، فحدث عنه ولا حرج، إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نتقيّه حتى يرحمنا إذا جاء هذا اليوم المخيف، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنها

أ - تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ

ب - وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ،

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

ج - وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ

د - وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ^(١)

ما الذي جعل الأم تنسى وليدها على غير عاداتها، على الرغم من حبها الشديد إياه وتفضيله على نفسها؟

ما الذي يَشْدَهُ المرأةُ فيزلق الجنين من أحشائها إلى الأرض، لا تشعر به؟

لماذا يترنح الناسُ غير قادرين على الوقوف والثبات؟ أهم سكارى؟ والجواب: لا ليس هذا وذاك، إنما أهوال الساعة وشدائدها أطارت عقولهم، فذهلت المرأة عن رضيعها، وأسقطت المرأة حملها، وتمايل الناس مشدوهين.. لمثل هذا فليحذر الحاذرون.

- هل رأيت أعضاء الإنسان تتكلم وتنبئ عما فعل صاحبها من المناكير التي يندى لها الجبين؟.. طبعاً إنك ستقول لا. أما يوم القيامة، يوم الحساب فسيكرر هذا كثيراً حين يقف الفسقة الكفرة أمام الله سبحانه، فيقررهم بذنوبهم فينكرون، ولا يعترفون بشهادة الملكين، ولا بما كتبه ولا بأقوال الآخرين، فيقول الله تعالى لهم: ألا ترضون أن تشهد عليكم أعضاءكم؟ فيقولون - طائنين النجاة - بلى يا رب.

فيأمر الله تعالى الفم بالسكوت فيسكت، والأعضاء بالكلام فتتكلم، وتقول العينان: بنا يا رب كان ينظر إلى المحرمات.

وتقول اليدان: بنا يا رب كان يبطش بالضعفاء، ويتناول ما حرَّمته.

وتقول القدمان: بنا يا رب كان يسير إلى أماكن الفحشاء والفساد.

وتقول الأذنان: بنا يا رب كان يسمع كلمات الفجور و....

وتشهد عليه أعضاءه فيقول لها الرب سبحانه أصمتن فيصمتن.. ويقول الله تعالى له: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.

(١) سورة الحج، الآية: ٢.

وَيُلْقَى هَذَا الْمَجْرَمُ فِي النَّارِ، وَهُوَ يُوْبَخُ أَعْضَاءُهُ: [مِنْ أَجْلِ كُنْتَ أَنَاضِل..] قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٢٥) ﴿١﴾.

إنها لوحة تصويرية واضحة المعالم فيها موقف تأباه النفس الكريمة، ويعافه المسلم لأن الصدق مع الله والعمل بما يرضيه، غاية ما يسعى إليه الذكي الألمي.

- أما هذه الصورة فإنها تشع بالضياء والنور، فقد سمي الله نفسه نوراً وجعل كتابه نوراً، ورسوله نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، ومنه نور السموات والأرض ونور كل شيء.. ولكن كيف نقرب إلى الأفهام حقيقة هذا النور؟ إن المشبه به أقوى من المشبه، يوضحه ويجلوه للأفهام، ويقربه للعقول، والمشبه هنا أقوى من المشبه به..!!.

ولكن لا بأس، فالنور المبهر لا يراه الأعشى، فلنصفه له بما هو دونه كي يعرفه.. وهذا هو الإنسان ضعيف، قاصر، فليدُنْ منه نورُ ربه ذي الجلال بما يوافقه ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾

أ - كَشَكَوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

ب - الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ

ج - الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ

د - يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ

هـ - نُورٌ عَلَى نُورٍ

و - يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ

ز - وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴿٢﴾.

(١) سورة النور، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

فإذا كان هذا مثال نوره فكيف يكون نوره سبحانه؟

وإذا كان الله نور السموات والأرض أفلا نستنير بنوره؟!

وإذا كنا نعيش في هذه الدنيا بنور من نوره أفلا نسعى إلى رضاه والجنة لنرى نوره هناك بلا حجاب؟! .

اللهم أنت النور فهب لنا من لدنك النور... آمين...

- وتعال نستعرض مراحل الخلق خطوة خطوة في هذه الآية المعجزة،

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنٰكُمْ

أ - مِّن قُرَابٍ [خلق آدم أبينا]

ب - ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ [الماء القليل الذي ينطف من صلب الرجل]

ج - ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ [الدم الجامد الذي يشبه العلقة التي تظهر حول الأحواض]

د - ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ [قطعة من اللحم بمقدار ما يمضغ] مُخَلَّقَةٍ [واضحة الخلقة فيها الرأس واليدان والرجلان...] وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ [ما تزال قطعة من اللحم لم يظهر منها شيء]

هـ - لِنُسَبِّحَ لَكُمْ [خلقناكم على هذا النموذج البديع لتظهر أسرار قدرتنا]

و - وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِنَّكَ أَجَلٌ مُّسَمًّى [الجنين الذي يبدأ بالتكامل]

ز - ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً [ضعيفاً في بدنه وسمعه وبصره وحواسه]

ح - ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ [فتصبحون رجالاً أشداء في قواكم وعقولكم]

ط - وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى [في ريعان شبابه وعنفوان قوته]

ي - وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرْدُ إِلَى أَزْوَاجٍ مُّكْتَرٍ [فيصل إلى الشيخوخة والضعف]

ك - لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً ﴿١﴾ [فيعود إلى ما كان عليه من

(١) سورة الحج، الآية: ٥.

ضعف، وقلة فهم، وسخافة عقل، فينسى ما علمه، وينكر ما عرفه].

إنها تدرج في الخلق من التراب إلى النطفة.. فيعلو حتى يصير رجلاً مكتملاً ثم يبدأ الانحدار.. إلى النهاية.. إنها صورة متحركة مرتبة المراحل تترك أثراً في نفس المشاهد.. بل توضح له أن الحياة يحكمها منظم قدير.. لا تخفى عليه خافية.. سبحانه.

- وإليك صورة الندم والحسرة لرجل كان يعيش جاراً لرسول الله ﷺ فلم يؤمن به، وناصبه العدا، وتبع كافراً فضله في الصحبة على الصادق الأمين محمد ﷺ، لقد فارقه في الدنيا، فلما جاء يوم القيامة علم أنه أخطأ، ورأى إكرام الله تعالى لرسوله ﷺ وللمؤمنين. أما الكفرة الفاسقون وهو وصديقه الذي اختاره فهم في نار جهنم يصلونها وهنا يشعر الكافر بالإحباط الشديد والخسارة اليقينية، فهو يعرض أصابعه نداماً حيث لا ينفع الندم وينادي متألماً: ﴿يَلَيْتَنِیْ اُتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً یَتَوَلَّی لَیْتَنِیْ لَوْ اُتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِیلاً﴾ (١)، لماذا أبها الرجل؟ قال والحسرة تأكل قلبه: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِیْ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ اِذْ جَاءَنِیْ وَكَانَ الشَّیْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢).

صورة اعتمدت على تعابير الوجه البائس، والكلمة الحزينة، وعض الأصابع.

- وصورة أخرى مثلها واضحة مكانها: أ - خارج النار، ب - داخل النار.

حديثها: الملائكة تلوم المجرمين، والمجرمون يلومون أنفسهم، ويلومون آلهتهم المزعومة، ويتمنون العودة إلى الدنيا ليصلحوا ما أفسدوا، ولكن هيهات.

﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ (٩١)

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢٩.

وَقِيلَ لَهُمْ أَنِ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟

هَلْ يَبْصُرُكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾؟

فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْقَارُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾

إِذْ تُسَوِّىكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾

وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾

قُلُوْا أَنْ لَنَا كُرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ (١)

حركتها: طرحهم في النار منكبين على وجوههم، لا ناصر لهم ولا معين.

خاتمها: اتخاذ العبرة والعظة، وطاعة الله تعالى للنجاة من النار وعذابها.

- أما قارون فقد آتاه الله المال الكثير فلم يعمل به في مرضاة الله إنما أنكر أن هذا الرزق من عند الله، ونسب إلى نفسه الرزق وكفر بأنعم الله... ثم خرج في موكب استعراضه يمشي بأنفه متكبراً متغترساً، وحوله أتباعه، والناس قسمان:

الأول: يتمنى أن يكون له مثل ما لقارون - يا لهول ما عنده... - كان هؤلاء ضعاف الإيمان، خدعتهم الدنيا ببريقها.

الثاني: العقلاء من أهل العلم والفهم والاستقامة لم يأبهوا لمتاع الدنيا الزائف، وقاموا ينهون القسم الأول إلى حقارة الدنيا وتفاهتها..

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٩١ - ١٠٣.

وفجأة غارت الأرض بقارون ومن معه في داره الواسعة الفخمة، كأنهم لم يكونوا.. وانتبه القسم الأول إلى هذه النهاية المفجعة، فتأبوا إلى الله وأتابوا، وعلموا أن الدنيا زائلة، وأن الكافرين لا ينجحون في الدنيا ولا في الآخرة.. قال تعالى:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ

قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِّغْنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ

إِنَّكُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ

تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَلَا يُقْلِلْهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾

لَنُخَسِّفَنَ بِهِ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ

فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ

وَسَكَاتَ اللَّهُ يَشْطُرُ الرَّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ

لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا

وَبِكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾... ﴿٨١﴾ (١).

فهل يرعوي المتجبرون، ويعرفون مقدارهم، ويشكرون الله على نعمائه؟ وهل يعلم ضعفاء الإيمان أن العيش عيش الآخرة، وأن الدنيا متاع؟.

- ويصور الله تعالى غزوة الخندق تصويراً دقيقاً يجعلنا نعيش مع رسول الله ﷺ وأصحابه الشدة التي عاينوها والابتلاء الذي وقعوا فيه،

(١) انظر: سورة القصص، الآيات: ٧٩ - ٨٢.

والحالة النفسية للمنافقين الذين بدأوا يهربون إلى بيوتهم، ويتمنون لو كانوا بعيدين عن المدينة، يسمعون من المسافرين أخبارها، ولو طلب إليهم أن ينضموا إلى الكفار ويقاتلوا المسلمين لفعلوا ذلك، مسرعين ناسين أن الموت لا يوفر أحداً، سواء كان في القتال، أم كان في بيته مع أهله وخاصته.. وتبدأ الصورة من نهايتها.. قال تعالى:

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ (كفار قريش)

فَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا (الملائكة) لَمْ يَرَوْهَا

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ (أحاطوا بكم من كل الجهات)

وإِذْ رَاغِبِ الْأَبْصَرُ (هولاً ورعباً) وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ

وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾

هَٰلِكَ أَتَى الْمُؤْمِنُونَ زُلْزَلًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

وإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

وإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَتَّأْهِلِ يَتْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا (إلى منازلكم واتركوا محمداً وأصحابه)

وَيَسْتَفْزِذُ فَزِيقٌ مِّنْهُمْ (المنافقون) أَلَتِي يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ

وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

وَلَوْ دُخِلَتْ (المدينة المنورة) عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سِيلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنَوَّهَا وَمَا نَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبِرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

قُلْ لَّن يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ

وَلَا تَسْمَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ (١).

- خلق الله النجوم لثلاث: رجوماً للشياطين، ونوراً يُهتدى بها، وزينةً للسماء الدنيا، فإذا دنا شيطان مارد يتسقط الأخبار من السماء ليفتن بها أهل الأرض، رُجم بالشهب تقصده من كل مكان لتبعده فلا ينال بغيته، فإذا ما اختلس شيئاً واسترق السمع لحقه شهاب مضيء، يلاحقه فيصبيه ويحرقه..
إنها صورة، كثيراً ما نرى الشهب في أمثالها تنطلق في السماء.. قال تعالى:
﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوْكَبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمِلَا الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ نُّحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَن حِطَّفَ النُّظْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ (٢).

إنها صورة يختلط فيها الضياء البعيد - من النجوم - بالشهب التي تقترب من الأرض، تلك الشهب الموجهة توجيهاً دقيقاً نحو هدف مرسوم يدنو من أسوار السماء، فلا تمهله، بل تتبعه، وتقضي عليه.. دون أن تخطئه.

- ولكن ما شجرة الزقوم أين مكانها؟ ما صفتها؟ لِمَ تهَدّد الله تعالى المجرمين بها؟، قال تعالى في وصفها:

﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿١٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿١٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿١٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا مِّنْ حَبِيرٍ ﴿١٧﴾﴾ (٣).
﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْإِثْمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِّنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ (٤).

تصور النار التي تحرق كل شيء، تنبت فيها شجرة ملعونة اسمها

(١) انظر: سورة الأحزاب، الآيات: ٩ - ١٦.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٦ - ١٠.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ٦٢ - ٦٧.

(٤) سورة الدخان، الآيات: ٤٣ - ٤٨.

الزقوم، أصلها في قعر جهنم ثم تفرغ فيها لتكون طعاماً لكل فاجر كافر.
أما ثمارها وحملها فهي لبشاعتها تشبه رؤوس الشياطين... ولكن هل
يعرف الناس الشياطين أو رأوهم؟! لا ولكن رؤوس الشياطين - في أذهان
الناس قبيحة جداً، ولشدة جوع أهل النار لا يجدون طعاماً سواها، فإذا ملأوا
بطونهم منها - وفي الحديث الشريف: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار
الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟!» -
شبعوا، فإذا بها حارة شدة الغليان كالنحاس المذاب يقطع أمعاءهم - ولا حول
ولا قوة إلا بالله - فيلجأون إلى الماء يسكن ألمهم، ويفتأ حُمَيًّا ما أكلوه، فإذا
بشرابهم ماء صديد، اشتدَّ غليانه كذلك، يذيب أمعاءهم...

اللهم يا رب باعد بيننا وبين النار، واجعلنا من أهل الجنة، إنك على
كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

إنه لتصوير يأخذ بالألباب ويحرك النفوس، فإن كنا من أهل الله تعالى
رَزَقْنَا حُسْنَ التدبر والتفكير، وأخذ بأيدينا إلى طريق الإيمان والاستقامة، فكنا
من أهل السعادة في الدارين...



ضرب المثل

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) (١).

ويقول سبحانه: ﴿وَكَأَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ (٢)، ويقول سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (٣).

فلماذا هذه الأمثال المضروبة في القرآن وما فائدتها؟
إنها تُضْرَبُ:

١ - لتقريب الفكرة إلى الأفهام.

٢ - وتوضيح مقاصدها.

٣ - ولاتخاذ العظة والعبرة.

- ومن هذه الأمثلة التي ضربها الله عز وجل قوله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤)

تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥)

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٧.

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾
يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ (١)

فكيف قرب الله الفكرة إلى الأفهام؟

الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله»، والشجرة الطيبة «المؤمن»، وكلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه في كل وقت.

والكلمة الخبيثة «الكفر»، كشجرة «الحنظل» الخبيثة استؤصلت من جذورها، واقتلعت من الأرض لعدم ثبات أصلها، وكذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة، والكافر لا يصعد عمله إلى السماء ولا يقبل.

فالله تعالى يثبت المؤمن في الدنيا وفي حساب القبر عند سؤال الملكين، ويضل الكافر في الحياة الدنيا وعند سؤال الملكين في القبر.

- ومن هذه الأمثلة التي ضربها الله عز وجل قوله جل شأنه: ﴿وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ (٢)

فكيف نتخذ العظة والعبرة؟

هناك قرية كان أهلها في أمن واستقرار وسعادة ونعيم، تأتيها الخيرات من كل جهة، فلم يشكر أهلها ربهم على ما آتاهم من خير ورزق، فسلبهم الله نعمة الأمان والاطمئنان وأذاقهم آلام الخوف والجوع والحرمان، بسبب كفرهم ومعاصيهم.

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ - ٢٧.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ١١٢، ١١٣.

وهذا مثل أهل مكة الذين آمنهم الله بالبيت العتيق، يقصده الناس جميعاً، ولهم تجارتان في الصيف للشام والشتاء لليمن، فلما جاءهم رسول الله ﷺ يدعوهم إلى الإيمان بالله كفروا به وعصوا.. فإن لم يتوبوا إلى الله، فجزاؤهم سيكون كجزاء أهل القرية المضروب بها المثل.

- ومن هذه الأمثلة التي ضربها الله عز وجل قوله سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (١).

فكيف وضح الله الصورة وبيّن مقاصدها؟.

فالذين اتخذوا آلهة من دون الله يعتمدون عليها ويرجون نفعها كمثل العنكبوت، بيتها لا يغني عنها في حرٍّ ولا بردٍ ولا مطرٍ ولا أذى. ولو علم هؤلاء الكافرون تفاهة ما يعبدونه ما اتخذوها آلهة، وسيجازيهم الله تعالى على كفرهم.

وهذه الأمثال يضربها الله تعالى ليقربها إلى أفهام الناس، ولا يعقلها إلا أصحاب العقول والأفئدة السليمة.

- ومن هذه الأمثال قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (٢) فكيف نتخذ العبرة والعظة؟.

استبعد الكافر عودته بعد الموت إلى الحياة والبعث، حين أمسك بالعظم الرميم وفتته، ونسي أننا أنشأناه من نطفة ميتة وركبنا فيه الحياة، ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب، وقاس قدرة الله تعالى على قدرتنا الضعيفة.

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٤١ - ٤٣.

(٢) سورة يس، الآيات: ٧٨ - ٨٠.

فقل يا رسول الله إن الذي أنشأها أول مرة، لا يصعب عليه إعادة خلقها ثانية، فالذي يقدر على البداء قادر على الإعادة، يعلم كيف يخلق ويبدع، فلا يصعب عليه بعث الأجساد بعد الفناء.

ألا ترى أن بعض الأشجار الخضراء كالمرخ والعفار، تقدح الشر الذي يحرقها. وصدق الشاعر حين قال:

جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به نار به ماء
- ومن الأمثلة التي ضربها القرآن قوله عز وجل:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ (١)

فكيف نتخذ العبرة والعظة؟

إذا فرّق الدين بين اثنين، فدخل المسلم الجنة، لم يدخلها الثاني، ولو كان قريبه وصاحبه وزوجته، بل دخل النار. فلا يغني في الآخرة أحد عن قريب ولا نسيب، فزوجتا النبيين الكريمين نوح ولوط لما عصتا كان نصيبهما النار يوم القيامة، ولا ينفعهما زواجهما من عذاب الله شيئاً.

وهذه «آسية بنت مزاحم» زوجة فرعون كفرت به، وهي أقرب الناس إليه، وآمنت بموسى فلما علم فرعون أمر بقتلها، فنجّاها الله منه فهي في الجنة تنعم. فهل ضرّها أنها زوجة أكفر الكفار، من ادّعى الألوهية، وعصى الله؟ لا لكل عمله. وهذه «مريم» الطاهرة البتول أم عيسى عليه السلام شريفة عفيفة، لا كما زعم اليهود زناها، فقد نفخ جبريل بفتحة ثوبها، فوصلت النفخة إلى مكان عفافها، فحملت بعيسى عليه السلام، وكانت

(١) سورة التحريم، الآيتان: ١٠، ١١.

مؤمنة بكتب ربها ورسله، وكانت من القانتين، فما ضرَّها أقاويل اليهود
وادعاءاتهم...

- ومن الأمثلة القرآنية كذلك قول الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ (٢٩) (١) فكيف نقرب الفكرة إلى الأفهام؟

هذا عبدٌ مملوك لرجال سيئي الأخلاق بينهم اختلاف وتنازع، وكل
واحد منهم يأمره بأمر يخالف أمر الآخر، كيف تكون حاله معهم؟!.

وهذا عبد مملوك لرجل واحد حسن الأخلاق، يخدمه بإخلاص وتفانٍ
ولا يلقى من سيده إلا الإحسان.

هل يستوي هذان المملوكان في حسن الحال؟ بكل تأكيد لا..
فكذلك الذي يعبد الله الواحد الأحد ولا يشرك معه أحداً في أحسن حال،
أما الذي يعبد آلهة شتى، فهو موزع بين الأهواء والمفاسد والمفاتن.

- ومن الأمثلة القرآنية التي ضربها الله عز وجل قوله سبحانه: ﴿أَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي
النَّارِ آتِبَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثْلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ
جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١٧) (٢).

فكيف وضح لنا سبحانه أن النافع يبقى، وما لا ينتفع به يزول؟.

هنا مثالان للحق والباطل، للدعوة الباقية، والدعوة الذاهبة مع الريح:

أ - إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غشاء يطفو
على وجهه في صورة الزبد، وهو نافش منتفخ، ولكنه بعدُ غشاء، والماء
من تحته سارب ساكن هادىء، ولكنه الماء الذي يحمل الخير والحياة.

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

ب - كذلك يقع في المعادن التي تُذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة، أو آنية كالحديد والرصاص، فإنَّ الخبث يطفو، ولكَّته بعدُ خبثٌ يذهب، ويبقى المعدن في نقاء.

ذلك مثل الحق والباطل، فالباطل يطفو، ويعلو، ويبدو رايياً متنفخاً، ولا يلبث أن يذهب جُفاءً مطروحاً، لا حقيقة له ولا تماسك، والحق يظل هادئاً ساكناً، ولكنه الباقي في الأرض كالماء المحيي، والمعدن الصريح^(١).
.. فُضرب المثل، وضح فكرة، وأزال إبهاماً، وقرب بعيداً، وجلّى غموضاً، فله الحمد هو العليم العلام.



(١) من الظلال للشهيد سيد قطب رحمه الله.

استعمال المثل والحكمة

يمتاز المثل بالإيجاز وسرعة دورانه على الألسنة، فهو يلخص موقفاً أو قصة، فإذا مرَّ الإنسان بموقف مشابه أو قصة أو حادثة متشابهتين، ضرب المثل نفسه للعظة والعبرة.

أما الحكمة فهي عصارة الذهن في حكم صائب، أو نصيحة صادقة، دون أن تكون تلخيصاً لموقف أو حادثة..

وبهذا يختلط مفهوما المثل والحكمة عند العرب، في استثمارهما واستعمالهما ليؤدِّيا هدفاً واحداً، يتجلى في الحكم والنصيحة والعبرة.

والقرآن الكريم حفل بهما جميعاً، فكانا أسلوباً راقياً من الأساليب التربوية، التي استعملها القرآن في الدعوة إلى التقليد وتهذيب النفس، والاتعاظ وتوضيح المقصد، وأنواع شتى من الأغراض الإنسانية.

فمن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى:

١ - ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا﴾^(١) يُضْرَبُ لِمَنْ عَرَفَ مَا يَرِيدُ فحُطِّطَ لَهُ، واتَّجِهَ لِتَحْقِيقِهِ لَا يَحِيدُ عَنْهُ.

٢ - ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُلِي الْأَلْبَنِي﴾^(٢) يُضْرَبُ لِمَنْ كَانَتْ عَقُوبَتُهُ سَبِيلاً فِي تَحْقِيقِ الْمَصْلُحَةِ الْعَامَةِ.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

٣ - ﴿كَمْ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ ^(١) يضرب للدلالة على أن النفع قد يكون من القلة، لا من الكثرة.

٤ - ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبٍّ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٢) يضرب للحض على الخير.

٥ - ﴿مَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ ^(٣) يضرب للخسيس لا فائدة منه.

٦ - ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ^(٤) يضرب للتهوين من مكر الخبثاء، وأن مكرهم مردود عليهم.

٧ - ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ^(٥) يضرب للتسليم بقضاء الله.

٨ - ﴿... إِنَّمَا بِغِيكُم عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ^(٦) يضرب لمن يقع في شر أعماله.

٩ - ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ ^(٧) يضرب للمقر بذنبه المعترف بخطئه.

١٠ - ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ ^(٨) يضرب للدلالة على الوضوح والجلال.

١١ - ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ^(٩) يضرب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٦) سورة يونس، الآية: ٢٣.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٨) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٩) سورة الرعد، الآية: ١١.

لحضّ المتراخين على المبادرة، وعدم الاعتماد على الآخرين في إنجاز أمورهم.

١٢ - ﴿... وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) يضرب لمن أوقع نفسه في شرّ أعماله.

١٣ - ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكْرَةٍ...﴾^(٢) يضرب لمن يشي عمله بحاله.

١٤ - ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) يضرب للدلالة على تفاهة علم الإنسان، وضالته كلما رأى جديداً من العلوم الدالة على علم الله الواسع.

١٥ - ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا...﴾^(٤) يضرب للاعتذار عن خطأ ارتكَب، أو رغبة لم يستطع صاحبها تنفيذها لضعفه.

١٦ - ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٥) يضرب لذي الفهم والإدراك يتفتق ذهنه دائماً عن فوائد فيعزو ذلك إلى الله تعالى.

١٧ - ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾^(٦) يضرب للسيء تحاول تقويمه فلا تفلح.

١٨ - ﴿... وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ...﴾^(٧) يضرب لبيان الضعف الشديد.

١٩ - ﴿... وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ...﴾^(٨) يضرب لمن وصل إلى هدفه دون عناء.

(١) سورة النحل، الآية: ١١٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٨) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

٢٠ - ﴿... وَلَا يَنْتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ ^(١) يضرب للدلالة على صدق الخبر وصحته، ودقته.

٢١ - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ ^(٢) يضرب لحصر المسؤولية بمن فعل.

٢٢ - ﴿... وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ...﴾ ^(٣) يضرب لمن يهتم بصلاح نفسه فينال الخير.

٢٣ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ^(١٩) وَلَا الظُّلُمْتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمُ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَنْجَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ ^(٤) يضرب هذا المثل لانتفاء تساوي المتناقضات.

٢٤ - ﴿... وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ ^(٥) يضرب لليأس ممن لا يعي ولا يعقل.

٢٥ - ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ^(٦) يضرب للحث على الوصول إلى المرتبة العالية، والسعي لها بهمة وجلد.

٢٦ - ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾ ^(٧) يضرب للتهديد والوعيد.

٢٧ - ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٨) يضرب لبيان الفرق بين الشئيين المتناقضين.

٢٨ - ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ ^(٩) يضرب لمن يفقد، فلا يتأثر لفقده أحد.

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٣) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٤) سورة فاطر، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٦١.

(٧) سورة الصافات، الآية: ١٧٧.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٩) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

٢٩ - ﴿...وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ^(١) يضرب للتثبيس، والاستحالة.

وهكذا فالمثل والحكمة يؤديان دوراً مهماً في التعليق على الحدث وإصدار الحكم، وإلقاء الضوء عليه، مما يوضح الفكرة، ولا يترك مجالاً للإبهام أو الوهم، ويتركان القارئ على المحجة البيضاء فيرى ما يناسبه للوصول به إلى جنة المأوى ورضوان الله تعالى، والسعيد من كتب الله تعالى له السعادة فبصره وهده إلى سبيله.. اللهم اجعلنا من هؤلاء.



(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

التعليل

أن تأمر أحدهم بفعل شيء ما سهل وبسيط، والمأمور ينفذ الأمر دون أن يسألك السبب.

أ - لأنه يثق بك وبحكمتك.

ب - أو لأن الأمر نفسه لا يحتاج إلى إبداء الأسباب.

ج - أو لأنه يهاب أن يسألك، خوفاً أو احتراماً..

د - أو أنه لا يعنيه معرفة السبب من قريب ولا بعيد.

وقد تُصدر حكماً، فإما أن يكون الحكم عن هوى أو عن معرفة، وأحكام الهوى غالباً ما تكون خاطئة إن لم نقل دائماً.. أما الأحكام القائمة على الدليل والبرهان، فالصواب فيها كبير والخطأ فيها قليل.

والذي نريده هنا، أن القرآن الكريم حين يأمر، أو يحض، أو ينهى، أو يعظ، أو يخبر، فإنه يعلل ويسط السبب، فلماذا؟ هناك دواعٍ عديدة منها:

١ - أن يكون المعني على بينة ووضوح.

٢ - البراءة والإعذار.

٣ - أن يتحمل المعني مسؤولية ما يفعل، أو يقول.

٤ - أن يكون صاحب القرار الأخير في ذلك.

والقرآن الكريم حرص على تعليل كل أمر أو نهى، فنتبه إلى النتيجة في كل منهما، ووضح الغاية، وترك بعد ذلك الخيار لهؤلاء وأولئك، فكل يعمل على شاكلته.

فمن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

أ - كُلُوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا

ب - وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ

ج - إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾

د - إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعَدَّى عَلَيْكُمْ فَأَعْدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعَدَّى عَلَيْكُمْ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا

وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا

وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ

أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ

وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ... ﴿٣﴾

وقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴿٤﴾

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ

سَكَتْنَا مَا قَالُوا وَقَتَلَهُمُ الْأَلْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ

وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٨﴾ ذَلِكَ بِمَا فَعَلْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

يُظْلَمُونَ لِلْعَيْدِ ﴿١٨٢﴾ ﴿١﴾

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتُوا مِلَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَا تَبَدَّلُوا الْحَيْثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢﴾

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...﴾ ﴿٣﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿٤﴾

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ...﴾ ﴿٥﴾

وفي حديثه عن اليهود وفسادهم قال الله معللاً غضبه عليهم: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً...﴾ ﴿٦﴾

وقوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ

قَالَ يَكُونَنَّ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٨١، ١٨٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٦) سورة المائدة، الآية: ١٣.

النَّاسَ جَمِيعًا ﴿١﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥٨) ﴿٢﴾.

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ط وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ لِاسْرَءِيلَ أُعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ط إِنَّهُمْ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ (٧٢).

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴿٣﴾.

وقال سبحانه مريباً معلماً: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٦٦) ﴿٥﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٢) ﴿٦﴾.

وقوله سبحانه:

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٧٢ - ٧٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَقَدْ يَنْقُوتُ﴾ (١٦٤) ﴿١﴾.

وانظر إلى رعاية الله سبحانه للمسلمين إذ قال جل شأنه في غزوة بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ الْغَاسُ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً

أ - لِيُطَهِّرَكُم بِهِ

ب - وَيَذْهَبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ

ج - وَلِيُرِيْطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ

د - وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (١٦٥) ﴿٢﴾.

وقوله محذراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ (١٥)

وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ يُفْضِلُ مِنْ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسْكُ الْمَصِيرُ﴾ (١٦) ﴿٣﴾.

وقوله سبحانه: ﴿مَا كَان لِيَنِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَنْفَخَ فِي الْأَرْضِ نَرِيدُوتْ عَرْصَ الْدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٦٧) ﴿٤﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّقَ اللَّهَ مَأْمَرُهُ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦) ﴿٥﴾.

وقوله سبحانه محرضاً على القتال ومبيناً نتائجه: ﴿فَنَلِتُوهُمُ

١ - يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ

٢ - وَيُخْزِيهِمْ

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٦١.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٦.

٣ - وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

٤ - وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾

٥ - وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ... ﴿١٥﴾ (١).

وقوله سبحانه نافيًا العفو عن المنافقين: ﴿أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشَرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ (٣).

وحين نادى نوح ربه أن ابنه كنعان من أهله وسأله أن ينجيه من النار قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَنْتَحِ بِكَ نَحْوُكَ إِنَّهُ لَبِئْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْفَعُكُمْ أَتَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُؤْبَئُونَ إِلَيْهِ

أ - يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا

ب - وَبَرِّدْكُمْ قُوَّةً إِنْ قُوَّتَكُمْ... ﴿٥﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾ (٧).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَئُ لَا قَقْصُصَ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٥) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٦) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٢.

أ - فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا

ب - إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ (١)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤) (٢).

وقال تعالى من الأيمان: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ

أ - فَزَلَّ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا

ب - وَتَذَرُوهَا أَلْسُوهُ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

ج - وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ (٣)

أما الوصايا التي نجدها في سورة الإسراء فتعليل كل آية في خاتمتها تدل على رفق الله سبحانه بعباده ورحمته بهم فهو الذي خلقهم وهو الذي يدفعهم إلى سبيل الحق ودروب الهداية والمغفرة (٤).

وقوله تعالى: ﴿... وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾ (٢٠) (٥).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤)

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

(١) سورة يوسف، الآية: ٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٤.

(٤) انظر: سورة الإسراء، الآيات: ٢٢ - ٣٩.

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ١٩، ٢٠.

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ ءَايَتُنَا فَنَسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَحْسَثُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ﴿١٢٨﴾

إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٢٩﴾

فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٣٠﴾

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣١﴾ (٢).

وقوله سبحانه معللاً سبب نزول القرآن منجماً: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾

كَذَلِكَ لِنُنْزِلَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَوَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ (٣).

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ

الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

أ - الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

ب - وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾

ج - وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

د - وَالَّذِي يُبَسِّئُنِي ثُمَّ يُجْبِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ

الْذِينِ ﴿٨٢﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرِزْقِ الْكُوكَبِ﴾ ﴿٦﴾ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ

شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ (٥).

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٨ - ١١١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ - ٨٢.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ٦، ٧.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيْهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ

إِذْ كَانُوا يَحْجَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (١).

وقوله تعالى يمدح المؤمنين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَأْتَاهُمْ رَبُّهُمْ ءِئِنَّهُمْ لَفِي رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّهِمْ

أ - كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ ﴿١٦﴾

ب - كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾

ج - وَإِلَّا لَأَسْخَرُوا لَهُمُ بَاقِيَةَ ﴿١٨﴾

د - وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبُؤَ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ بَلَيْتَنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَّةٍ ﴿٢٥﴾

وَلَوْ أَدْرِي مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾

بَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٍ ﴿٢٨﴾

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٍ ﴿٢٩﴾

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾

ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾

إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٩.

وَلَا يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٤﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا حَطَّيْتُمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوهَا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ﴿٢٥﴾^(٢).

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفَهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾^(٣).



(١) سورة الحاقة، الآيات: ٢٥ - ٣٤.

(٢) سورة نوح، الآية: ٢٥.

(٣) سورة المزمل، الآيات: ١ - ٦.

الأمْر والنهي

أمره بشيء: كلفه به وحثه عليه.

نهاه عن الشيء: حرّمه عليه، ومنعه أن يعمل به.

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١١٤) ^(١).

وقال أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ...﴾ ^(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) ^(٣).

هذه الآيات الثلاث مفتاح هذا الباب، ونظرة متفحصة لها تجد أن الأمر جاء أولاً والنهي ثانياً وهذا يعني:

أ - أن الأمر هو الأصل لأنّ فيه دفْعاً إلى العمل، ولا حياة بلا عمل، هذا العمل الذي ينشئ حياة تسعد الإنسان.

ب - أن النهي ينقي الخير من شوائب الحياة التي تعترض سبيله.
فإذا الأمر والنهي طريق معبّد لمن يبغي الوصول بسلامة إلى حياة طيبة في الدارين.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

وستلقي الضوء إن شاء الله في هذا الأسلوب على:

أ - الأمر والنهي معاً، فقد جاء في القرآن على الغالب متلازمين.

ب - الأمر حين جاء وحده وهو وافر.

ج - النهي حين جاء وحده، وهو قليل.

د - الأمر بـ «قل».

أ - الأمر والنهي معاً:

ففي سورة المدثر نجد الأمر بالدعوة، وتوحيد الله وتعظيمه، وتطهير الثوب فلا صلاة بغير طهارة، والابتعاد عن المنكرات ففي ذلك تهذيب النفس وتطهير لها، وإعطاء الناس من خير ما أعطاك الله دون من، والصبر على طاعة الله فهي زاد في هذه الحياة، والصبر على أذى المعاندين المستكبرين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ۖ قُمْ فَاذْهَبْ ۚ وَرَبُّكَ فَكَبِرَ ۚ وَيَا أَيُّهَا الْفَارِغِيُّ ۖ قُمْ فَاذْهَبْ ۚ وَلَا تَمْنُنْ تَسْكَكِرَ ۚ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۚ﴾ (١).

وفي سورة الإسراء نجد وصايا رائعة يتشابك الأمر والنهي فيها، فإذا هما لحممة متماسكة ذات بناء عقدي، إيماني موحد، يجمع إليه الإحسان إلى الوالدين، والأهل وذوي الرحم والمساكين، دون تبذير ولا إسفاف، ولا تقتير ولا إجحاف، وينهى عن قتل الأولاد خوف الفقر، فالله هو الرزاق، وعن الزنى فهو مدمر للمجتمع والأسرة، وعن قتل النفس التي حرم الله قتلها، وعن أكل مال اليتيم، وعن التدخل فيما لا يعني، وعن التكبر، ويأمر بالعدل في إيفاء الكيل والوزن الصحيح، ليصل الناس إلى حقوقهم.. قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ۚ﴾ (٢).

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۚ﴾ (٣).

(١) سورة المدثر، الآيات: ١ - ٧.

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾
 رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾
 وَمَاتَ ذَا الْقُرْنَيْنِ حَقًّا وَالْيَمْسُكَيْنِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾
 إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾
 وَإِمَّا تَرَضَيْتُمْ عَنْهُمْ ارْتَعَاءً رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيَّسُورًا ﴿٢٨﴾
 وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾
 إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾
 وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُونُ لَكُمْ رِزْقُهُمْ وَإِنَّا كُنَّا بِأَفْعَالِهِمْ خَبِيرًا ﴿٣١﴾

وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾
 وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَاهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾
 وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾
 وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْقِيَةِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾
 كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾
 ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ (١)

ففي هذه الآيات الثماني عشرة نجد أحد عشر أمراً، وثمانية عشر نهياً، تشكل لنا تلك المجموعة الرائعة من التشريعات التي تنشئ مجتمعاً إسلامياً متماسكاً.

- وهذا لقمان عليه السلام يوصي ابنه وصايا سامية، ترفع من مستوى الإنسان وتجعله مثلاً يُحتذى فيقول: ﴿يَبْنَئُ أَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِيرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧)

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَفْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾
وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ (١).

أ - أمره بالصلاة لتكون صلته مع الله تعالى قوية تساعد على التصدي للدعوة.

ب - ثم أمره بجماع الخير، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ج - ولكي يكون قدوة للناس نهاه، وأمره. نهاه عن التكبر على الناس والمشي بخيلاء واستعلاء، وأمره بالاعتدال في سيره وخفض صوته.

- ولكي يكون المسلم من أهل الإحسان - وهي درجة عظيمة - قريباً إلى الله تعالى فَلْيَنْتَهَ عن الفساد وليدعُ الله خائفاً من عذابه طامعاً في رحمته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) (٢).

- وينهى الله تعالى نبيه أن ينظر إلى ما متع به بعض الكفار، فإنه أعطاه أعظم منها وأشرف وأكرم - وإنزال القرآن عليه أعظم منة وكرماً - ينهاه أن يحزن لعدم إيمان الناس به ويأمره أن يتواضع للمؤمنين وضعفائهم. . قال تعالى: ﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) (٣).

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٧ - ١٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

- وحين جاء الأمر بإغراق الكافرين من قوم نوح قال تعالى له: ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّسْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (١)

ولكن نوحاً حسب أن ابنه من أهله فصاح الله تعالى له الانتماء قائلاً: ﴿يَنْتُحِ إِنَّهُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُمْ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَلَوَّنَا مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

- والمسلمون أهل عهد وذمة يلتزمون بعهودهم ولا ينقضونها. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾ (٣).

- والله سبحانه يعلمنا أن نكون دعاة نستعمل الحكمة في دعوتنا، فإن من الحكمة اللطف واللين في المحاجة، فإذا كان المجادل من أهل الكتاب غليظاً ظالماً فالتعامل معه بطريقته نفسها من الحكمة كذلك ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

فإذا نبهناهم إلى أننا نؤمن بما أنزل إلى موسى وعيسى - وكانوا منصفين - آمنوا بمحمد ﷺ رسولاً، خاصة أن الإله الذي ندعو إلى توحيده هو إلههم، سبحانه أن يكون هناك إله غيره.

ب - الأمر وحده:

ونجده في هذه الآية يأمرنا بأمرين بالغني الخطورة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٥).

- والجهاد ذروة سنام الإسلام، فالالتزام به فرض يبدأ به الرسول ﷺ

(١) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨.

بنفسه أولاً ويدفع إليه المسلمون ثانياً، وعلى كل قائد أياً كان حين يسُنّ تشريعاً أن يطبقه على نفسه، فتعرف الرعية أنه صادق فينفذونه مرتاحين مطيعين، وبالجهاد يصل المسلمون إلى العزة، ودفع الأذى وليس هناك سواه طريق. قال تعالى: ﴿فَقَنِّلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ (٨٤) (١).

- ويؤكد هذه الفكرة في الآية الكريمة التالية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٢٣) (٢).

إذاً لا بدّ من قتال الكفار دون هوادة، فهم لا يكفون أذاهم عنا إلا إذا وجدوا فينا شدة.. لكنّ النصر منعقد لواؤه بالتقوى فهل نحن متقون؟!.

- وإذا لم يستجب أهل الفساد والعناد للدعوة إلى الله، ونأوا بأنفسهم عنها فما على الرسول وتلاميذه من أهل الدعوة إلا البلاغ، فلا إكراه في الدين، ولا حاجة إلى أن يبخل نفسه ألا يكونوا مؤمنين ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (٥٤) وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٥) (٣).

- وانظر معي إلى هذا النداء الحبيب من الله تعالى فيه من الدرر والجواهر أوامر خمس هنّ ركيزة التعامل مع الله تعالى ورسوله الكريم والحياة من حولنا قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

١ - أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

٢ - وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤)

(١) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

٣ - وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً

٤ - وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

٥ - وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَتَأْوِنَكُمْ وَيُدَكِّمَ بِضُرُوبِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ (١)

- والمسلم يصدع بالحق فإن قيل منه الحق كان له خيراً من حمر النعم، وإن جوبه بالرفض والإنكار، فله من الله الثواب في رفضهم لما دعاهم إليه وتحمل أذاهم، أما الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد عصمه الله منهم ﴿فَأَصْدَعُ يَمَّا تُوَمَّرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ (٢).

فإذا شعر بالضيق مما يحوكة المشركون، والحزن مما يقولون، فليلجأ إلى الله تعالى فهو نعم الملاذ، فسبحان الله تملأ الميزان وفي السجود يكون العبد قريباً إلى ربه، والعبادة والدعاء سلاح المؤمن إلى أن يلقي ربه ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿٩٧﴾

أ - فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

ب - وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾

ج - وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ (٣)

وأخيراً يقول الله تعالى:

أ - ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

ب - وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ (٤)

وكيف يعلم أنه لا إله إلا الله؟... إنه يعرف ذلك بالتفكير والتدبر

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢٤ - ٢٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

(٤) سورة محمد، الآية: ١٩.

واتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام، والعمل بما أمر الله، والانتهاز عما نهى عنه.

كما أن الاستغفار اعتراف بالتقصير والعجز، وإقرار بالضعف ولجوء إلى الله تعالى الذي يغفر الذنوب، ولو كانت كموج البحر تدافعاً وتلاطمًا.

ج - النهي وحده:

يركز القرآن الكريم على علاقة المسلم بأهل الكتاب، من يهود ونصارى، فهم وإن كانوا يعيشون في كوكبنا هذا وبين ظهرانينا، فليسوا منا ولسنا منهم.

نحن موحدون لله تعالى - وهم مشركون.

نحن نحتكم إلى شريعته - وهم يتبعون أهواءهم.

ولا بد من العلاقة المادية، أما أن نحبهم ونسكن إليهم ونتخذهم أولياء أوفياء، فهذا من الوهم والخيال.. تاريخهم القديم الأسود، والجديد القاتم أكبر دليل على كرههم لنا وكيدهم للمؤمنين. والقرآن الكريم فضحهم فقال: ﴿لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتِنِ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (١).

وقال: ﴿إِنْ يَفْقَهُوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢).

وفي هذه الآية الكريمة التي نحن بصدها نجد النهي الواضح أن نتخذهم أهل ود ومحبة، وإلا كنا مثلهم - فالطيور على أشكالها تقع - وظلمنا أنفسنا!! قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٢.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ (١).

وهؤلاء - أهل الكتاب النصارى - غَلَّوْا في نبيهم عيسى، فجعلوه ابن الإله وبعضهم جعله الإله نفسه، وغلا اليهود في أمر عيسى فجعلوه ابن ضلال وغي!! وكل الفريقين يتبع في عقائده أسلافه الذين ضلوا فأضلوا من بعدهم، وابتعدوا عن الطريق المستقيم ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٢).

- وهذه صيحة مدوية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، تنبه الناس أن عدوهم الأول الشيطان الذي أخرج آدم وحواء من الجنة ﴿يَتَّبِعُ آدَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُمْ يَرَينَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

- وانظر معي إلى هذا التحذير المتناهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤).

فالبراءة من الأهل مهما كانوا قريبين إن لم يكونوا مؤمنين، وأين الجامع إذا كان فريق في الجنة وفريق في السعير؟! وهل يكون محبباً إلينا مَنْ فضّل الكفر على الإيمان؟ لا والله فمن فعل ذلك فقد ظلم نفسه، والظلم ظلمات يوم القيامة.

- وينهى القرآن عن تصرفات لثيمة تهدم المجتمع وتنقضه من أساسه، والإسلام دين البناء والأخلاق الحميدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

لَا يَسْحَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ
وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ
وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ .. يَسِّرَ الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ
وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

- هل يكذب إلا مفسد أفاك؟ وهل يسيء إلا كل مداهن كثير الحلف
ذو نفس وضيعة؟ وهل يسعى بالنميمة إلا كل معتد عتل متكبر...؟ فابتعد
أيها المسلم عنهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوْا لَوْ تَدْرِي
فَيَذَرُوهُنَّ (٩) وَلَا تَطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَٰذَا مَثَلٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ أَيْمٍ (١٢) ... ﴿٢﴾.

د - الأمر بـ «قل»:

جاء في القرآن الكريم وافراً مطرداً لأغراض بلاغية كثيرة منها:

١ - التحدي: كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ
اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٤)
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ (٣).
وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُهُمْ وَنَجْوَاهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّرَ
لَهُمُ اللَّهُ (١٢)﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ إِنَّا إِلَٰهٌ أَحَدٌ الْحُسَيْنِيُّ وَنَحْنُ نَرْتَضُ
بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَنَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَتِّضُونَ﴾ (٥٢) (٥).

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) سورة القلم، الآيات: ٨ - ١٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٢.

٢ - التوبخ والسخرية: كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٥٣) ﴿١﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ

قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) ﴿٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ

وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٦٣) ﴿٣﴾.

٣ - التقيح والتبكيت: كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) ﴿٤﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ

قُلْ هَسَاؤُا بُرْهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١) ﴿٥﴾.

وقال عز من قائل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ

قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢) ﴿٦﴾.

٤ - توحيد الله: كقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿٧﴾. ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢) ﴿٧﴾.

(١) سورة التوبة، الآية: ٥٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٧.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

(٧) سورة الإخلاص.

وكقوله تعالى: ﴿... وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَهَيْكُمْ لِتَنبَهُوا أَنْتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ أُخَرَىٰ﴾

قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١﴾.

٥ - اللجوء إلى الله تعالى: كقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ ﴿٢﴾.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ

النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ ﴿٣﴾.

وكقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ

اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ بَلْ إِلَٰهَ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٢﴾﴾ ﴿٤﴾.

٦ - دحض الافتراء: كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ

عِنْدَ اللَّهِ حَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ وَلَنْ يَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢﴾﴾ ﴿٥﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ

قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قَارِطِيسَ

بُذُونَهَا وَيُخَفُّونَ كَثِيرًا ۖ وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ ءَابَاؤُكُمْ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) سورة الفلق.

(٣) سورة الناس.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴿١﴾

وقوله عز وجل: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَ لِيَّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾

قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴿٢﴾ فَمِنْ أَقَرِّى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴿٣﴾

٧ - جواب سؤال: كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ

قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَيُّ ﴿٣﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

أ - قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ

ب - وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا

ج - وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ

د - قُلِ الْعَفْوَ... ﴿٤﴾

وقوله عز وجل: ﴿وَسْتَغْفِرُونَكَ فِي الْإِسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُغْفِرُكُمْ فِيهِمْ... ﴿٥﴾

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَغْفِرُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُغْفِرُكُمْ فِي الْكَلْبَلَةِ... ﴿٦﴾

٨ - رد الأمر إلى الله تعالى: ومثاله قول الله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ

لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴿٧﴾

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٣، ٩٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٢٧.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٧٦.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) ﴿١﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥)

قُلْ إِنَّمَا أَلْهَمْتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ ﴿٢﴾.

وهناك أغراض كثيرة فتدبر كتاب الله فيها، إن كنوزه غالية تبدى لمن يخلص له سبحانه جعلنا الله منهم.



(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) سورة الملك، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

السؤال

هو من الطرق الأصيلة في تحصيل العلم، فقد تجد معلماً ينصحك، ويفيدك علماً، ويوضح لك أموراً، وقد يشكل عليك أمر فتسأله، وتستفسره، فيجيبك، ويزيل الإبهام من نفسك، وللسؤال فوائد مهمة منها:

١ - اكتساب معرفة، وازدياد علم، قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

٢ - إزالة شك، ودفع ريبة، قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٩٤) (٢).

٣ - استشهاد على موقف وتعزيز له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نُسْعَ آيَاتٍ يَبْتَغِ غَشَاةً فَسَطَلْنَا مِنْهُ لَبَأَ لَبِيبًا وَنَحْنُ مُشْرِقُونَ فَلَمَّا أَصْبَحَ نَظَرَ مِنْ حَتَّى بَلَغَ أُولَئِكَ مَدْيَنَ فَجَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا﴾ (١٠١) (٣).

وسؤال الرسول الكريم ﷺ، ليهود المدينة، لعلمهم بالحادثة مما لديهم في التوراة، ليظهر لعامة اليهود وعلمائهم صدق ما ذكره الرسول ﷺ.

٤ - التعظيم والإجلال، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٩) (٤).

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣، وسورة النساء، الآية: ٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

وهل يُسأل عن عظمة الله سوى الله سبحانه!!؟.

٥ - التبكيت والتوبيخ، فقد أنسى العذاب الشديد في جهنم الكفار والمشركين المدة التي لبثوها في الدنيا ﴿قُلْ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَاةٌ كَثِيرَةٌ فَمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١٢) ﴿قَالُوا لَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتُكَلِّمُنَا أَعْيُنُنَا﴾ (١١٣) ﴿وَلَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١٤).

٦ - التذكير والاعتبار، قال تعالى: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانَتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (١١٦) ﴿وَلَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١٧).

٧ - التحدي. ومثاله ما حدث لإبراهيم عليه السلام، من تحدّ لقومه حين كسّر أصنامهم، فسألوه عن الفاعل، فنبههم إلى أن هذه الآلهة المزعومة لا تستطيع دفع مضرة عن نفسها. فكيف تنفع الآخرين.. إنها لا تتكلم ولا تسمع.. قال تعالى: ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (١٦٥) ﴿وَلَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٦).

٩ - تنبيه الغافل كي لا يقع في الخطأ، فقد نبه الله سبحانه المؤمنين أن لا يكونوا كاليهود الذين سألوا موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة فضّلوا، قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١٧٨) ﴿وَلَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٧٩).

١٠ - السخرية والتهكم. ومثاله قول الله تعالى: ﴿سَأَلْتَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿وَلَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤١). يسخر من الذين يسوون المطيع بالعاصي، والمؤمن بالكافر، ويتقوّلون على الله تعالى ما لا يعلمون، فيطلب الله تعالى إلى رسوله الكريم، أن يسأل هؤلاء المكابرين: أيهم كفيل وضامن بهذا الذي يزعمون.

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٢، ١١٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة القلم، الآية: ٤٠.

والذي نريده في هذا العنوان «السؤال» الفائدة الأولى اكتساب معرفة وازدياد علم.

- فمن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١) فنبههم بأسلوبه الحكيم، إلى صلة الأرحام، وعلى رأسهم الوالدان، ثم مساعدة الآخرين المستحقين.

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَرَامِ فَقُلْ فِيهِ قُلٌّ قِتَالٌ فِيهِ كَثِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ

وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾^(٢) وصحيح أن القتال في الأشهر الحرم كبيرة لا يرضاها الله تعالى، لكن هناك ما هو أشد وأنكى، منها:
أ - اتخاذ كل الأساليب الخبيثة لصدد الناس عن دين الله.

ب - وما تبعه من فتنة المسلم ليرتد عن دين الله إلى الكفر.

ج - وصد من آمن من العرب عن بيت الله.

د - وإخراج المسلمين من أهل مكة عنها.. كل هذا أشد وأعظم وزراً من القتال في الأشهر الحرم..

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا قُلٌّ كَثِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...﴾^(٣) إن في الخمر والميسر منافع مادية ضئيلة، ولكن ضياع العقل، وذهاب المال، وتعريض البدن للمرض في الخمر، وما يجره القمار من خراب البيوت، ودمار الأسر، وحدوث العداوة والبغضاء بين اللاعبين،.. كل ذلك محسوس مشاهد إذا قيس الضرر الفادح بالنفع التافه لهذين المنكرين الخبيثين.

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا بِهِمْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

فَاِخْوَانُكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُنْفِصَ مِنْ الْمُصْلِحِ ﴿١﴾ . ماذا يفعلون بأموال اليتامى؟ فكان الأمر أن يخلطوا أموالهم بأموال السائلين، وينمّوها بالتجارة، لأنهم إخوانهم في الدين، وهذه الأخوة أقوى من رابطة النسب وحذرهم الله تعالى من الخيانة وإفساد أموال اليتامى، أو أكلها، فهو مَطْلَعٌ يعلم المفسد من المصلح.

- وقوله سبحانه: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ

قُلْ هُوَ أَذَى

أ - فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ

ب - وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ

ج - فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ

د - إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ فيتن الله تعالى حقيقة المحيض،

وأمر المسلمين اعتزال نساءهم في حيضهن، والمقصود عدم المعاشرة، لا عدم التقرب منهن ومؤاكلتهن ومجالستهن، كما يفعل اليهود إذا حاضت نساؤهم، فإذا تطهرن فالمعاشرة في المكان الذي أحله الله، وهو القبل مكان الولد والنسل، فالله يحب التائبين المتزهرين عن الفواحش والأقذار . .

- وقول عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا

عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ يَقُولُونَ إِمَّا عَلَّامُ اللَّهِ فُكُلُوا إِمَّا أَمْسِكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ فالله تعالى أحلّ المستلذات

وما ليس منها بخبيث، وحرّم كلّ مستقذر، وأحلّ لنا ما تصطاده الجوارح من كلاب وطيور نعلمها كيف تصطاد. فإن أكلت منها فلا نأكل منها، وإذا اصطادت هذه الجوارح كما علّمناها ذكرنا اسم الله تعالى عليها . .

- وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا

لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ فلا يعلم أحد متى تكون الساعة إلا خالقها، وهو سبحانه الذي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

يأمر بها في الوقت الذي حدده لها، إنها الغيب الذي استأثر به سبحانه نفسه.

- ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ

قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ

أ - فَأَتَقُوا اللَّهَ

ب - وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

ج - وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ حين اختلف المسلمون في غزوة بدر على الأنفال، فجمع بعضهم الغنائم من أرض المعركة، وتابع بعضهم فلول المنهزمين من المشركين، وكانت العادة أن من جمع الغنائم فهي له، فاختصم المسلمون فيها، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يعلمهم أن همهم يجب أن يكون في الجهاد فقط، فجعل الأنفال كلها لله ورسوله، وليس للمسلمين شيء، فلما أذعنوا لأمر الله ورسوله قسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين على السواء، فكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البين.

- وقوله عز وجل: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ (٢) سأل المشركون رسول الله ﷺ عن أهل الكهف وذي القرنين، فأجاب عنهم حين نزل جبريل بآيات توضح حالهم، وسأله عن ماهية الروح وحقيقتها، فكان الجواب أنها من الأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا رب البرية سبحانه وتعالى، وما علم الناس إلا ذلك العلم الضئيل الذي يناسب عقولهم وقدراتهم.

- وقوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلِ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٨٣﴾ (٣)، فوضح لهم في الآيات [٨٤ - ٩٨] (٤) أنه رجل صالح

(١) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٣.

(٤) سورة الكهف.

ملك المشرق والمغرب فسمي ذا القرنين. وقد وضحت كتب التفسير قصته وأظهرت العبرة فيها.

- ومنها قوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۗ﴾ (١١٧) (١) فالجبال يوم القيامة غير الجبال في الحياة الدنيا، فهي الآن شاهقة، ذراها تناطح السحاب، وصخورها صماء، وجذورها ذاهبة في الأرض. أما يوم القيامة فإن الله تعالى يفتتها كالرمل، ثم يرسل عليها الرياح فيطيرها فيذرها أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء، ولا انخفاضاً ولا ارتفاعاً.. سبحانه الله ما أعظمه.. قادر على كل شيء.



(١) سورة طه، الآيات: ١٠٥ - ١٠٧.

التعجب

روعة تأخذ الإنسان عند استنظام الشيء... وقد يكون إنكار الأمر لقلة اعتياده إياه.

وهو ردة فعل محمودة العواقب إن كانت إيجابية عن تفكر وتدبر. ومذمومة العواقب إن كانت سلبية عن رفض للحقيقة ناتجة عن المعاندة والاستكبار...

وفي القرآن الكريم أنواع من التعجب تدل على كلتا الحالتين.
- فمن أمثلة الحالة الأولى ما صوره القرآن الكريم لحالة التعجب عند السيدة سارة، زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام، حين بشرتها الملائكة بولدها إسحاق، وهي امرأة عجوز عقيم ﴿فَأَبْلَتْ أَمْرَانِي فِي صَرْفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩) ﴿١﴾ فأجابتها الملائكة أنه لا رادّ لقضاء الله وكرمه ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠) ﴿٢﴾.

وتتوضح الصورة أكثر في الآية التالية:

﴿وَأَمْرَانِي فَأَيَّمَا فُضِحْتُ فَنَشَرْنَهَا يَا سَحَقُ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ﴾ (٧١)
﴿قَالَتْ يَنْتَبِهُنَّ أَيْدِي وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢)
﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٣٠.

- ومن أمثلته قوله تعالى على لسان فتى موسى عليهما السلام:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَتَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٣) (٢).

ولكن موسى لم يتعجب، لأنه يعلم أن الرجل الصالح سيلاقيه في المكان الذي يختفي فيه الحوت، فعادَ وفتاه أدراجهما إلى الصخرة فلقيه. قال: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ فَصَبَّأُوا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَتَبَتْ أَعْْيُنُهُمْ مِنَ الْهَيْبَةِ وَنَبَوَّأُوا الْمَلَائِكَةَ بِالْأَمْرِ أَعْبَادِنَا رَبِّكُمَا عَلَّمْنَاهُ مِمَّا نَدْنَاهُ﴾ (٦٤) (٣).

- ومن أمثلته ما قاله زكريا عليه السلام حين بشره جبريل ببيحيى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي كُنْتُ عَقِيمًا﴾ (٨) قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقك من قبل ولم تَكُنْ شَيْئًا (٩) (٤).

وما قالت مريم عليها السلام حين فوجئت بالملك، فتعوذت بالله أن يضرها ف ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) قالت أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكانت أمراً مقضياً (٢١) (٥).

- ومن أمثلته قصة قارون الذي رزقه الله أموالاً طائلة، فكفر بأنعم الله وادعى أن ذكاه وعبقريته كانا السبب في هذا الثراء الفاحش، وأنكر فضل الله عليه وكان ضعفاء الإيمان يتمنون أن يكون لهم مثل ماله، والعلماء الواعون منهم ينبهونهم إلى أن ثواب الله وفضله ورضاه خير لهم.

(١) سورة هود، الآيات: ٧١ - ٧٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٣.

(٣) سورة الكهف، الآيات: ٦٤، ٦٥.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٨، ٩.

(٥) سورة مريم، الآيات: ١٩ - ٢١.

وحين خسف الله به وبداره الأرض على حين غرة من صلفه وتكبره، انتبه أولئك متعجبين من قدرة الله العجيبة التي ذهبت بالمتكبر المغرور، ومتعجبة كذلك من هوان قارون على الله، ومتعجبين ثالثاً من غفلتهم عن الحقيقة التي كان عليهم أن يدركوها سابقاً، وهي فضل الله عليهم أن حفظ لهم إيمانهم وحسن عاقبتهم.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَاثُرُ اللَّهُ يَسْطُرُ الزُّرْفَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُرُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٢) (١).

- ومن أمثله تعجب الناس من مريم وهي تحمل طفلها، ولما تتزوج، وحسبوا أنها زنت فقالوا: ﴿يَتَأَخَذُ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ (٢٨) (٢)، وحق لهم أن يقولوا ذلك ﴿فَاسْأَلَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَتْ فِي أَلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٢٩) (٣).

فقال بلسان مبين يسمعه الجميع، وهو يدافع عن أمه التهمة الباطلة، ويرثها مما ظنوه بها.

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٣٢) (٤).

- ومن أمثله أسلوب التعجب في مدح ذاته سبحانه «أفعل به» في

(١) سورة القصص، الآية: ٨٢.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٩.

(٤) سورة مريم، الآيات: ٣٠ - ٣٣.

قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَاسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾^(١).

وقوله سبحانه يَصَوِّرُ كَأَبَةِ مَنْظَرِ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَّا...﴾^(٢).

- ومن أمثلة الحالة الثانية تعجب الكافرين من أمرين اثنين:

الأول: أن يكون النذير رجلاً منهم وهم يظنون أنه ينبغي إن جاءهم أن يكون ملكاً، أو يأتي بملك معه ﴿يَلْعَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا نَبِيٌّ عَجَبٌ﴾^(٣).

وقولهم: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾^(٤).

وقولهم: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ...﴾^(٥).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرٌ﴾^(٦) ﴿أَوْ يُنْفَخِ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٧).

الثاني: أ - الإيمان بالنشور ويوم البعث:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٨) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(٩).

وقال سبحانه: ﴿أَوَدَّا مِنْهَا وَكُنَّا تُرَابًا... ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾^(١٠).

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٨.

(٣) سورة ق، الآية: ٢.

(٤) سورة ص، الآية: ٤.

(٥) سورة يونس، الآية: ٢.

(٦) سورة الفرقان، الآيتان: ٧، ٨.

(٧) سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٨) سورة ق، الآية: ٣.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ أَيْدَا كُنَّا ثَوْنًا لِمَنْ لَفَى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١) فهم يسخرون من الحياة بعد الموت، ويظهرون التعجب، والأولى أن نتعجب نحن من تعجبهم هذا، فلو أنهم فكروا قليلاً لسألوا أنفسهم مَنْ خلقنا؟ من جعلنا على هذه الصورة؟ أوجدنا عبثاً؟

وإذا عرفوا أن هناك مَنْ أوجدهم من عدم أيقنوا أنه سبحانه قادر على أن يبعثهم من وجود، وهذا أسهل عليه وكل شيء عليه سهل - سبحانه - وأن الناس خلق بسيط إذا ما قورنوا بخلق السموات والأرض ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٧) (٢).

ب - توحيد الله سبحانه:

فهم يعتقدون أن مع الله آلهة أخرى فهم يستنكرون وحدانيته، وعقولهم القاصرة ترى أن الكون الضخم يحتاج إلى آلهة كثيرة تديره وتدبر أمره...!! ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (٥) (٣).

وفي سورة النجم من الآية الثالثة والثلاثين، حتى الآية الثامنة والخميس، يؤكد القرآن الكريم على وحدانية الله.

أ - فهو القادر على كل شيء.

ب - وإليه المنتهى.

ج - وكل شيء من صنع يديه.

د - وأن الآلهة التي يعبدونها من مخلوقاته.

هـ - وقد أهلك الكفار لكفرهم وأن يوم القيامة قادم لا محالة.

ومع ذلك فهم يتعجبون من هذا الكلام، ويسخرون، والله يغنفهم ويوبخهم بقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ هَذَا الْمَدِيتِ تَعْبُونَ﴾ (٥٩) ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَكُونُ﴾ (٦٠) ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ (٦١) (٤).

(١) سورة الرعد، الآية: ٥.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) سورة ص، الآية: ٥.

(٤) سورة النجم، الآيات: ٥٩ - ٦١.

ومن العجب أن تتقبل العقول عبادة ما صنعوه بأيديهم، وينسون عبادة من صنعهم بيديه!! ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ﴾ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾!؟^(١).

﴿ادْعُونَنَا عِبَادًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾!؟^(٢).

والإنسان العاقل يعبد ما ينفعه ليكسب منه، ومن يخافه ليحذر عقابه، ومن بيده مقاليد الأمور.. أما عبادة ما لا ينفع، ولا يضر، ولا يعي، ولا يعقل، فانهطاط، ما بعده من انهطاط.. قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٧٦)^(٣).

والله سبحانه وتعالى ينبه الإنسان إلى خطئه بلطف مشوب بالتحذير ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾^(٤).

ويعلمه أنه قادر ليس على إعادة خلقه فقط، بل إنه سبحانه قادر على أن يعيد خطوط بصماته التي لا يشابهه فيها بصمات الناس الآخرين، وهذه قِمة في الدقة والعظمة ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسُنُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ (٣) بَلَى قَدِيرِينَ عَلَيْهِ أَنْ سُوِّيَ بَنَاهُ ﴿٤﴾^(٥).

أما الكافر المشرك فإنه حجب عن قلبه نور الإيمان، ورضي بقلب الحقائق ليرضي نزواته، ويرضي من حوله ليبقى مهيباً في أعينهم. لكن الله سبحانه له بالمرصاد.. ولئن تركه في الدنيا لعذاب الآخرة أشد وأبقى. ومن أمثلة هؤلاء الوليد بن المغيرة، الذي رزقه الله مالاً وبنين فلم يعرف

(١) سورة الصافات، الآيات: ٩٥، ٩٦.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٢٥، ١٢٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٦.

(٤) سورة الانفطار، الآيات: ٦ - ٨.

(٥) سورة القيامة، الآيات: ٣، ٤.

نعمة الله عليه، واختلق الأكاذيب ليشوّه مقام النبوة، ويصمه بالسحر والكذب، ويدّعي أنه أولى من الرسول الكريم بالرسالة... إن أمره عجيب، وتفكيره غريب... فالله أعلم حيث يجعل رسالته:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾

وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَمْدُودًا ۝١٢﴾

وَبَيْنَ شُهُودًا ۝١٣﴾

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤﴾

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥﴾

كَلَّا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَابْنِينَا عَيْنِدَا ۝١٦﴾

سَأَرْهِفُهُمْ صَعُودًا ۝١٧﴾

إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ وَتَدْرَكُونَ ۝١٨﴾

فَقِيلَ كَيْفَ تَدْرِكُونَ ۝١٩﴾

ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ تَدْرِكُونَ ۝٢٠﴾

ثُمَّ نَظَرُوا ۝٢١﴾

ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَ ۝٢٢﴾

ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣﴾

فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝٢٤﴾

إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥﴾

سَأُصْلِحَهُ سَقَرًا ۝٢٦﴾ (١)

وهكذا كان التعجب أسلوباً يحث السامع أو المخاطب ليعيد التفكير، ويمحص القول، ويروّز الأمر ليصل إلى الحقيقة، وما أقل من يفعل ذلك.



(١) سورة المدثر، الآيات: ١١ - ٢٦.

التنبيه

يكون التنبيه إلى أمر ما لأسباب عدة منها:

- أ - جذب الاهتمام به لشرفه ورفعة شأنه وتعظيمه.
- ب - الاستعداد لفهمه ومعرفته، والتأهب له ومقارنته بضده.
- ج - أن لا يضيع شيء مما يكون منه، فلا يُضطر قائله إلى الإعادة.
- د - تفتين الغافلين للشيء، ووقفهم عليه، والتفكير فيه.

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى على نبيه الكريم ليقرأه على الناس، مبشراً ونذيراً فهو - القرآن الكريم - رسالة إلى الخلق من ربهم ليتفكروا فيه، ويعملوا به، فلا بد أن يكون التنبيه متواتراً متلاحقاً بأساليب وطرق متعددة، منها:

١ - الاستفهام بـ «هل أتاك»: كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلَسِيِّيَّةِ ۚ﴾^(١) وليس الرسول الكريم عارفاً بهذا الحديث، ولا السامعون، فلم كان هذا الاستفهام؟! إنه لتعظيم خطره والتنويه إلى أهميته، فيصاخ السمع، وتأهب النفس مستعدة لتلقيه.

ومثاله كذلك: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَبِّفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرِمِينَ ۚ﴾^(٢) والرسول الكريم لا يعرف قصة الملائكة الثلاثة الكرام: جبريل وميكال

(١) سورة الغاشية، الآية: ١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٤.

واسرافيل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، فهذا الاستفهام ليس للتذكير إنما لجلب الانتباه والتركيز فيما يأتي من خبر.

وعلى هذا المنوال نفهم قوله تعالى:

أ - ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾﴾^(١).

ب - وقوله سبحانه: ﴿وَهَلْ أُنَبِّئُكَ نَبَأَ الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾^(٢)، وقوله:

ج - ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾^(٣).

٢ - الاستفهام بـ «أرأيت»: وذلك للتفكير والتدبر والمقارنة دون الحاجة إلى الإجابة اللفظية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ...﴾^(٤).

وكقوله جل شأنه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أُنَبِّئُكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾^(٥).

وكقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾^(٦).

وقوله سبحانه: ﴿أَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾^(٧).

وقوله جل شأنه: ﴿أَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي فَشَرْتُمْ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾﴾^(٨).

وقوله جل شأنه: ﴿أَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ

(١) سورة طه، الآية: ١٥.

(٢) سورة ص، الآية: ٢١.

(٣) سورة البروج، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٤٦.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٤٧.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٧) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٣، ٦٤.

(٨) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

تَحْنُ الْمُنِشِقُونَ ﴿٧٧﴾ (١).

وكقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْثَالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (٢).

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا...﴾ (٣).

٣ - اذكر: فعل الأمر الذي خرج عما وضع له إلى التنبيه، لأمر نبيه شريف يستحق أن يُقلَّد أو يُتخذ مثلاً يحتذى.

كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ (٥).

وكقوله جل شأنه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ (٦).

وقوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ أَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَنَاهُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴿٧﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ ﴿٨﴾﴾.

والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

٤ - التكرار: وهو سمة ظاهرة في القرآن الكريم، أفردنا له عنواناً خاصاً. ولأنَّ مِنْ أغراضه التنبيه ننوّه إليه - هنا - باختصار:

أ - تكرار جملة بعينها من أول السورة إلى آخرها، كقوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَيَايَا آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢٨.

(٤) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٥) سورة ص، الآية: ٤١.

(٦) سورة مريم، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

(٧) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

وكقوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (١).

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٌ رَحِيمٌ (٣) وذكر سبع مرات في سورة الشعراء بعد كل قصة للأنبياء الكرام، عليهم صلوات الله وسلامه، مع أقوامهم.

ب - تكرار تعبير بعينه للتنبيه إلى خطره، كقوله تعالى:

﴿سَاطِئِهِ سَفَرٌ ۖ وَمَا آذَنَكَ مَا سَفَرٌ﴾ (٤).

وقوله سبحانه: ﴿الْحَاقَّةُ ۖ مَا الْحَاقَّةُ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (٥).

وقوله سبحانه: ﴿الْقَارِعَةُ ۖ مَا الْقَارِعَةُ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٦).

ج - تكرار ألفاظ بعينها، مثال ذلك: «كلًا» في سورتي المدثر والمطففين، و «يوم الفصل» في سورة المرسلات، و «ليلة القدر» في سورة القدر.

د - النداء: وهو من أهم الأساليب في التنبيه الوارد كثيراً في القرآن الكريم، من أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ (٧).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا...﴾ (٨).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس﴾ (٩).

(١) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: (٦٧ - ٦٨)، (١٠٣ - ١٠٤)، (١٢١ - ١٢٢)، (١٣٩ - ١٤٠)، (١٥٨ - ١٥٩)، (١٧٤ - ١٧٥)، (١٩٠ - ١٩١).

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الحاقة، الآيات: ١ - ٣.

(٥) سورة القارعة، الآيات: ١ - ٣.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ١٥.

(٨) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

ولا بدّ من جوابٍ للنداء نلاحظه من الأمثلة السابقة: (اعبدوا ربكم)،
(إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار)، (إنما المشركون نجس).

٦ - حروف القرآن الكريم: والمقصود بها الحروف التي تصدرت كثيراً
من سور القرآن الكريم ليتنبّه إلى أمور منها:

أ - أن القرآن كلام الله المعجز، وهو مؤلف من هذه الحروف التي
تقرأونها في أول السور، فمن شك أنه من عند الله فليأت بمثله!..

ب - أن هذه الحروف فواتح السور، لها أسرارها العظيمة الجليلة.

- وقد تبدأ بعض هذه السور بحرف تسمى به، كسورة «ق» وسورة «ص».

- وقد تبدأ بحرفين وتسمى بهما كسورتي «يس» و «طه» وقد لا
تسمى بهما، كسورة النمل فقد بدأت بالحرفين «طس» وسورتي
غافر، وفصلت، وأخواتهما الشورى، والزخرف، والدخان،
والجاثية، والأحقاف فقد بدأت بالحرفين «حم».

- قد تبدأ بثلاثة أحرف، كسورة البقرة وأخواتها آل عمران
والعنكبوت، والروم، ولقمان والسجدة، فقد بدأت بـ «ألم».

وسورتي الشعراء والقصص اللتين بدأتا بـ «طسم».

وسورة هود وأخواتها يوسف، ويونس، وإبراهيم، والحجر، التي
بدأتا بالحروف «آلر».

- وقد تبدأ السورة بأربعة أحرف، كسورة الرعد التي بدأت بـ «آلمر».

- وقد تبدأ السورة بخمسة أحرف كسورة مريم التي بدأت بـ
«كهيعص».

ولعلّ المتفحص لآيات القرآن الكريم يجد كثيراً من أدوات التنبيه التي
تحرك الوجدان والمشاعر، وتشجّد القلب والعقل، وتدفع إلى التفكير
والتدبّر، وترقق الأحاسيس، وتذكر بالله - سبحانه - وعظمته.



الإصرار

أسلوب شديد في التأكيد يدل على:

- ١ - ثبات في التصور، وقوة التوجه.
- ٢ - إصرار على الاستمرار في تحقيق الهدف.
- ٣ - التحدي في إنفاذ ما يراد...

وإذا وجد مؤمنون بقضية ما فيهم هذه الصفات فهذه قضية نافذة بإذن الله، وأصحابها واصلون إلى ما يصبون إليه، فما بعد العزيمة والإصرار من تراجع أو انحسار، وهكذا أصحاب المبادئ، وهكذا يجب أن يكونوا.

والأمثلة في القرآن الكريم على هذا الأسلوب وافرة جداً، نقتطف من رياضه طاقة وافية إن شاء الله.

- فالكفار يوم القيامة حين يرون العذاب يتمنون الخلاص منه - وأتئى لهم ذلك - وعلى الرغم من أنهم بخلاء، كانوا يسلبون الناس أموالهم وأراضيهم، ويقتلون من يقف أمام رغباتهم المتوحشة في امتلاك كل شيء، . . ولو أنهم امتلكوا المال الكثير، والذهب الوفير، لقدموهما وأضعاف ذلك بكثير كي ينجوا من النار، لكن إرادة الله تعالى كتبت على هؤلاء الشقاء، ولا بد من العقاب الدائم الأبدي، لكل من طغى وتجبر واستكبر

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩)﴾ (١)

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ - ٣٩.

- وتأمل الإصرار في إظهار دين الإسلام، دين الحق على كل الأديان المحرّفة، والشرائع الممسوخة، على الرغم من تأمر المتأمرين، ومكر الماكرين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٨)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ (١)
وليس بعد هذا الإصرار من إصرار، والنصر حليف المسلمين إن شاء الله.

- وحين أصرّ الكفار من قوم نوح على الإشراك بالله، وعبادة الأصنام، وكان أحدهم يمسك بيد ابنه، ويأخذه إلى نوح فيقول له: يا بني! إن جدك أخذ بيدي إلى هذا الرجل الكاذب!! وحذّرني منه، والآن أنا أحذرك منه فلا تؤمن به، وحين أصرّوا على اتخاذ الأوثان آلهة فقالوا: ﴿لَا تَذَرْنَا إِلَٰهَةً كَمَا كُنَّا﴾ (١٠)

وَلَا تَذَرْنَا وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١١﴾

وَقَدْ أَصْلَلُوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٢﴾ (٢)

أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً أن يصنع سفينة، ليحمل فيها أهله المؤمنين ومن آمن معه، فقد كتب الله على الكافرين الغرق.. ونهاه أن يحدثه في نجاة الذين ظلموا.. ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (١٣) (٣).

- إن ديننا دين البرّ، ودين الاعتراف بأولي الفضل والإحسان إليهم، والوالدان صاحبا المنة والفضل على أبنائهما بعد الله سبحانه وتعالى، وقد أمرنا الله عزّ وجلّ في أماكن عدة في كتابه الكريم، بعد الأمر بتوحيده وعبادته، أن نحسن إلى آبائنا ولو كانوا كافرين، وأن نطيعهم فيما يأمرونا به، ونرفق بهم مع الإصرار على الإيمان بالله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(١) سورة الصف، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة نوح، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة هود، الآية: ٣٧.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا

وَأِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطَعُهُمَا

إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَيْنَ تَكُومُونَ ﴿٨﴾

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ ﴿١﴾

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ

أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطَعُهُمَا

وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿٢﴾

فالإحسان إلى الوالدين أمر مشروع، لكن الطاعة في العقيدة لله فقط سبحانه.

- وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يقسم أن يحطم الأصنام، في أول

فرصة تسنح له ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ ﴿٣﴾

وأصرَّ قبل إلقائه في النار، وبعد إنقاذه منها أن يلجأ إلى الله، فهو

غوث المستغيثين ﴿فَرَأَىٰ إِلَهُ الْهِنَمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾

فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ ضَرَبًا بِالْأَيْدِينَ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾

﴿قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿قَالُوا اتَّبِعْنَا لِمَ بُدِّنَا فَلَقُوهُ فِي الْحَجِّبِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ

الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾﴾ ﴿٤﴾

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ٩١ - ٩٩.

وباهتمامه عليه الصلاة والسلام وإصراره على نشر الحق كان أمةً وحده وصار خليل الله وصاحب الملة السمحاء...

- وهذا سيدنا موسى عليه السلام، أحد الأنبياء الخمسة أولي العزم، يصّر على مرافقة الرجل الصالح ليتعلم منه، فهو ينطلق مسرعاً إلى مكان اللقاء مزمماً على ذلك، ولو سار الدهر كله ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبْرَحُ حَتَّى أَتِلْغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٦٥) (١)،

ولما لقيه عرفه بنفسه، وسأله أن يسمح له بمرافقته للتعلم منه فاعتذر الرجل الصالح، فلن يستطيع أحد أن يرضى بما لا يعرف لحدوثه سبباً، ولا يسأل عن السبب، فأصرّ موسى على التعلم منه، ووعد أنه يصبر فلا يسأل، ثم لا يعصي له أمراً يريده، فنزل الرجل الصالح على إصراره على أن يختبره في الأمور الثلاثة الأولى ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) (٢).

- ثم إننا نرى الإصرار الذي ينبع من الإيمان العظيم لسيدنا موسى، بدينه وقضيته حتى يقف أمام فرعون ذلك الجبار المتكبر غير هتّاب ولا وجل، يجادله ويحاجّه فكرةً بفكرة.

﴿فَأَيُّا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ (٦٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (٦٨) وَفَعَلْتَ فَعَلْتَنَّا آلِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٦٩) قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٧٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧١) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَءِيلَ (٧٢)

(١) سورة الكهف، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٦٦ - ٦٩.

قال فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣)

قال: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (٢٤)

قال: ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٢٥)

قال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦)

قال: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧)

قال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ (٢٨)

قال: ﴿لَيْنِ أَخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩)

قال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ (٣٠)

قال: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُجْبَانٌ

مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾

قال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) ^(١).

فالقارئ يرى ويسمع ذلك الحوار الساخن بين نبي الله المؤمن بدعوته المتحمس لها، المعتمد على الله سبحانه، وبين ذلك المتأله المتغطرس الذي يأنف أن تنزع الألوهية منه وتعود إلى صاحبها - الله سبحانه - إنه إصرار رائع على وضع الحق في نصابه.

- ونرى أحد إخوة يوسف يقف محتاراً، فقد وعدوا أباهم أن يعودوا بأخيهم بنيامين إلى فلسطين، وها هو يسرقُ ويُستَعْبَدُ حين انكشف، ولن يصدق أبوهم هذه القصة فهو - الأب - يعرف أن ابنه رجل صالح لا يسرق... .

فكيف يعود هذا الأخ دون أخيه، فيصرّ على أن يبقى في مصر، ولا يخلف وعده، إلا إذا سمح له أبوه بالعودة ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ^(٢).

(١) انظر: سورة الشعراء، الآيات: ١٦ - ٣٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

- أما مؤمن (يس)، فقد علم بتكذيب أهل المدينة الأنبياء الثلاثة، فانطلق من مسكنه البعيد في الطرف الآخر من المدينة يسعى لنصرة أنبياء الله، ويعلن إيمانه على الرغم من هياج الكفار وتهديدهم الرسل و غضبهم منهم، ويصل الرجل المؤمن، ويصدق بكلمة الحق، ويصرّ عليها، فيقتلونه في سورة هياجهم، ويدخل الجنة، وهذا ما يصبو إليه.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اثَّيْعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

اثَّيْعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٦﴾

وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٧﴾

ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يَرِدْكَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٨﴾

إِنِّي إِذَا لَنِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾

إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٣٠﴾

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْي يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾

يَمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٣٢﴾ (١).

- وهؤلاء المسلمون في المدينة، تحيط بهم الأحزاب من كل جهة... أخافوا واستسلموا أم ازداد إيمانهم وثبتوا؟.

قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من المحنة والابتلاء، ثم النصر على الأعداء، والله صادق الوعد، ورسوله صادق البشرى... وأصرّوا على الجهاد والثبات فنالوا ثمرة ذلك الصبر والإصرار والنصر، والله المنة والفضل.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ

قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) سورة يس، الآيات: ٢٠ - ٢٧.

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ

وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴿١﴾

فبالثبات والإصرار يبلغ المجتهد مأربه وينال رغبته.



(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

التأكيد

الأصل في الحديث أن يكون ابتدائياً «ليس فيه تأكيد»، لافتراض أن يكون المتحدث صادقاً، والسامع سليم الصدر لا يشك في القائل وصدقه، فإن شك صار على المتحدث لزاماً أن يكون كلامه طلبياً «مؤكدأ» وكلما كان الشك أكبر، كان التأكيد أكثر.

وللتأكيد في القرآن الكريم طرق كثيرة، نراها في كل صفحة من صفحاته المشرقة.

ولا أكاد أبالغ إذا قلت إنك تراها في كل آية من آياته الشريفة بأساليب متعددة منها:

١ - القسم: والله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء لأنه الخالق لها، المتصرف فيها، وليس لنا إلا أن نقسم بالله سبحانه فقط، تعظيماً له، واعترافاً بألوهيته.

أ - فقد أقسم بالزمن: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١﴾ و﴿لَيْلٍ عَشْرٍ ۝٢﴾^(١).

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١﴾ و﴿لَيْلٍ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾^(٢) وغير ذلك.

ب - وأقسم بسمائه وكواكبه ونجومه: ﴿وَاللَّيْلِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾^(٣).

(١) سورة الفجر، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة الضحى، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة الطارق، الآية: ١.

﴿وَالشَّمْسُ وَحُفَّهَا﴾ (١) ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ (٢) ﴿١﴾.

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ (٣) ﴿٢﴾.

وأقسم بملائكته: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا﴾ (٢) ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبًا﴾ (٣) ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبًا﴾ (٤) ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥) ﴿٣﴾.

وأقسم بالرياح: ﴿وَالذَّارِبَاتِ دَرَوًا﴾ (١) ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ (٢) ﴿فَالْجَارِبَاتِ نُسْرًا﴾ (٣) ﴿٤﴾.

وأقسم برسول الله ﷺ فقال: ﴿لَعَنُوكَ إِنَّمْ لَفَىٰ سَكْرَتِهِمْ يَعْهَوْنَ﴾ (٧٢) ﴿٥﴾.

وأقسم سبحانه بأمور كثيرة، وليس هنا مجال للحصر إلا أنه حين أقسم «حكاية» على لسان الإنسان أقسم بالله فقال: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنتَ لَتَرْيِينِ﴾ (٦).

٢ - المبالغة في التصوير:

أ - كقوله تعالى في تقريب التصور ليثبت في أذهان الإنسان: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكُنْتُ رَبِّي لَفِئْدَ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩) ﴿٧﴾.

وقوله في الفكرة نفسها: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) ﴿٨﴾.

ب - وكقوله تعالى ينفي دخول الكفار الجنة مطلقاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُلَاحَظَ فِي

(١) سورة الشمس، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ١.

(٣) سورة النازعات، الآيات: ١ - ٥.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ١ - ٣.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

(٦) سورة الصافات، الآية: ٥٦.

(٧) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٨) سورة لقمان، الآية: ٢٧.

سَرَ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٥﴾ (١).

وهل يدخل الجمل بحجمه الضخم في ثقب الإبرة؟! هذا مستحيل.. وكقوله سبحانه ينفي نجاتهم من العذاب يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا مَعَكُمْ لَيَفْتَدُوا بِهٖ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ (٣٦) (٢).

وهذا مستحيل أيضاً فليس المقصود من الآية إلا الذهب، فهل يملك الإنسان بحجم الكرة ذهباً؟! وقل أي شيء مهما كان رخيصاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُمْسَكَ مِنْ أَجْدِهِمْ وَلِلَّهِ الْأَرْضُ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهٖ أَوَّلَتِكَ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٩١) (٣) نعوذ بالله من مصيرهم.

٣ - تعزيز الموقف بالإحالة إلى طرف ثالث: قال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (٩٤) (٤).

ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أول المؤمنين بما أنزله الله عليه لا يسأل أحداً إلا الله، لكن هذه الآية نزلت على الفَرَضِ والتمثيل، وقال العلماء: الخطاب للنبي والمراد غيره. وذلك لدفع الشك عن قصص القرآن.

وقال تعالى: ﴿وَنَسَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ (٤٥) (٥).

وقد قال النبي ﷺ: والله لا أسأل... صدق الله، وكذب اليهود.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

وكقوله سبحانه وتعالى على لسان أبناء يعقوب عليه السلام، يؤكدون أقوالهم وينزعون الشك من نفس أبيهم ويدللون على صدقهم.

﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (١).

٤ - أسلوب الحصر: كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَنْتَ إِلَّا تَحْزُونُ﴾ (٢)، وقوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ (٣).

وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ﴾ (٤).

ففي هذه الأمثلة جاء التأكيد بالنفي والاستثناء، نفى كل صفة إلا واحدة، وكل عمل إلا واحداً.

٥ - أسلوب القصر: وقد يكون:

أ - باستعمال إنما:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُثَلَّكُمُ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ (٥).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٦).

ففي الآية الأولى أثبت بشرية رسول الله ﷺ كسائر الناس إلا أنه يوحى إليه، ولا يوحى إليهم، فهو بذلك رسول الله إليهم.

وفي الآية الثانية سألوه عن موعد الساعة، فقصر العلم بها على الله سبحانه وتعالى، وقصر على نفسه الرسالة.

ب - بتقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٣) سورة يس، الآية: ٥٣.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٥) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٦) سورة تبارك، الآية: ٢٦.

اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾، وقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ﴾ ﴿٥﴾ ﴿٢﴾.

ففي الآية الأولى أكد أن التوكل لا يكون إلا على الله، وفي الآية
الثانية قصر العبودية على الله والاستعانة عليه.

٦ - التكرار: سمة ظاهرة في القرآن، كما بينا ذلك حين أفردنا له
عنواناً خاصاً بل التكرار من أبرز الأساليب في القرآن، من أمثلته قوله
تعالى:

﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴿٣﴾.

﴿سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿١١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴿٤﴾.

﴿سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٦﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴿٥﴾.

﴿سَلِّمْ عَلَى إِلْيَاسَ بْنِ﴾ ﴿١٢٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٦﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴿٦﴾.

ثم أكد القرآن الكريم في هذه السورة «الصفات» أنهم مرسلون فقال:
﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿٧﴾.

ومن أمثلة التكرار قوله تعالى: ﴿فَأَنْبِئْ سَبِيحًا﴾ ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ... ﴿٨٦﴾ ثُمَّ
أَنْبِئْ سَبِيحًا ﴿٨٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ... ﴿٨٧﴾ في قصة ذي القرنين...

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) سورة الصفات، الآيات: ٧٩ - ٨١.

(٤) سورة الصفات، الآيات: ١٠٩ - ١١١.

(٥) سورة الصفات، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

(٦) سورة الصفات، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

(٧) سورة الصفات، الآية: ١٨١.

وسنأتي بأمثلة كثيرة إن شاء الله في باب التكرار.

٧ - التأكيد بالحروف: وحروف التوكيد عديدة منها: إن، أن، لام التوكيد، قد، نون التوكيد.

فمن الأمثلة قوله تعالى [إن واللام]: ﴿وَإِنَّ لَذِكْرَ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾^(١) ومن أمثلة التوكيد [بـاللام ونون التوكيد] قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُشَلِّنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾^(٢).

ومن أمثلة التوكيد [بقـد] قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾^(٣) ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴿٤﴾﴾.

٨ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾^(٥) ما أشد التأكيد في هذه الآية وما أسعد المسلمين به؟! إن فيها أحد عشر توكيداً على حفظ هذا الدين العظيم ومن الذي يحفظه؟ إنه الله تعالى وأعظم به حافظاً.

أ - الأول والثاني إنا (إن ونا ضمير العظمة).

ب - الثالث: نحن (ضمير العظمة).

ج - الرابع والخامس: نزلنا (تضعيف الفعل ونا ضمير العظمة).

د - السادس: الذكر (ال العهدية).

هـ - السابع والثامن: إنا (إن ونا ضمير العظمة).

و - التاسع: له (تقديم ما حقه التأخير).

ز - العاشر والحادي عشر: لحافظون (لام التوكيد ثم واو العظمة).

وطرق التوكيد كثيرة يلحظها المتفحص للآيات المتابع لها.

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤٨ - ٥١.

(٢) سورة التكاثر، الآية: ٨.

(٣) سورة الأعلى، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١٨.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

التكرار

ظاهرة تربوية وأسلوب تعليمي أصيلان.. يدخل إلى النفوس والقلوب من أبواب متعددة، تفتحها بطرق مختلفة قوية حيناً، وبسيطة حيناً، مخيفة تارة ومحبة تارة أخرى.

والتكرار في القرآن الكريم لم يكن زيادة لفظية دون معنى، كما في الكتب البشرية التي بين أيدينا، إنما جاء ليحقق أهدافاً معنوية، وأهدافاً نفسية، وأهدافاً فكرية كذلك.

أ - وقد يكون التكرار في تعبير ذي جمل متعددة.

ب - وقد يكون في جملة بعينها خبرية أو إنشائية.

ج - وقد يكون كلمة أو حرفاً أو فعلاً.

وقد ألمحنا إلى هذا في أسلوب التنبيه والتأكيد.

أما هنا فإننا نقف على الأغراض البلاغية التي أفادها التكرار.

من هذه الأغراض التي قادني إليها جهدي المتواضع:

١ - التعظيم والتفخيم وكمال القدرة:

كقوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ

أ - تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ

ب - وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ

ج - وَهَزُّ مَنْ نَشَأَ

د - وَتَذِلُّ مَنْ نَشَأَ

يَبْدَكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ نَشَأَ بِعِزِّ حِسَابِ ﴿٢٧﴾^(١) فالمشيئة لله تعالى والملك بيده، والليل والنهار من عمل يده.

ومثال ذلك تكرار كلمة «ومن آياته» في ست آيات في سورة الروم^(٢)، تدلُّ على عظمته وقدرته في مخلوقاته وعجيب صنعه.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ فذكر ليلة القدر ثلاث مرات تفخيم لأمريها وتعظيم لشأنها.

ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾^(٤) فالقسم بالطارق، وهو النجم الثاقب من آيات الله الفخمة، الباهرة، الدالة على عظم خالقها وقدرته. «فكرر الطارق مرتين».

٢ - التهويل والتخويف:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْخُسْفَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُسْفَةُ ﴿٥﴾﴾^(٥) «كرر كلمة الخسفة مرتين» فما بعدها يؤكد شدة وطأتها على أعداء الله ومكوئهم فيها وعذابهم، وإغلاق أبوابها عليهم ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْفُودَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾﴾ في عَذَابٍ

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) انظر: الآيات: ٢٠ - ٢٥.

(٣) سورة القدر، الآيات: ١ - ٣.

(٤) سورة الطارق، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة الهمزة، الآيتان: ٤، ٥.

مُتَدَدِيم ﴿٩﴾ (١).

ومثاله قول الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ (٢) والقارعة: يوم القيامة شديد الأهوال.

بل إن سورة الحاقة تخوفنا من القارعة نفسها: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ (٣) والحاقة: ساعة الهول يوم القارعة.

وكقوله تعالى يذكر يوم الفصل مرتين: ﴿...يَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ (٤) فهو يوم رهيب مخيف يعجز اللسان عن وصفه.

٣ - الترغيب والترهيب:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِيُؤْمِنُوا لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ عشر مرات في سورة المرسلات يهدد المعاندين المستكبرين، ويرغب في الإيمان بالله تعالى، والعمل لمرضاته سبحانه وتعالى.

ومثاله قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾ ففي قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾﴾ تهديد وتخويف، وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾﴾ ترغيب في الإيمان، والذكر، فقد كررت هذه الآيات مرات عديدة (٥).

(١) سورة الهمزة، الآيات: ٦ - ٩.

(٢) سورة القارعة، الآيات: ١ - ٣.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ١ - ٤.

(٤) سورة المرسلات، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٥) سورة القمر، الآيات: (١٦ - ١٧)، (٢١ - ٢٢)، (٣٠) (٣٢) (٣٧) (فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) (٤٠).

٤ - التوبيخ والتشنيع:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَحْيِيهِمْ بِحَقِّهِمْ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١)، فتكرار فعل يقتلون تشنيع للأمر فهو فظيع يدل على الهمجية والاستكبار وكذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَّابٌ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ (٢) في سورة الأنفال كررها مرتين توبيخاً لهم وتشنيعاً على كفرهم وفسادهم.

وكذلك نجد في الآية الكريمة التالية: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونَهُ لِيَسْتَأْذِنُوا مِنْهُمْ لِيَتَخَفُوا مِنْ آلِ كَثِبٍ وَمَا هُوَ مِنَ آلِ كَثِبٍ...﴾ (٣) تكرير كلمة الكتاب لاستهجان ما فعلوه من تحريف لكتاب الله سبحانه وبهتان عليه.

وكذلك نجد الاستنكار الشديد أربع مرات متتالية في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُنَا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَصِيرَةٌ﴾ في سورة النمل، يطرق الله سمعهم وأبصارهم وأفكارهم في جميل صنعه، وفائق قدرته، وبديع خلقه (٤).

٥ - التفصيل بعد الإجمال:

فحين يعاقب الله تعالى الكفار، يوضح لنا أن طرق عقابه إياهم كانت متعددة، فهو القادر على كل شيء ويبدأ بكل نوع بكلمة «فمنهم من».

قال تعالى:

﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾

أ - فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

(٤) انظر: سورة النمل، الآيات: ٦٠ - ٦٤.

ب - وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

ج - وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

د - وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا

وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ

وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ (١).

وفي سورة الجن نجد «أَنْ وَأَنَّمَا» ذكرنا في بداية الآيات ست عشرة مرة، وتعددت «قل إني»، «قل إنمّا»، وكذلك ترددت منها أربع مرات في تقسيم الناس إلى صالحين وغيرهم، ومسلمين وقاسطين.

٦ - التأكيد والتنبيه إلى خطر عظيم وأمر مهم:

ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥) (٢) كررت «أَلَا إِنَّ» مرتين للتأكيد على هيمنة الله تعالى على السموات والأرض، وتصرفه التام بكل ما فيهما.

ومثاله كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ﴾ (٢٤) (٣) فتكرار «لقد علمنا» تأكيد على واسع علمه وشموليته.

وقوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ (٤) فتكرار «إني لكم منه نذير مبين» تنبيه إلى خطر العاقبة وسوء المصير.

٧ - التنويع في المعنى والاختلاف في القصد:

فمثاله قول الله تعالى: ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ٥٠، ٥١.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَمْ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٢﴾.

ففي الآية الأولى منهما يخاطب الكفار، وفي الآية الثانية يخاطب المسلمين ويحثهم على الإنفاق في سبيل الله.

ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الكهف، مرة «فأتبع سبباً»، ومرتين «ثم أتبع سبباً» في قصة الرجل الصالح الذي عاش مئتي سنة. ففي المرة الأولى سلك طريق المغرب، وفي الثانية سلك طريق المشرق، وفي الثالثة سلك طريقاً متوسطاً بينهما. فتنوعت الأسباب وتكررت الألفاظ تبعاً لذلك.

وانظر إلى اختلاف القصد في اسم الإشارة «هذا» في الآيات التالية من سورة (ص) ﴿٣﴾:

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ﴿٤٩﴾ هذا الذي قصصناه عليك يا رسول الله.

﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥٣﴾ هذا جزاؤكم الذي وعدتم به في الدنيا.

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَمْ يَنْفَادِ﴾ ﴿٥٤﴾ هذا النعيم عطاؤنا لأهل الجنة لا ينفد.

﴿هَذَا وَارِثُ الْطَّافِينَ لِشَرِّ مَآبٍ﴾ ﴿٥٥﴾ هذا بمعنى أما بعد، انتهى الحديث بها عن أهل الجنة.

﴿هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ ﴿٥٧﴾ هذا هو العذاب فليذوقوه.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ﴾ هذا جمع كثيف اقتحم النار لا مرجحاً به.

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٦.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٣) سورة ص، الآيات: (٤٩)، (٥٣)، (٥٤)، (٥٥)، (٥٧)، (٥٩).

فأنت ترى أن هذا التكرار جاء لمعنى يراد به أن يثبت في الذهن، ويدخل القلب، وتتمثله الأفكار ليعرف الإنسان من أي صنف يريد أن يكون.

ونجد في قوله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٧٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٧٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٨٠﴾﴾ (١) أن قَدَّرَ الأولى للإخبار، وقَدَّرَ الثانية مع الكلمتين اللتين سبقتاها تهكم بالاستفهام، وقَدَّرَ الثالثة معهما أيضاً للذم والتقييح.

٨ - التحيّة والثناء والتعليل:

وأكمل مثال يعبر عن هذه الأمور الثلاثة متتابعة ما وجدناه مكرراً في سورة الصافات في قوله تعالى:

﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ (٢)

سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ (٣)

سَلِّمْ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ (٤)

سَلِّمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ (٥)

ويؤكد ذلك المعنى في ختام السورة نفسها: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ (٦) فهو سبحانه يحييهم ويصفهم بالإحسان مادحاً إياهم، ويعلل السلام والمدح بأنهم من عباده المؤمنين.

(١) سورة المدثر، الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٧٩ - ٨١.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٠٩ - ١١١.

(٤) سورة الصافات، الآيات: ١٢٠ - ١٢٢.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١٣٠ - ١٣٢.

(٦) سورة الصافات، الآيتان: ١٨١، ١٨٢.

٩ - للتنبيه إلى كثرة نعم الله ووجوب شكرها:

مثاله في قوله تعالى: ﴿قَائِي ٱلْآءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٣) ﴿١﴾.

فالمخاطب في هذه الآية الثقلان: الجن والإنس. والله تعالى ينبههما إلى عظيم فضله، وجزيل خيره الذي يزيد بالشكر.

١٠ - تلخيص فكرة سابقة أو مشهد سابق:

فيكون التكرار هنا ختاماً لتلك الفقرة وتمهيداً لفقرة تالية.

هذا ما نراه في سورة الشعراء بعد قصص موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (١٨) ﴿٢﴾.

أ - ففي نهاية كل قوم معاندين مأساة... فهل من معتبر.

ب - وتأکید على أن أكثر الناس - على مرّ الأيام - لا يؤمنون بالله، إنما هواهم إلههم... ومن أضل ممن اتبع هواه؟.

ج - وأن أخذه - سبحانه - للعصاة المجرمين أخذٌ عزيز، فإن فاءوا إليه سبحانه فهو الرحيم بهم، الودود لهم.

١١ - تقرير معنى في النفوس وتمكينه في القلوب:

ومثاله قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥) ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٦) ﴿٣﴾.

فليس للمؤمن أن يئس، فما بعد العسر إلا اليسر، ولن يغلب عسر يسرين.

١٢ - كلا:

دقات قوية تهز الوجدان، وتنبيه الغافلين، وتزلزل المتكبرين، وتزجر

(١) سورة الرحمن: ذكرت إحدى وثلاثين مرة للتعجب من إنكار الثقلين فضل الله تعالى؟.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: (٦٧ - ٦٨)، (١٠٣ - ١٠٤)، (١٢١ - ١٢٢)، (١٣٩ - ١٤٠)، (١٥٨ - ١٥٩)، (١٧٤ - ١٧٥)، (١٩٠ - ١٩١).

(٣) سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

المعاندين... ثم هي ترفع معنويات المؤمنين وتبشرهم بالجنة والنعيم والفوز الكبير.

ففي سورة المطففين:

- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ (٧) تهديد ووعد.
 ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) توبيخ وهزم.
 ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥) طرد وإبعاد.
 ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ (١٨) مدح وبشرى.
 وفي سورة المدثر: ﴿كَلَّا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَأَشْنَاءَ عَنِيدًا﴾ (١٦) ذم وتهديد.
 ﴿كَلَّا وَالْقَبْرِ﴾ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ (٣٣) تأكيد ووعد.
 ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٥٣) ذم واحتقار.

وفي سورة النبأ:

- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٤) تُؤْ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (٥) تأكيد وتثبيت ووعد.

وفي سورة التكاثر:

- ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ (٦) تهديد ووعد.

-
- (١) سورة المطففين، الآية: ٧.
 (٢) سورة المطففين، الآية: ١٤.
 (٣) سورة المطففين، الآية: ١٥.
 (٤) سورة المطففين، الآية: ١٨.
 (٥) سورة المدثر، الآية: ١٦.
 (٦) سورة المدثر، الآيتان: ٣٢، ٣٣.
 (٧) سورة المدثر، الآية: ٥٣.
 (٨) سورة النبأ، الآيتان: ٤، ٥.
 (٩) سورة التكاثر، الآيات: ٣ - ٦.

التفصيل

أهناك فائدة من الحديث إن كان مبهماً، أو ملخصاً لا يفي بالغرض؟ وهل ينقذ الأمر إن لم يكن واضحاً مفهوماً؟ وإن نقذ دون توضيح وتفصيل أ يصل إلى الغاية المنشودة والهدف المقصود؟.

كلما كان الأمر واضحاً مفصلاً، دقيقاً منظماً، كان التعامل معه مريحاً بيناً. ومثاله في القرآن الكريم كثير كثير، بل إن القرآن الكريم يقوم عليه ويدعو إليه فهو يقول: ﴿وَكُلْ شَيْءٌ وَفَضْلُهُ تَفْصِيلاً﴾^(١)، ﴿كَذَلِكَ تَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢)، ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٣).

وهذا يدعونا إلى السير على هداة لنبلغه للناس كما يريد ربنا سبحانه. فمن هذه الأمثلة قوله تعالى في آية الدين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

١ - إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ

٢ - وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ

٣ - وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا بَيَّحْسَ مِنْهُ شَيْئاً

٤ - فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِ هُوَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٨.

فَلْيَسِّرْ وَلْيُسِّرْ بِالْمَدَلِّ

٥ - وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَفْضَلَ إِحْدَهُمَا فَنُذَكِّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا

٦ - وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا

٧ - إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا

٨ - وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ

٩ - وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

١٠ - وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَيْنِ مَقْبُوضَةً

١١ - فَإِنْ أَمِنْ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ

١٢ - وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴿١﴾

أرأيت إلى هذا التفصيل الذي لم يترك شاردة ولا واردة؟، هكذا يكون التعامل شاملاً، دقيقاً، واضحاً لا لبس فيه ولا ثغرة فتحفظ الحقوق وترتاح النفوس ويسلم الدين.

- ومثاله كذلك هذا الشمول في تفصيل الشهوات، والإشارة إليها:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ

أ - مِنَ النِّسَاءِ

ب - وَالْبَنِينَ

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٨٢، ٢٨٣.

ج - وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

د - وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ

هـ - وَالْأَنْعَامِ

و - وَالْعَرَبِ ﴿١﴾ .

- ومثاله قول الله سبحانه في وصف المنافقين المفسدين، وفضحهم
الساخر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١ - لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ

٢ - لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا

٣ - قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ

٤ - قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾

٥ - هَتَأْتُمْ أَزْوَاجَهُمْ خِيْبَةً وَلَا يُجِيبُونَكُمْ

٦ - وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ
مِنْ الْفِتْيَةِ قُلْ مَوْتُوا يَغْلِبْكُمْ إِنْ أَلَّهِ عَلَيْهِمْ بَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

٧ - إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا

٨ - وَإِنْ تَصِيرُوا تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ أَلَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴿٢﴾ .

- ومثاله في التعامل مع اليتامى وأموالهم، والسفهاء، والتعامل مع
النساء قوله تعالى:

١ - ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

٢ - وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْأَسْفَى بِالطَّبِئِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١١٨ - ١٢٠.

- ٣ - وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾
- ٤ - وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاَلْبِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثًى وَلَكُمْ وَرِثٌ
- ٥ - فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا لَمِيزُوا فَوَاحِشٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾
- ٦ - وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتَيْنَّ نَحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾
- ٧ - وَلَا تُوَلُّوا أَسْهُمَاءَهُنَّ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوبًا ﴿٥﴾
- ٨ - وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا
- ٩ - وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴿١﴾

- ومن الأمثلة الدقيقة الشاملة المفصلة في سورة النساء:

- ١ - آيات الموارث من الآية السابعة وحتى الآية الرابعة عشرة.
- ٢ - آيات التوبة [١٦ - ١٨] في أن المشركين لا يعمرّون مساجد الله، إنما المؤمنون فقط مع ذكر سمات المؤمنين.
- ٣ - أصناف النساء المحرّمات الآيات [٢٣ - ٢٤].
- ٤ - صنفا المنافقين الآيات [٨٨ - ٩١].

ومن الأمثلة في السورة نفسها قوله تعالى في القتل الخطأ:

- ١ - ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً
- ٢ - وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً
- أ - فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا
- ب - فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ

(١) سورة النساء، الآيات: ١ - ٦.

ج - وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدَيْتُمْ مُسْلِمَهُ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحَرَّرَ رَقَبَتُهُ مُؤْمِنَةٌ

٣ - فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

٤ - وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ (١)

- ومثاله كذلك قوله سبحانه يبين فضله وكرمه، ويوضح سمات دينه العظيم، وألوهيته، وربوبيته:

١ - ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾

٢ - وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٥﴾

٣ - قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٦﴾

٤ - قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَاسْتَسَمَيْتُ وَمَكَافَى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٧﴾

٥ - لَا شَرِيكَ لَمْ يَذَلِكْ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٨﴾ (٢)

- ومن الأمثلة توضيح ما حرّمه الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ

١ - الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

٢ - وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بَعِيرَ الْحَقِّ

٣ - وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلْ بِهِ سُلْطَانًا

٤ - وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ (٣)

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٦٠ - ١٦٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

- ومن أمثلة التفصيل قوله تعالى يصف رسوله الكريم ﷺ:
﴿...وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَآكُتُهَا

۱ - لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

۲ - وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

۳ - الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

أ - يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ

ب - وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ

ج - وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

د - وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ

هـ - وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ

۴ - فَالَّذِينَ

أ - ءَامَنُوا بِهِ

ب - وَعَزَّوْهُ

ج - وَنَصَّوْهُ

د - وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴿١﴾

- وانظر إلى صفات المؤمنين وجزائهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ

۱ - إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦، ١٥٧.

٢ - وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

٣ - وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

٤ - الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

٥ - وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

١ - دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

٢ - وَمَغْفِرَةٌ

٣ - وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ (١).

- وتعرّف إلى عوامل النصر التي فرضها الله، هل هي محققة فينا جميعها أو بعضها، أو هي بعيدة عنا بعد السماء عن الأرض؟.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

١ - فَأَقْبِتُوا

٢ - وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

٣ - وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

٤ - وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ

٥ - وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦﴾

٦ - وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٧﴾ (٢).

- وتابع تصوير المنافقين في سورة التوبة، بدءاً من الآية الثامنة والثلاثين إلى آخر السورة، لتكتشف فساد عقيدتهم، وسوء تصرفهم،

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

وكرههم للمسلمين، وحبهم للمشركين، وأثرهم الهدام في المجتمع الإسلامي، وضعة نفوسهم بشكل مفصل واضح شامل دقيق..

- وكذلك نجد التفصيل في سورة الكهف حين قتل الرجل الصالح الغلام، وخرق السفينة، وأقام الجدار، وعلل بعد ذلك ما فعله مفضلاً، شارحاً، معتذراً عن متابعة صحبته لموسى عليه السلام.

- وفي سورة الحج لم يقل الله تعالى للرسول الكريم: إن تكن قد كُذِّبْتَ فقد كُذِّبَ الأنبياء قبلك بل فصل القرآن قائلاً: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمٌ إِزْرِهِمْ وَقَوْمٌ لُوطٌ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾^(١) فذكر عدد من الأنبياء.

- ومن الأمثلة على التفصيل وصف المؤمنين في سورة (المؤمنون)، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

١ - الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

٢ - وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

٣ - وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾

٤ - وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى

أَنفُسِهِمْ

ب - أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

فَمَنْ أَبْغَىٰ ذِرَّاءَ ذَلِكِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَادُونَ ﴿٧﴾

٥ - وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾

٦ - وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

٧ - أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾^(٢).

(١) سورة الحج، الآيات: ٤٢ - ٤٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١ - ١١.

- وتعال معي كذلك نقف على صورة من صور المنافقين البائسين...
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ

- ١ - لَيْنَ أُخْرِجْتُمْ لَخُرُوجٍ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
 - ٢ - وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾
 - ٣ - لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ
 - ٤ - وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
 - ٥ - وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّوهُمْ ﴿١٢﴾
 - ٦ - لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١﴾
- وحين يوبخ الله تعالى المطففين يوضح السبب فيقول: ﴿وَيُلِّمُ
لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ (٢)

- نَقَضَ الْيَهُودُ الْمِيثَاقَ، وظلموا وكفروا وكذبوا... فكان عذابهم أليماً
قال تعالى:

- ١ - ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى
أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ
- ٢ - ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُسَدِّقُونَ
سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾
- ٣ - وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِبَشَائِرِهِمْ
- ٤ - وَكَلَّمْنَا لَهُمْ أَدْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدًا

(١) سورة الحشر، الآيات: ١١ - ١٣.

(٢) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٦.

٥ - وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَمْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٥﴾

٦ - فِيمَا

أ - نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ

ب - وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ

ج - وَقَوْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيٌ حَقٌّ

د - وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾

هـ - وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

و - وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ... وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٨﴾

ز - فَيُظَاهَرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبَعَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ

ح - وَبَصَدَتْهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٥٩﴾

ط - وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ

ي - وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ... ﴿١٦٠﴾ (١)

- إن عودة إلى القرآن الكريم بنهاية ويقظة توقفك على تفاصيل تدل على عظمة قائله سبحانه وتعالى وعز من قائل.

وأن على الإنسان أن يفضل ويوضح ويزيل اللبس والغموض.



(١) انظر: سورة النساء، الآيات: ١٥٣ - ١٦١.

الاستقصاء

استقصى فلان المسألة: بلغ الغاية في البحث عنها.

وأقصد كذلك بالاستقصاء: ذكر الاحتمالات وما قد يخطر على البال منها، وإيرادها لمعرفة أولاً، وللرد عليها، أو إلقاء الضوء عليها ثانياً. وعلى هذا فالاستقصاء غير التفصيل^(١) وإن كان يلتقي معه في سد الثغرات والإحاطة بالمسألة (الأمر)، وبينهما خيط دقيق، يتوضح إن شاء الله من سرد الأمثلة المناسبة.

- قال الله سبحانه وتعالى مستقصياً ما يجري حين تقوم الساعة، فيعرف الإنسان حينئذ ما قدم من خير أو شر كانا غائبين عن فكره وعينه:

- ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ②
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④
وَإِذَا الْخُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ⑦ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ⑧ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ⑨
وَإِذَا الصُّفُوفُ نُشِرَتْ ⑩ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑪
وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ⑫ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ⑬ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ ⑭﴾ (٢)

(١) راجع أسلوب التفصيل.

(٢) سورة التكوين، الآيات: ١ - ١٤.

فهلاً فُكِّرَ الإنسان وتدبَّر وعمل لذلك اليوم، فقدم على ربه كما يقدم
الضيف الكريم، راجياً كريم المثوى، وسعادة المأوى.

- وانظر إلى الاستقصاء الدقيق الذي لم يترك شاردة ولا واردة، في
الدفاع عن سيّد المرسلين، ونفي التهم الباطلة التي أرادها له الكافرون،
المبطلون، ودحض افتراءاتهم في القول على الله ورسوله، قال تعالى:

﴿فَذَكِّرْ مَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩) **أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرِئُسُ بِهِ**
رَبُّنَا الْمُنُونُ ﴿٣٠﴾ **قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِبِينَ** ﴿٣١﴾

أَمْ نَأْمُرُهُمْ بِالْعَدْلِ هَذَا؟

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾؟

أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؟

أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾

أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ؟

أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾؟

أَمْ لَهُمْ سُلٌ يَسْمَعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعْمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾؟

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾؟

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾؟

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾

أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ . . . ﴿١﴾

أرايت معي إلى «أم» المعادلة، هذه التي تكررت تستقصي ما قد

(١) انظر: سورة الطور، الآيات: ٢٩ - ٤٣.

يجول في نفوس المشركين من كذب وادعاء، فتسخر منهم وتردُّ بهتانهم، وتفضح أسرارهم.. هل تركت شاردة أو واردة من احتمالات إلا أوردتها؟...

- والقرآن جاء واضحاً النقاط على الحروف، موضحاً للمؤمنين ما يجب أن يفعلوه، منبهاً إلى تكذيب الكفار واستكبارهم، لكن عاقبتهم خزي وندامة، لأنهم سيعرفون - في وقت لا تنفع فيه المعرفة - أن كل ما جاء به حق لا تشوبه شائبة.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ٤٨﴾

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مَّكَذِبِينَ ٤٩

وَإِنَّهُ لَحَرَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٠

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١ ﴿١﴾

- والقرآن حين ذكر السابقين إلى الخيرات استقصاهم عدداً ومكانةً وهيئةً وتكريماً فقال:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ١٥﴾ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ ١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ١٧﴾

ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ١٣﴾ وَقَبْلُ مِّنَ الْآخِرِينَ ١٤﴾

عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مَُّخْلَدُونَ ١٧﴾

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ١٩﴾

وَفَلَاحَةٌ مِّمَّا يَتَخَفَزُونَ ٢٠﴾ وَلِمْ يَطْرِبِ رِمْمَا يَشْتَوُونَ ٢١﴾

وَحُورٌ عِينٌ ٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الذُّلُولِ الْمَكُونِ ٢٣﴾ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤﴾

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءً وَلَا نَهَيْماً ٢٥﴾ إِلَّا قِيلَا سَلَامًا سَلَامًا ٢٦﴾ ﴿٢﴾

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٤٨ - ٥١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ - ٢٦.

واستقصى أصحاب اليمين كذلك، هيئة ومكانة وتكريماً، فقال:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧)﴾

فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١)

وَفَلَاحَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُشٍّ مَّرْقُوعَةٍ (٣٤)

إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً (٣٥) جَعَلْنَهُمْ أَجْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧)

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠) ﴿١﴾

- والإنسان بطبعه ناقص ضعيف، يظهر نقصه وضعفه في شدة حرصه، وواسع طمعه، يخاف خوفاً شديداً إن مسه الشر، يمنع رفده إن اغتنى وكثر ماله. ولكن هذا لا ينطبق على المؤمن الذي استقصى الله تعالى صفاته فقال فيه:

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣)﴾

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ (٢٥)

وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمٍ الَّذِينَ (٢٦)

وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَجِيمٍ مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَجِيمٍ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْزُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنْ أَبْغَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١)

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ (٣٢)

وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣)

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤)

أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٢﴾ (٣٥)

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ - ٤٠.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ٢٢ - ٣٥.

فما مكاننا من هؤلاء الذين مدحهم الله تعالى؟ وأين أعمالنا من أعمالهم؟
فإن قارنّا حالنا بحالهم فوجدنا خيراً فلنحمد الله، وإلا فلا نلومن إلا أنفسنا.

- وتأمل معي هذه:

[أ] الاحتمالات في قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ
أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ ﴿٤٦﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَفْتَةٍ أَوْ جَهْرَةٍ هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾^(١)

ثم تأمل:

[ب] النفي المتبوع بأسلوب الاستثناء المؤكد والنفي بالاستفهام
والدعوة للتفكير ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ ،
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ،
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾^(٢)

ثم تأمل معي:

[ج] الإصرار على عبادة الله وحده، والتبرؤ من الكافرين، والإصرار
على متابعة الحق، وما على الرسول إلا البلاغ.

قل: ﴿إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

قل: لَا أَلْبِسُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٦، ٤٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.

قل: إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ إِلَّا إِلَهُ يَفْعُلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ ﴿٥٧﴾

قل: لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ (١).

واسناد كل شيء إلى الله ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ﴾

وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّوْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا

وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ

وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ (٢).

تجدد دقة في عرض الاحتمالات والإجابات والمناقشات والإقرار بربوبية الله وحده.. أليس هذا استقصاء رائعاً للأفكار، وشفاء للنفس الطيبة في الاستقرار إلى كنف الله سبحانه وتعالى!!؟

- والمشركون لا يفتأون يعاجزون ويعاندون ويستكبرون عن الإيمان بالله، ذلك الإيمان النقي من كل شائبة وضلال فهم، يريدون معجزات كثيرة، ليفكروا بعد ذلك أيؤمنون أم لا؟! وفي الآيات التالية فضح لموقفهم المتعنت ﴿وَقَالُوا

١ - لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾

٢ - أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾

٣ - أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زُصَّطَ عَلَيْنَا كِسْفًا

٤ - أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَيَلَا ﴿٩٢﴾

٥ - أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ

(١) انظر: سورة الأنعام، الآيات: ٥٦ - ٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

٦ - أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ وَلَكِنْ تُؤْمِنُ لِرُفَيْكَ حَتَّى نُنْزِلَ عَلَيْكَ كِتَابًا نَقْرُؤُهُ
قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ (١).

فاستقصى القرآن ستاً من أحاييل المشركين ثم دحض افتراءاتهم كلها حين أمر رسوله الكريم أن يعلن رسالته وبشريته فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها.

- ثم انظر إلى أنواع العذاب الذي أصاب الله به من كفر ﴿وَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾

١ - فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

٢ - وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ

٣ - وَمِنْهُمْ مَن حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ

٤ - وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا

وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩٤﴾ (٢).

- ولما جاءت وافدة النساء إلى الرسول ﷺ تسأله حق النساء وواجهن نزل القرآن يجعلهن والرجال في الطاعات والعبادات والمسؤوليات سواء بسواء، فقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُحْسِنَاتِ وَالْمُكْرِمِينَ وَالْمُكْرِمَاتِ وَالْمُزَكَّاتِ وَالْمُزَكَّاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقَاتِ وَالَّذِينَ إِذَا أَذْنَبُوا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُدْرَكُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَذْنَبُوا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُدْرَكُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَذْنَبُوا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُدْرَكُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَذْنَبُوا ظَنُّوا أَنَّهُمْ مُدْرَكُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ (٣).

فكانت هذه الصفات العشر للرجال والنساء مجتمعين.

- وأخيراً، اقرأ معي دعاء سيدنا نوح في سوره: ﴿رَبِّ

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٩٠ - ٩٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

أ - أَعْفِرْ لِي

ب - وَلَوْلَدَيَّ

ج - وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا

د - وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ... ﴿١﴾

فقد استفاد نوح عليه السلام لنفسه في هذا الدعاء ثلاث مرات:

١ - اغفر لي.

٢ - ولمن دخل بيتي مؤمناً فهو مؤمن.

٣ - وللمؤمنين وهو منهم.

واستفاد والداه ثلاث مرات كذلك:

١ - لوالدي.

٢ - ولمن دخل بيتي مؤمناً ووالداه مؤمنان.

٣ - وللمؤمنين فوالده منهم، والمؤمنات فأمه منهن.

استقصاء رائع... والأمثلة في القرآن كثيرة محكمة رائعة.



(١) سورة نوح، الآية: ٢٨.

الإيجاز بالحذف

لغتنا العربية - لغة القرآن - تمتاز بالبلاغة والبيان ولن تجد لغة تضاهيها فصاحة وجمالاً.. فالله سبحانه وتعالى وقأها حقها حينما أنزل القرآن الكريم بها ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(١) وحين وصفها: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾^(٢).

ومن عوامل بيانها وجمالها ذلك الإيجاز بالحذف، الدالُّ على الإيحاءات البلاغية التي تغطيكَ زخماً من المعاني الكثيرة بالجمال القليلة، فلا تحتاج إلى الإسهاب والإطناب في صياغة الفكرة والمعنى، وإن كانا من عوامل جمالها أيضاً.

والإيجاز بالحذف متعدد، فقد تُسقط كلمة، أو جملة، أو جُملاً دون الإخلال بالمعنى بل يزيد هذا الحذفُ المعنى وضوحاً.

ومن فوائد الإيجاز هذا:

- ١ - إيراد المعنى الواسع بلفظ قليل.
 - ٢ - التنسيق الموسيقي.
 - ٣ - التخلص من التكرار الممل.
 - ٤ - تعويد العقل على استجلاء المعنى، واستنباطه، والتمتع فيه.
- أ - ومن أمثلة حذف الكلمة أو الكلمتين، قوله تعالى:

(١) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ (١) فحذف كلمة صراط قبل «غير» للعلم به وكأنه يقول غير صراط المغضوب عليهم.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ (٢) وكأنه يقول: وقال اليهود كونوا هوداً تهتدوا. وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا.

أرأيت إلى هذا الإيجاز بالحذف الذي زاد المعنى روعة؟.

وقوله تعالى: ﴿سَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ (٣) أي يكفيك شرهم. وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (٤) والمحذوف فأفطر كأنه يقول: فمن كان مريضاً فأفطر أو على سفر فأفطر.. فهل ترى خللاً في المعنى أم قوة وحسن سبك؟.. ومثال ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ (٥).

والمعنى: هتك الشهر الحرام تُقابل بهتك الشهر الحرام فأنت تجزم أن الجملة في الآية الكريمة أكثر وضوحاً وأكثر متانة وإيحاءً.

وقوله سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ (٦) والمقصود: كان الناس أمةً واحدة على الإيمان متمسكين بالحق فاختلفوا فبعث الله... .

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (٧) فهم يسألونك عن شرب الخمر وتعاطي الميسر.

(١) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ﴾^(١) والمعنى: ليس علينا في أكل أموال الأُميين سبيل...

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢) والمعنى: تذكروا ثواب الله وعقابه..

وقوله سبحانه مخاطباً فرعون الغريق الذي قال وهو يلفظ أنفاسه: ﴿ءَاَمَنْتُ أَنَّمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٣) والمقصود: الآن تقرُّ بوحداية الله وقد عصيت...

والأمثلة على هذا كثير، وأنت ترى معي أن المعنى مفهوم من السياق وأن الحذف لم يضيعه بل زاده إشراقاً وترك الفكر يحدده ويلتذه.

ب - حذف كلمات عدة أو جملة.

مثاله قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٤) والمعنى: فانتظروا عاقبة البغي والتكذيب وإنا من المنتظرين هلاككم ودماركم..

وقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٥) والمعنى: ولهن من الحقوق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن من الحقوق.

ومثاله أيضاً قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٦) والمقصود: يسألونك عن الأنفال التي غنمتها في غزوة بدر لمن هي؟ قل...

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٠٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ١.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْحَكِيمِينَ﴾^(١) والمعنى: أن ابني من أهلي وأنت وعدتني بنجاتهم وإن وعدك الحق..

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾^(٢) والمعنى: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً وأوحينا إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ مَنَاسِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتَغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣) والمقصود: ومن آياته منامكم بالليل وقيلولة النهار وابتغؤكم في النهار من فضله.

وقوله سبحانه: ﴿... وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾^(٤) والمعنى: والذين آووا رسول الله والمهاجرين إليهم ونصروهم أولئك...

والأمثلة كثيرة جداً، إن عدت إليها في القرآن الكريم وجدت من الكنوز ما تقرُّ بها عينك.

ج - حذف جمل عدة.

كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَجِّنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥) ١٥ حذف هنا عدة جمل، والمعنى: وحين ألقوه في الجب، وأصابه الهم والحزن، وتملكه الخوف أوحينا إليه...

وقوله تعالى: ﴿... أَنَا أَنُنِثُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾^(٦) والمحذوف: فأرسلوني إلى السجن لآتيكم

(١) سورة هود، الآية: ٤٥.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٤.

(٥) سورة يوسف، الآية: ١٥.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

بالتأويل الصحيح، فأرسلوه، فدخل على يوسف وقال له: يوسف أيها الصديق.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبِّكَ فَتَشْأَلُهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...﴾^(١) والمقصود: وقال الملك: اتنوني به فانطلق الرسول إلى السجن ليخرجه منه ويحمله إلى الملك، فأبى أن يخرج إلا بريئاً فقال للرسول: ارجع إلى ربك فاسأله...

إنها معانٍ يستشفها القارئ من خلال السطور، فيعجب لوضوح المعنى دون أن يشعر أن هناك شيئاً محذوفاً.

وهذه الجمل المحذوفة ليست من أركان الجمل الأصلية، بل هي إطناب يمكن الاستغناء عنه وتبقى الجمل مكتملة المعنى.

د - حذف أصل من الجملة يفهم من السياق وقد يكون خبراً أو جواب شرط، وما شابه ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا...﴾^(٢) والمحذوف هنا جواب الشرط «لو» ولو أن قرأنا سيّرت به الجبال أو قطّعت به الأرض أو كلّم به الموتى (لكان هذا القرآن) بل لله الأمر جميعاً.

وكقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ...﴾^(٣) والمحذوف: الخبر (كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تنفع ولا تملك من الأمر شيئاً)...

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ...﴾^(٤) والمحذوف: أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً (كمن استقبّحه وتجنّبه واختار طريق الإيمان).

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٨.

وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) والمحذوف: (أعرضوا واستكبروا).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ (٢) والمحذوف: (هل تقدر على هدايته لا).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٣) والمحذوف: (كمن هو أعمى القلب معرض عن الإسلام؟).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِ يَوْجَهُهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (٤) والمحذوف: (كمن هو آمين من العذاب؟).

وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ (٥) والمحذوف: (سيجازون بكفرهم جزاء لا يوصف).

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (٦) والمحذوف: (هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء حتى زعمتم أنها آلهة!!؟).

والأمثلة على الإيجاز بالحذف إشراق في التعبير، يدلّ على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد سبحانه وتعالى.

كما أنه يحرك العقول فتقتنص فرائد المعنى، وتستمتع بجمال العبارة، وتذكرنا بالقاعدة الذهبية «خير الكلام ما قلّ ودلّ».



(١) سورة يس، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٢٤.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤١.

(٦) سورة النجم، الآيتان: ١٩، ٢٠.

المقارنة والاختيار

خلق الله سبحانه الإنسان، وكرّمه على بقية المخلوقات بما حباه من عقل يفكر به، فينقد ما يراه ويسمعه، ويصل إلى الاختيار الصحيح والقرار الصائب.

وفي القرآن الكريم عشرات الآيات، تضع بين يدي الإنسان طرقاً مختلفة، ونتائج كل منها ليختار ما يريد بعد المقارنة بينها ودراستها - على بينة وليتحمل نتائج هذا الاختيار، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ولعلنا في هذا العرض نقف على عوامل عدة لهذا الأسلوب منها:

١ - التنبيه إلى العمل الصحيح:

فقد ظنّ المشركون في مكة أنهم حين يسقون الحجيج ويضيفونهم ويخدمونهم فقد أذوا حق الله تعالى. فبينهم القرآن الكريم إلى خطأ هذا الاعتقاد وأن العمل الصحيح الذي يرضاه الله منهم الإيمان الحق به، وتوحيده، والإيمان باليوم الآخر، ونشر الدين بالجهاد في سبيل الله. وشتان بين قوم يعملون دون أساس العقيدة، وقوم وضعوا نصب أعينهم الإيمان بالله وحده ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟!!﴾

لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ (١).

(١) سورة التوبة، الآية: ١٩.

- ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر، فالكافر كالأعمى الماشي على غير هدى وبصيرة منكساً رأسه لا يرى طريقه، يخطئ خطئ عشواء يتعثر كل ساعة فيخر على وجهه.

والمؤمن سويّ صحيح البعد يمشي منتصب القامة، يرى طريقه ولا يتعثر في خطواته.

والكافر يحشر ماشياً على وجهه إلى دركات الجحيم.

والمؤمن يمشي إلى الجنة سويّاً على الصراط المستقيم ﴿أَفَن يَتَّبِعُوا مُكْبَرًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَتَّبِعُوا سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) ﴿١﴾ حقاً إن الإيمان نور وثقة يوصل إلى الهدف المنشود، ويرشد إلى الطريق السوي والسبيل الرشيد.

٢ - التحفيز إلى اختيار الكمال:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَلْكَاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ (٢٠)

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾.

فمن كانت الدنيا همه رغب أن تكون منحة في الدنيا خاصة، وليس له في الآخرة نصيب ومن طلب خيري الدنيا والآخرة - وهو المؤمن العاقل - فقد فاز بسعادة الدارين، وله حظ وافر مما عمل من الخيرات.

ومثلها قوله سبحانه وتعالى:

أ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ

ب - ثَمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا﴾ (٨)

(١) سورة الملك، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٠، ٢٠١.

ج - وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ

د - فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ (١)

فالذي يريد بعمله الدنيا فقط، ولها يسعى ويعمل ليس له هم سواها أعطياه ما نريد، لا ما يريد، وليس له في الآخرة سوى جهنم يدخلها حقيراً مطروداً من رحمة الله.

أما الذي يسعى إلى النعيم المقيم، وعمل له بما يليق من الطاعات، وهو مؤمن صادق الإيمان فقد جمع الخصال الحميدة من الإخلاص، والعمل الصالح، والإيمان فكان عند الله تعالى مقبولاً.

٣ - التحذير والترغيب:

تعال معي أيها الأخ الحبيب لتلقي نظرة على مشهد من مشاهد يوم القيامة، فترى المؤمنين يأخذون كتب أعمالهم بأيمانهم، فإذا هم من السعداء. وترى المجرمين يأخذون كتب أعمالهم بشمالهم فإذا هم من الأشقياء، واسمع ما يقوله المؤمن السعيد، وما يقوله الكافر الشقي واختر ما تراه مناسباً للإنسان العاقل:

أ - ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بَيِّنَةٍ فَقُولُ

- هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كَيْفَ ﴿١٩﴾

- إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءَ ﴿٢٠﴾

- فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضٍ ﴿٢١﴾

- فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾

- قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾

- كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِئَةِ ﴿٢٤﴾

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٨، ١٩.

ب - وَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كَيْبَهُ بِإِسْمَالِهِ فَيَقُولُ

- يَلْبِثُنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيَهٗ ﴿٢٥﴾

- وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَهٗ ﴿٢٦﴾

- يَلْبِثَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَهٗ ﴿٢٧﴾

- مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهٗ ﴿٢٨﴾

- هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ ﴿٢٩﴾

- خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ (١).

- وهذا مشهد آخر شبيه بما سبقه، فالأشقياء في جهنم مستقرون هناك لهم من شدة كربهم زفير وشهيق يترددان بشدة، أصواتهم في النار كصوت الحمار، أوله زفير وآخره شهيق، ماكثون فيها على الدوام.

أما السعداء ففي الجنة مستقرون فيها لا يخرجون منها أبداً تنهال عليهم الخيرات والعتاء دون انقطاع، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ﴿١٠٥﴾

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فَفِي الْجَنَّةِ

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُجْدُورُ ﴿١٠٨﴾ (٢).

٤ - تحديد العقوبة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ

(١) سورة الحاقة، الآيات: ١٩ - ٣١.

(٢) سورة هود، الآيات: ١٠٥ - ١٠٨.

حَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١٢﴾ ﴿١﴾ بل يا رب من يأتي آمناً يوم القيامة، ونعوذ بك أن نكون وقود النار.

- وانظر معي إلى المصير الرائع للسابقين إلى الإيمان، الراغبين رضا الرحمن.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ (٢)
 ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ (٣)

أما الكفار فانظر إلى نهايتهم المأساوية: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُوءٍ وَحِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّنْ يَّخْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ (٤)

وفي آخر هذه السورة «الواقعة» يجمال القرآن الكريم عاقبة أمر هذه الفئات الثلاثة:

أ - ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾
 ب - ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾
 ج - ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ ﴿٩٢﴾ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَزْلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَنْصِيلٌ فِي جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ (٥)

فمع مَنْ تريد أن تكون... يا أخي العزيز؟

٥ - تقسيم الناس:

- مرّ قبل قليل في سورة الواقعة أنّ الناس ثلاثة أقسام:

- (١) سورة الصافات، الآية: ٤٠.
- (٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ - ١٢.
- (٣) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ - ٣٣.
- (٤) سورة الواقعة، الآيات: ٤١ - ٤٤.
- (٥) سورة الواقعة، الآيات: ٨٨ - ٩٤.

السابقون: هم المقربون من الله في أرفع منازل الجنة.

أصحاب اليمين: أهل الجنة في مقام أقل من السابقين.

أصحاب الشمال: أهل النار المشركون والكفار والمنافقون.

- وفي سورة فاطر نجد تصنيفاً لأمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

أ - فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ،

ب - وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ

ج - وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ

ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾^(١).

الظالم لنفسه: العاصي من رجحت سيئاته على حسناته.

المقتصد: من استوت سيئاته وحسناته.

السابق: من رجحت حسناته على سيئاته.

- ولا شك أنك تريد أن تكون من السابقين.

- وفي سورة الجن نجد نوعين من الناس، قال تعالى:

أ - ﴿وَأَنَا وَمِنَّا الْمُسْلِمُونَ

ب - وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾^(٢)

أ - فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾

ب - وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾^(٣).

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٢) القاسطون: الكافرون الجائرون عن الحق.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ١٤، ١٥.

٦ - المشاكلة:

يقول سبحانه وتعالى في سورة النور مؤكداً أن الكلمة الخبيثة تخرج من النفس الخبيثة، وأن الكلمة الطيبة تخرج من النفس الطيبة، وأن الرجل الصالح يرزقه الله الزوجة الصالحة، وأن الخبيث منهم له الخبيثات منهم ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(١).

والله سبحانه وتعالى يجعل نساء النبي ﷺ أفضل النساء وأمهات المؤمنين لأنهن في كنف المصطفى عليه الصلاة والسلام أفضل الرجال، قال تعالى: ﴿يَنْسَاءُ النَّبِيِّ لَسَنُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقِينَ﴾^(٢).

٧ - حصر العلاقات:

فقد حدد الله سبحانه وتعالى التعامل بين الزوجين في قضية الطلاق، فقد كان للرجل أن يطلق ما شاء دون أن تبين زوجته منه، وهذا ظلم لها، فقال موضحاً: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾^(٣).
أما مصارف الزكاة فهي طرق لا يمكن تجاوزها وهي ثمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٤).

٨ - العطف إلى قدرة الله تعالى:

من قدرته سبحانه وتعالى أن جعل البحار متلاصقة، متجاورة بحيث لا يتمازجان على الرغم من تلاقيهما، فلكل بحر ماء تختلف خصائصه عن ماء

(١) سورة النور، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

البحر الآخر. وكذلك فهو يخرج المياه العذبة في المياه المالحة، فلا يغلب أحدها على الآخر ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٥٣) ﴿١﴾.

والله تعالى المالك لكل شيء لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

أ - يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ شَاءَ وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (٤٩)

ب - أَوْ يُرْجِيهِمْ ذُكْرَانًا وَلِأُنثَىٰ

ج - وَجَعَلَ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا

إِنَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ﴾ (٥٠) ﴿٢﴾.

وفي غزوة بدر أغرى المشركين بالمسلمين حين صوَّروهم أكلة جزور والجمال يكفي مئة نفر فقط، فكأنما استقل المشركون المسلمين فهاجموهم معتقدين سهولة القضاء عليهم.

وبالمقابل صور المشركين قلائل في أعين المسلمين كي لا يهابوا كثرتهم، فيصمدوا أمامهم ثم تنقلب الدائرة على المشركين قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُبَيِّكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤٤) ﴿٣﴾.

٩ - ضرب المثل:

كلمة الإيمان «لا إله إلا الله» كالشجرة الطيبة أصلها راسخ في الأرض، وأغصانها ممتدة نحو السماء، تعطي ثمارها بإذن الله وتيسيره دائماً، وهذه الثمار العمل الصالح يصعد إلى السماء، فينال بركته وثوابه في كل وقت. وكلمة الكفر الخبيثة كشجرة الحنظل الخبيثة، استؤصلت من

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

جذورها واقتلعت من الأرض لعدم ثبات أصلها، لا خير فيها، فلا يقبل
 عمل الكافر مهما عمل، لأن عمله ليس له أساس ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ
 مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوَفَّى
 أَكْلُهَا كُلِّ يَمِينٍ إِيَّادِينَ رَيْبًا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
 وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
 قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾^(١)

والمسلم مع هذا يفكر ويتدبر ويحسب لكل أمر حسابه، ولا يعمل إلا
 ما يدخله الجنة ويبعده عن النار. . ويختار آخرته لأن فيها رضى الله تعالى.
 نسأل الله حسن الختام والبعد عن الزلل. . إنه سميع مجيب الدعاء.



(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ - ٢٦.

ذكر الأهم فالأقل أهمية

يبدأ الدين في العقيدة والعبادات بالأهم ثم الأقل أهمية، وكلها مهمة. فينطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ثم يبدأ الصلاة، والصلاة صلة بين العبد وربّه وأكبر دليل على تعلقه به سبحانه.

ثم يؤدي الزكاة العبادية المالية، وقد قرنت بالصلاة كثيراً سواء في النص القرآني أم في السنة النبوية...

ثم يأتي الصوم.

وأخيراً يحج من استطاع إلى الحج سبيلاً.

- ذلك أن الإنسان حين يبدأ بالأهم الأوجب يسهل عليه ما بعده، فيفعله دون حرج، بل يستسيغه ويلتذ به لأنه ترجمة لما هو أعظم منه ولا يُقبل في غالب الأمور فعل ما هو أقل أهمية لأنه بناء قائم على ذلك الأساس فإن لم يكن الأساس موجوداً فعلاً يقوم البناء. أما في الأمور المعيشية كتعلم الحرفة، أو الكتابة أو التربية البدنية فالارتفاع فيها درجة إثر أخرى يوصل إلى الإتقان والإبداع.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ

وَالْحَزْبُ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٤﴾ (١)

أ - بدأ بالنساء لأن الفتنة بهنّ أشد، والالتذاذ بهنّ أكثر، وفي الحديث: «ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء» (٢).

ب - ثم ذكر ما يتولد منهنّ فقال «والبنين» وإنما ثنى بالبنين لأنهم ثمرات القلوب وقرة الأعين، كما قال الشاعر حطان بن المعلا:

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنت عيني عن الغمض
وقدّموا على الأموال لأن حب الإنسان لولده أكثر من حبه لماله.

ج - ثم بدأ بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، وإنما كان المال محبوباً لحصول غالب الشهوات به، ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (٣).

ثم قدّم الذهب على الفضة لأنه أهمّ منها، والاثنان أصل التعامل.

د - ثم قدّم الخيل الأصيلة الحسان، ففي ركوبها الزهو وقاتل العدو وسرعة الجري.

هـ - ثم جاءت الأنعام من إبل وبقر وغنم فمنها المركب والمطعم والزينة.

و - ثم جاء الزرع والغراس لأن فيه تحصيل الأقوات.

لكنّ هذه الشهوات متاع الحياة الزائل، وما عند الله خير وأبقى، فليكن هم الإنسان كسب ما عند الله سبحانه.

- ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى:

أ - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) أخرجه البخاري.

ب - وَأَمْنُكُمْ إِلَيَّ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَنْزَلْنَاهُ مِنْ الرِّضْعَةِ

ج - وَأَمْنُهُ نِسَابُكُمْ وَرَبِّيُكُمْ إِلَيَّ فِي هَوْرِكُمْ مِنْ نِسَابِكُمْ إِلَيَّ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَلْتُ أُنْبَاءَكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾

د - وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴿١﴾

١ - هناك حرمة بالنسب وهي الأقوى.

٢ - وهناك حرمة بالرضاع ثانياً.

٣ - وهناك حرمة المصاهرة ثالثاً.

٤ - وهناك حرمة المتزوجات رابعاً.

أما حرمة النسب فقد بدأ بالأصل، ومن الجنة تحت قدميها، الأم ثم البنت، فأنث أصلها وهي فرعك، ثم الأخوات المساويات لك عند والدك، ثم العمات ونسبهن أقرب من نسب الخالات، ثم تأتي بنات الأخ وهن أقرب من بنات الأخت، أما الجدة فكالأم والحفيدة مثل البنت، ولذلك لم تذكر.

وأما حرمة الرضاع فبدأ بالأمهات المرضعات ولم تذكر البنت في الرضاع، وهي بعد الأم من الرضاعة تجنباً للتكرار، وذكر الأخت من الرضاعة ولم يذكر العمة والخالة وبنات الأخ وبنات الأخت من الرضاعة تجنباً للتكرار كذلك، وقد ذكرت السنة النبوية أنه «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»^(٢).

(١) سورة النساء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) متفق عليه.

وأما حرمة المصاهرة فتحرم أم الزوجة حرمة أبدية لأن مجرد العقد على البنت يحرم الأم، ولا تحرم البنت إلا بالدخول على الأم، وكذلك تحرم ابنة الزوجة الربيبة بعد الفراق، أما أخواتها فتحرم من حرمة مؤقتة، وكذلك عماتها وخالاتها وبنات إخوتها وبنات أخواتها.

ويحرم من المصاهرة زوجة الأب وزوجة الابن.

كذلك يحرم أن يتزوج الإنسان امرأة متزوجة، فلا يجوز إلا عقد واحد، وهؤلاء يسمين المحصنات، إلا ما ملكت من النساء بالسي فيحل وطؤهن بعد الاستبراء لانقطاع عصمة الكافر، أما غير ذلك من النساء فيجوز للمسلم أن يعقد على أربع نساء إن أراد.

وهكذا نجد القرآن يشرع حرمة النساء الأهم فالأقل أهمية، وكلهن مهمات.

- ويقول الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ (١).

ويقول سبحانه: ﴿الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ...﴾ (٢).

فلماذا قدم السارق على السارقة في الآية الأولى، وقدم الزانية على الزاني في الآية الثانية؟

الجواب: أن الرجل على السرقة أجراً، لأنه يرى نفسه مكلفاً بالإنفاق فقدّم في الآية الأولى.

والمرأة هي الشهوة، ومنها الإغراء، فهي السبب الأول الداعي إلى الزنى، فقدّمت في الآية الثانية.

- وقال الله تعالى في توزيع الزكاة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ ﴿١﴾ فحصر الله تعالى الصدقات في ثمانية أصناف.

وقدّمت الأصناف الأربعة الأولى للتمليك، فكل منهم يأخذ نصيبه بيده، وأُخّرت الأصناف الأربعة الثانية لأن الدفع يكون عنهم لغيرهم.

أما الأصناف الأربعة الأولى فأولهم الفقير الذي لا شيء له، وثانيهم المسكين الذي له بلغة من العيش قليلة، أما الموظف الذي يجبي الزكاة فله منها أجره، والقسم الرابع لا يعمل في الزكاة، ولا يحتاج إليها، لكن الحاكم يعطيه منها لأنه شريف في قومه، يتألف قلبه للإسلام، فيؤمن ويؤمن من من معه وراءه كما فعل رسول الله ﷺ مع صفوان بن أمية وغيره.

أما الأصناف الأربعة الثانية فهم: العبيد تدفع لأسيادهم فيعتقونهم، والغارمون الذين ثقل عليهم الدين وفي تجهيز المجاهدين والمرابطين في سبيل الله، وتجهيز المنقطع بدابة تحمله، وزاد يتبلغ فيه في سفره وعدة السفر.

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ (٢).

والترتيب كما يلي:

- أ - أن لا تشرك بي شيئاً: واجعل بيتي العتيق خالصاً لوجهي.
- ب - طهره من الأوثان والأقذار لمن يتعبد فيه بالصلاة.
- ج - ذكر من أركان الصلاة أهمها: الركوع والسجود، والركوع يكون قبل السجود.

وحين يصبح البيت الحرام جاهزاً للعبادة:

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

أ - يؤذن إبراهيم عليه السلام، ويبلغ الله تعالى صوت نبيه إلى أصلاب الرجال، وأرحام النساء فيجيئون: لبيك اللهم ليك.

ب - يأتي الرجال على أقدامهم وراكبين على نوقهم ، ولأن الحاجين على أقدامهم أكثر قَدَمُوا على الراكبين .

- ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلْيَضْحَكُنَّ يَخْمُرُهُنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ...﴾ (١).

فَالزَّوْجُ يَرَى كُلَّ مَا يَرِيدُهُ مِنْ امْرَأَتِهِ لِأَنَّهَا حَلَالٌ لَهُ.

والأب: يصون عرض ابنته، فهي شرفه وعفته.

والعم أبو الزوج، يحفظ على ابته ما يسوءه، ويحرص على حفظ شرفه.

والأبناء يعتزون بشرف أمهاتهم، فهم من لحمهن ودمائهن.

وأبناء الأزواج يعتبرون زوجات آبائهم كأمهاتهم، ويحفظون آباءهم في زوجاتهم.

والإخوان هم الذين كانوا يحرصون على أخواتهم قبل زواجهن وما يزالون كذلك.

وأبناء الأخوة لا يرون في العمات إلا صنو الأمهات وأخوات الآباء.

وأبناء الأخوات لا يرون في خالاتهم إلا شرف أمهاتهم.

ثم تأتي نساء المسلمات الشريفات العفيفات اللواتي يحفظن شرفهن،
وشرف أخواتهن المسلمات أين كنّ وأيان كنّ.

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

أما الإماء المشركات فيجوز لسيدتهن أن تظهر زينتها أمامهن لأنهن ملك اليمين. وكذلك العبيد فمكانتهم الدونية تمنعهم من التطاول إلى التفكير في المرأة الحرة التي تملكهم وتتصرف فيهم كما تشاء.

أما نساء غير المسلمين فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تظهر زينتها أمامهن لفسادهن، ولأنهن يصفن المسلمات لأزواجهن غير مباليات بدين، ولا حرمة ولا شرف.

ثم يأتي الجواز للنساء أن يظهرن أمام العتّين، الذي لا يشتهي النساء أو الأبله والمغفل الذي لا يهمه إلا بطنه.

وأخيراً يجوز للمرأة أن تظهر زينتها أمام الطفل، الغريب الذي لا يميز ولا يعرف حاجة الرجال إلى النساء.

كما أن على المرأة أن تمشي بأدب، دون أن تتلوى أو تظهر زينتها بشكل عفوي مقصود...!!.

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية الآية الحادية والستون من سورة النور، التي تبيح الدخول إلى بيوت الأقارب دون حرج.

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية قوله تعالى: ﴿وَلِإِن مَّدِينَةٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَلْقَوُوهُ

أ - اَعْبُدُوا اللَّهَ

ب - وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ

ج - وَلَا تَقْنُتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾^(١).

فإذا عرف العبد ربه عبده، وخاف الحساب يوم القيامة أحسن وعاف الفساد...

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٦.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾

أ - أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ

ب - وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ

ج - وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ

د - وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

هـ - وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ (١)

ويتضح الترتيب:

أ - يرسل الرياح فتسوق السحاب مبشرة بنزول المطر والإنبات والرزق.

ب - ثم ينزل الغيث الذي يحيي البلاد والعباد.

ج - وتحرك الرياح السفن فتسير إلى المكان الذي يريده المسافرون.

د - ويتاجر التجار طالبين الرزق من الله تعالى.

هـ - فيرزقهم فيشكرون الله تعالى على فضله ومنه وكرمه.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَا

بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا

تُخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ (٢)

ذكر سبحانه التحليق قبل التقصير لأنه أفضل ثواباً.

- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَفَقَّهُوا لَيَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً

وَيَبْغُضُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢١﴾ (٣)

يوضح الله تعالى خبيثة أعدائنا فهم حين يضعفون يتظاهرون بالود

والصداقة، وإن يظفروا بنا ويتمكنوا منا.

(١) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٢.

أ - يظهروا عداوتهم لنا .

ب - يقتلوا ويدمروا ويسبوا ويشتموا .

ج - ويتمنوا من كل قلوبهم أن يؤدي بنا فعلهم هذا وبطشهم إلى أن نرتد عن ديننا .

- ومن الأمثلة على ذكر الأهم فالأقل أهمية قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّرُ عَلَىٰ فِتْنَةٍ تُجِئُكُمْ مِنْ عِلَاقِ آلِمْ ﴾ (١٥)

أ - تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

ب - وَتُحِبُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

ج - يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

د - وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

هـ - وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ (١) .

عُدْ إلى الآيات مرة أخرى لترى الترتيب كما ذكرناه مسلسلاً ، وتدبر ذلك .

- والمثال الأخير في هذا العرض ، قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُؤْيَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ

أ - فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ

ب - وَجِبْرِيلُ

ج - وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ

د - وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ (٢) .

تدبر هذه الآية مرة أخرى لترى ذلك الترتيب .

(١) سورة الصف ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ٤ .

التدرج

التدرج في التربية أسلوب يدل على حكمة صاحبه، وقدرته على التلطف في مخاطبة العقول والأفهام، فينتقل من فكرة إلى فكرة، معتمداً على المحاكمة العقلية، والحجة المقنعة، والبرهان الواضح.

والإنسان يحمل أفكاراً يؤمن بها - ولو كانت باطلة - ويعتقد بصحتها - وإن كانت زائفة - فإذا جبهته بخطئه أنكر دون وعي، ودافع دون هواة، وهاجم دون بينة واتخذ منك عدواً يجب قراعه ومصاولته، وبذلك ينقطع حبل الوصال بينك وبينه، فلا تصل معه إلى نتيجة.

وكثير من الناس يعيشون في أرض مليئة بالهوام السامة، وهم معرضون للدغة ثعبان أو لسعة عقرب . . فماذا يفعلون . . إنهم يستقون السم لتصبح أجسادهم معتادة عليهم، فتتحمل أذى تلك الحشرات. ولكنهم حين يتناولون هذا السم يأخذونه أولاً جرعات خفيفة، ثم يزيدها إلى قدر معلوم . . ولو أخذوه دفعة واحدة لماتوا سريعاً، فقصوا على أنفسهم قبل أن تقضي عليهم سموم الحشرات والحيوانات . . .

والقرآن الكريم سجل لنا كثيراً من وقائع هذا الأسلوب الحكيم.

- فهذا سيدنا إبراهيم أراه الله تعالى مرة بعد مرة خلق السموات، والأرض، من بديع النظام وغريب الصنع، وجلّى له بواطن أمورها وظواهرها ليزداد يقينه بالله تعالى حين يعرف سننه في خلقه، وآياته الدالة على ربوبيته، ليقم بها الحجة على المشركين الضالين.

وأراد سيدنا إبراهيم أن يزيل الغشاوة عن عيون قومه، والران عن قلوبهم، فيعبدون الله وحده، وينبذون الآلهة المزعومة الأخرى، فرآهم يعبدون كوكب المشتري الذي لا يضر ولا ينفع، فقال مثلما يقولون: هذا ربِّي وهو موقن أنه ليس رباً، لكنّه يريد أن يستدرجهم لسماع حجته على بطلان عبوديتهم لهذا الكوكب، فأوهمهم أنه موافق لهم - على زعمهم - فلما غاب هذا الكوكب نقض ربوبيّته، فما ينبغي لإله أن يغيب عن عبّيده، فغيابه نقص فيه، وضعف شديد. وسيبحث العباد عن إله غيره يبقى معهم ويرعاهم، لكنّه لم يقل هذا ليس إلهاً لأنه أراد أن يعرّض بجهل قومه دون أن يستفزّهم، وينبهمهم إلى ما غاب عنهم من تفكير صحيح وتقدير سليم دون أن يحرك مشاعر العداء نحوه، فقال: لا أحبّ الأفلين..

وبهذا رمى بذرة الشك في نفوسهم... وقوله عليه السلام صحيح، فالإله الذي يحتجب لا يدري شيئاً من أمر عباده.

ثم انتقل في الليلة التالية إلى القمر، فضوّه أسطع، وحجمه حسب ما يروونه أكبر فهو على هذا الأساس أحقّ أن يعبد.. فلما أفل هذا أيضاً قال إبراهيم مسمعاً مَنْ حوله من قومه: لئن لم يهديني ربي ويوفّقني لإصابة الحقّ في توحيدهِ فسوف أكون كبقية الناس ضالاً، بعيداً عن عبادة الله الحق. وهذا تعريض يقرب من التصريح بضلال قومه، فالناس الليلة الماضية أنسوا بقدره في الإله الأوّل وتعريضه به، وما عرّض إبراهيم عليه السلام هذه الليلة بضلالهم إلا بعد أن وثق بإصغائهم إلى تمام المقصود واستماعه إلى آخره، وازدادت بذرة الشك نموّاً في نفوسهم، فالإله الغائب لا يدري حقاً بما يحل بعباده، بل إنّه أصلاً ليس إلهاً.

وحين يزغت الشمس وملأ ضوءها المكان وخرج الناس إلى أعمالهم، وامتألت الطرقات بالناس، والحقول بالمزارعين، قال إبراهيم مشيراً إليها: الذي أراه الآن ربي أليس كذلك، إنه أكبر من النجم والقمر، وأشدّ تأثيراً.

قال هذا يجاريهم حتى يستأصل بعد ذلك الإشراك من نفوسهم.. فلما غابت كعادتها قال كلمته التي يريدّها دون أن يخاف ردّة فعلهم الشديدة،

فغياب الشمس أشدّ وحشة من غياب المشتري والقمر، فالظلمة بعد النور الساطع أشدّ وأقسى من الظلمة بعد الضوء الخفيف. قال: يا قوم إني بريء مما تشركون.

ألا ترون أنه حاور وداور وتلطف في القول، وأرعى لخصمه العنان حتى وصل إلى ما أراد بالطف وجه، وأحسن طريق، متبرئاً من تلك المعبودات التي جعلوها أرباباً وآلهة مع الله..

وبعد أن تبرأ من معبوداتهم وترك في نفوسهم الشك فيها، أعلن اتجاهه إلى الله تعالى وحده، ثم تبرأ من المشركين أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضَ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى النُّجُومَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَلْقَومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَكُوتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) (١).

- وهؤلاء إخوة يوسف أرادوا أن يقنعوا أباهم أن الذئب أكله، وحسبهم أنه إذا لم يقتنع فسوف يرضى بالأمر الواقع، والزمن كفيل أن ينسي الأب ابنه الحبيب فماذا فعلوا؟ وكيف خططوا؟

١ - جاءوا أباهم في الليل.. والليل يستر النظرات الكاذبة والحركات المصنوعة..

٢ - تصنعوا البكاء منذ دخلوا الدار وسمع أبوهم حركاتهم وأصواتهم، فدخل في روعه أن هناك مصيبة حصلت، وأن عليه أن يتجمل لها.

٣ - فلما دخلوا عليه هكذا، ورأوا منه تلهفاً ولم يجد يوسف بينهم تحببوا إليه بقولهم «يا أبانا»، وهذه كلمة سحرية تستدر عطف الآباء ومغفرتهم لأبنائهم.

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٥ - ٧٩.

٤ - لم يرموا بالخبر فوراً إنما بدأوا بمقدمات توصل إلى المقصود، فقد ذهبوا يستبقون، ونيتهم سليمة تجاه أخيه، وباعتباره صغيراً فقد تركوه عند متاعهم يحرسها، وجاء ذئب فأكله. ولما كنا بعيدين لم نسمع استغاثته وصراخه.

٥ - فلما ألقوا إليه بالخبر أرادوا أن يقطعوا الشك باليقين فقالوا مؤكدين صدقهم مستبشرين اعتراضه، ونحن نعلم أنك لا تصدقنا ولو كنا عندك صادقين، فكيف وأنت تتهمنا في ذلك؟ ولك العذر في هذا لغرابة ما وقع، وعجيب ما اتفق لنا في ذلك الأمر.

ولما أرادوا أن يزيدوا ما فعلوه حبكة وتأييداً وقعوا في مأزق فضحهم وكشف كذبهم وادعاءهم.

فقميصه ملطخ بدم لم يتغلغل في كل قطعة منه، وكان الذئب كان مؤدباً عاقلاً، فجعله يخلع قميصه قبل أن يأكله، فلم يتمزق كي ينتفع به، فعلم الوالد أنها مؤامرة وصرح لهم بذلك، ثم وكل أمره إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَאَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴿١٨﴾﴾.

- وهذا موسى عليه السلام يظن - لكونه نبي عصره - أنه أعلم أهل الأرض في زمانه. فلما قيل له: إن الرجل الصالح «الخضر» أكثر منه علماً أراد أن يلقاه فيتعلم منه، إلا أن الخضر اعتذر إليه، فلا يمكنه مصاحبته، إذ أنه سيقوم بأعمال يعترض عليها موسى لأن ظاهرها غير مقبول، وليس الخضر مستعداً دائماً أن يشرح له ما يفعله. لكن موسى أصر على صحبته والاستفادة منه، وتعهّد أنه لن يعترض إلا أن يشرح له الخضر نفسه في الوقت الذي يريد، وأسقط في يد الرجل الصالح، فاعتذاره لم يُجِد، فموسى نبي الله، ومن أولي العزم الكرام عليهم صلوات الله جميعاً وسلامه،

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٦ - ١٨.

فانطلقا، وركبا في السفينة، وخرقها الخضر قبل أن ينزل، فاعترض موسى على سوء العمل هذا، فكيف نجزي أهل الخير شرًا؟! ذكره الخضر قائلاً: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، أجابه موسى: ﴿لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، وحين قتل الخضر الولد اعترض موسى فهذا عمل منكّر لا يفعله المسلم، ذكره الخضر، فزاد «لك» في الجملة التالية: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟﴾ أجابه موسى، وقد شعر بالحرّج هذه المرّة: ﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦) وحين دخلا قرية بخيلة لم تستضفهما أقام الخضر جداراً مائلاً كاد يقع فقال موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وهنا كان من حقّ الخضر أن يفارق موسى، وعلى موسى أن يرضى الفراق لأنّه لم يستطع الالتزام بالسكوت. فافترقا بعد أن قص الخضر عليه أسباب أفعاله السابقة. فكان التدرج عند الخضر في جوابه كل مرّة بما فيه من عتاب. وكان التدرج عند موسى في إجاباته عقب كل حادثة بما فيه من إقرار^(١).

- ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَرَقُونَ الْأَوَاقِفَ فَمَا مِنْكُمْ بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ (٢).

فالجهد الحربي يتطلّب قتالاً عنيفاً وخشونة وغلظة في التعامل مع العدو.

١ - وأول القتال ضرب يقطع الهامات ويقتل العدو حيث كان فلا رحمة مع الأعداء الذين إن ظهروا علينا فلن يرحمونا..

٢ - فإذا انكشف الأعداء وظهر الضعف فيهم وبدأوا الهرب أو الاستسلام وخضعت شوكتهم فلا بأس من اتخاذ الأسرى، فحربنا ليست لإبادة الناس، إنما لإخضاعهم، فيسمحوا لنا بنشر ديننا دون مضايقة.

(١) يمكن مراجعة الآيات في سورة الكهف، الآيات: ٦٦ - ٨٢ تركتها لطولها ولمعرفة عامة الناس بها.

(٢) سورة القتال (محمد)، الآية: ٤.

٣ - ويظل هؤلاء الأسرى في بلاد المسلمين حتى تنتهي المعركة وهنا يمكن لنا تسريح الأسرى حسبما يقتضي الأمر:

أ - فإما مبادلة أسرانا بأسراهم.

ب - إن لم يكن لنا أسرى عندهم أخذنا من بعضهم الفداء، ومنّا على الآخرين بحريتهم دون مقابل.

إذا فالقتل أولاً لكل من يقف أمام جيش المسلمين، ثم الاحتفاظ بالأسرى حتى الغلبة، ثم فكك الأسرى بطرق مختلفة.

- يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفُتِّلُوا إِلَىٰ تَبَعٍ حَقٍّ تَقِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١).

والمؤمنون إخوة متراحمون لا يجوز القتال بينهم، فإن حصل لأمر ما فيجب:

أولاً: الإصلاح بين الطرفين.

ثانياً: قد يرفض أحد الطرفين الصلح، ويرى نفسه صاحب حق ولا يرضى بحكم الأمير، ويصرّ على القتال دونما حق.

ثالثاً: يكون المسلمون كلهم يداً واحدة على الباغين، ويقاتلونهم ليعودوا إلى الحق ويفيئوا إليه.

رابعاً: على الحاكم أن يعدل حينما يصلح، دون التأثير بإساءة من لم يعودوا إلى الحق إلا مرغمين.

- وحين هاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، وحصل بعد صلح الحديبية أن أم كلثوم بنت عقبة بن معيط جاءت مهاجرة إلى رسول الله ﷺ، فخرج في إثرها أخوها عمارة والوليد يقولان للنبي ﷺ ردها علينا

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

بالشرط. فقال: كان الشرط في الرجال لا في النساء. فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة موضعاً ما يجب على المسلمين أن يفعلوه مع النساء إن جئن مهاجرات: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاوَهُنَّ مَا آَنَفْتُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكْفُوهُنَّ إِذَا ءَالَيْتُمُوهُنَّ لِجُرْءِهِنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُفَّارِ وَسَلُّوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهُمْ ءَافِقُونَ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ بِحُكْمِكُمْ يَتَذَكَّرُ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (١).

انظر معي إلى التدرج:

١ - جاءت المهاجرة فاستحلقت أنها ما هاجرت بغضاً لزوجها، ولا طمعاً في زوج أو دنيا، وأنها ما خرجت إلا حباً لله ورسوله، ورغبة في دين الإسلام.

٢ - إذا تحققت من إيمانهن بعد امتحانهن فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، فلا تحل المرأة المؤمنة للمشرك، ولا للمؤمن نكاح المشركة.

٣ - وحتى لا يجتمع على الرجل الكافر خسران الزوجة والمهر، يُعطى مهرها الذي دفعه لها إذا أسلمت.

٤ - للمسلم بعد ذلك أن يتزوجها بعد أن يدفع مهرها.

- ونقف عند هذه الآية الرائعة في المسامحة والمغفرة، يقول الله تعالى: ﴿... وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

العفو: أن تمتنع عن عقوبة من أساء دون أن تنسى الإساءة، أو تتناساها.

الصفح: أن تمتنع عن عقوبة من أساء وتتناسى الإساءة دون أن تنساها.

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٤.

المغفرة: أن تمتنع عن عقوبة من أساء، وتنسى أنه أساء إليك.

وهذه مقامات لا يرتفع إليها إلا ذوو الفضل والإحسان.

فالعفو مطلوب، وأحسن منه الصفح، وأحسن منهما المغفرة، نسأل الله أن يجعلنا أهلاً لعفوه وصفحه ومغفرته، إنه سميع الدعاء.

- وأخيراً نتأقّل الطريقة الحكيمة في تدرج تحريم الخمر.

فقد كان الجاهليون يعتبرون شربها من صفات الوجهة التي تدلّ على غنى من شربها وعلوّ كعبه وكانوا يصرّحون بشربها.

فهذا طرفة يجعلها من أسباب رغبته في العيش فيقول:

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى وجدّك لم أحفل متى قام عوّدي
فمنهن سبقي العاذلات بشربة كُمنيت متى ما تُعلّ بالماء تُزبد
وهذا عنّرة يفخر أنّه يشربها ويتلذذ بها، ويستهلك ماله فيها دون أن يتعتعه السكر ويفقد وعيه:

فإذا شربتُ فإنني مستهلك مالي، وعرضي وافر لم يكلم
فلما جاء الإسلام ورأى تعلّق العرب بها حرّمها على فترات.

فلما عرف المسلمون أن الخمر لا تليق بالمسلم الحقّ سألوا عن مكانها في عالم المسلمين، لكنّ القرآن عرف أنّ غالبية من أسلم يصعب عليهم تركها، فكان الجواب: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكَبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١). والمسلم مثال الاتزان - هكذا يجب أن يكون - فالأحرى به أن يتخفف منها لا سيّما أن الإثم أكبر من النفع، فكانت هذه الخطوة الأولى..

ثم جاءت الخطوة الثانية، فالصلاة خشوع، وفهم، وتدبّر لما تقرأ، ووقوف بين يدي الله تعالى، والخمر تذهب الفكر والعقل، فهل يليق بالمسلم أن يقف بين يدي الله سبحانه يصلي ولا يعرف ما يقول؟! إذاً لا بدّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

من تجنبها في أوقات الصلاة، فما عاد راغبها يشربها إلا بعد صلاة الفجر وصلاة العشاء فهناك متسع بعد هاتين الصلاتين وهكذا انحصر تعاطيها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (١).

وحين يريد المسلم أن يصلي صلاة الضحى أو يقوم الليل فعليه أن يبعد الخمر عن تفكيره، فأصبح المسلمون زاهدين فيها وصاروا جاهزين لقبول تحريمها، فأنزل الله تعالى تحريمها قائلاً:

﴿إِنَّمَا اتَّخَذُ الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْكَامُ رِجْسًا مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩٠) **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾** (٩١) قال المسلمون: انتهينا يا رب انتهينا.

فالخمر كما يصنفها القرآن مع غيرها من الموبقات:

١ - خبث ونجس وقدر من الشيطان، وعلى المسلم أن يعصي الشيطان ويتعد عن القدر والنجس.

٢ - إن متعاطي الخمر يذهب عقله، ولاعب القمار إذا ربح ساء أدبه، وإذا خسر اشتاط غضبه، وفي الأمرين ذهاب العقل، ومن ذهب عقله لم يدر ما يفعل ولا ما يقول وقد يؤدي الآخرين ويصبح مطية للشيطان - وهو عدو للإنسان - فيزرع العداوة والبغضاء في المجتمع وتزداد الإحسان وتكثر الشحناء.

٣ - الاستفهام ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ أبلغ ما ينهى به، كأنه قيل وقد تلى عليكم ما فيها من المفساد التي توجب الانتهاء، فهل أنتم منتهون أم باقون على حالكم؟

فكان جواب المسلمين: انتهينا يا رب انتهينا يا رب وسفحوها في أزقة المدينة.

(١) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٩٠ - ٩١.

حسن الخاتمة

ما منا إلا من استمع إلى محاضرة، أو خطبة، أو قصة، أو محاورة بين اثنين، أو أكثر، وخرج منها بفائدة تفل، أو تكثر.

والفائدة القليلة قد يكون سببها المحاضر أو المتلقي أو كلاهما، وهذا ينطبق على تحصيل الفائدة الكثيرة كذلك.

فإن كان الأثر قليله وكثيره من المتلقي فلائنه واع مدرك أو عاديّ بليد، منتهى مركز أو غافل لا، حريص على الفائدة أو زاهد فيها، مضطر إليها أو راغب عنها.

وإن كان الأثر قليله وكثيره من المتحدث فلائنه مرتب أفكاره منسّقها أو مبعثرها مغلخلها، متمكن منها، أو ضعيف فيها، صادق، أو كاذب فيها. متابع للمتلقي مركز انتباهه عليه، أو منشغل بأوراقه وتعايره. يلون الخطاب تبعاً للأفكار ليجذب المتلقي، أو يمشي على نسق واحد ممل. يقف عند آخر كل فكرة ملخصاً ومنهياً، ورابطاً الأفكار بعضها ببعض، أو مازجاً فكرة بأخرى دون التنبيه إلى ذلك...

والقرآن الكريم مثال للإيجابيات كلها، وحسبه أنه كلام الله تعالى. وستقف من هذا كله على خواتيم الأفكار والمقاطع، نبرهن أنها جاءت منبهة إلى أهمية ما قيل قبلها، تحمل العبرة والعظة، تلخص الفكرة وتدعو إلى التفكير والتدبر، تؤكد كل صدق، وتنفي كل ادعاء. وقد تكون الخاتمة هذه آية أو آيتين أو أكثر من ذلك وفق مقتضى الحال.

ففي سورة آل عمران نجد في الآيات [١٣٠ - ١٣٧] المعاني التالية:

١ - نداء الله الخالد للمؤمنين.

أ - أن يتعدوا عن الربا.

ب - أن يتقوا الله تعالى ففيها الفلاح.

ج - أن يتقوا النار المعدة للكافرين.

د - أن يطيعوا الله سبحانه ورسوله الكريم.

هـ - أن يسارعوا إلى مغفرة الله.

و - أن ينفقوا أموالهم في حالي اليسر والعسر.

ز - أن يكظموا غيظهم، ويعفوا عن الناس.

ح - أن يتركوا الفواحش، ويذكروا الله.

ط - أن يتوبوا عن المعاصي، ويصروا على تركها.

٢ - ومن يفعل ذلك فله عفو ربه وجنات تجري من تحتها الأنهار.

٣ - من لم يفعل ذلك كانت نهايته سيئة كالأمم السابقة التي عوقبت، وأثار دمارها واضحة في أماكن هلاكها.

ثم تأتي الخاتمة: ﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١) وأنت ترى في اسم الإشارة «هذا» عودةً إلى المعاني التي ذكرناها، وطريقاً واضحاً على المؤمنين أن يسلكوها، وفي آثار الهالكين موعظةً تدفع المتقين أن يعتبروا بها.

- وفي سورة النساء نرى الآيتين [الحادية عشرة والثانية عشرة]

تحملان:

١ - وصايا وقواعد في الميراث:

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٨.

- أ - فللذكر مثل حظ الأنثيين .
- ب - الورثة الوحيدة لها نصف الميراث .
- ج - اثنتان فما فوق لهما الثلثان .
- د - يرث كل من الأبوين السدس مع وجود الأولاد .
- هـ - للأم الثلث إن لم يكن للميت أولاد .
- و - الوصية والذَيْنُ مقدَّمان على الورثة .
- ز - للزوج نصف مال زوجته إن لم يكن لها ولد .
- ح - إن كان لها ولد فللزوج الربع فقط .
- ط - للزوجة الربع إن لم يكن للزوج ولد .
- ي - إن كان له ولد فللزوجة الثمن .
- ك -
- ل -

٢ - الخاتمة جاءت مشيرة إلى هذه القواعد بأنها حدود الله وعلى المؤمنين طاعته والعمل بها ليفوزوا بهجنته ورضوانه فإن عصوه فلهم النار والعذاب المهين ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ (١).

- فإذا توقفنا في سورة الأنعام أمام قصة سيدنا إبراهيم مع قومه:

- في الآيات [٧٤ - ٨٧] وجدنا المعاني التالية: .

أ - إنكار إبراهيم على أبيه عبادة الأصنام .

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

- ب - معرفة إبراهيم سلطان ربه الباهر.
- ج - تدرج إبراهيم الذكي في إبطال عبادة الأصنام.
- د - البراءة من قومه وشركهم.
- هـ - تخويف قومه إياه من آلهتهم، وإبطال إبراهيم حججهم، ودحض افتراءهم.
- و - المؤمنون الموحدون آمنون.
- ز - إكرام الله إبراهيم أن جعل الأنبياء في ذريته.
- ح - إن الهدى من الله سبحانه وتعالى.

٢ - ثم تأتي الخاتمة تشير إلى أن الطريق المستقيم من فضل الله، وأن الشرك يبطل العمل، وإن يكفر مشركو مكة ومن بعدهم فإن الله عباداً يحملون رسالته ويحافظون عليها ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَفَرِيَةٍ ﴿٨٩﴾ (١)

فكانت الخاتمة تنبيهاً إلى أهمية الدعوة إلى الله، والتبرؤ من الشرك، ومدح حاملي الرسالة إلى الناس.

- وتعال معي نتدبر معاني الآيات التالية في سورة الأعراف [١٣٨ - ١٧٣]، ففي هذه الآيات سرد لما فعله قوم موسى بعد أن أنقذهم الله سبحانه وتعالى من فرعون، وصاروا آمنين.
- ١ - أ - رأوا قوماً يعبدون أصناماً، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنماً يعبدونه.

ب - خرج موسى للقاء ربه ليعود بالشرعة في ألواح إلى قومه وأمر

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

هارون أن يخلفه فيهم، وبعد خروجه بقليل رأيناهم اتخذوا من حلبيهم عجلاً جسداً له خوار إلهاً يعبدونه.

ج - اختار موسى سبعين رجلاً لم يسجدوا للعجل يأتون إلى الجبل ليعتذروا عن قومهم بسبب اتخاذ العجل، فلما وصلوا الجبل قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فماتوا من الصعقة. هؤلاء خيار بني إسرائيل فكيف شرارهم؟.

د - أكرمهم الله كثيراً، فقد قسمهم موسى اثني عشر قسماً، وجعل لكل قسم منهم عين ماء، وأنزل الله عليهم المن والسلوى، لكنهم رفضوا هذا، وطلبوا القثاء والثوم والبصل، وما شابه ذلك.

هـ - ولكي يغفر الله لهم أمرهم أن يدخلوا القدس ساجدين ويقولوا «حطة» أي حطّ عنا يا ربنا ذنوبنا، فبدّلوها إلى «حنطة» ولم يدخلوها ساجدين، بل يزحفون على أستاههم، فأرسل الله تعالى الطاعون عليهم بظلمهم.

و - نهاهم الله عن الصيد في السبت، فتحايلوا على ذلك فمسخهم الله قردة وخنازير.

ز - أمرهم الله أن يحكموا شريعته فأبوا، فاقتلع جبل الطور ورفعهم فوقهم فلما أيقنوا أنهم ميتون لا محالة قبلوا حكم التوراة خائفين.

ح - وفي خلال هذه القصص عن بني يهود أحكام وتشريعات وتنبهات فيها براهين وحجج دامغة.

٢ - ثم تأتي الخاتمة: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٤) (١).

وقد فصل الله تعالى الآيات ليتدبرها اليهود في عهد النبي ﷺ، ويعتبروا بما حصل لأجدادهم فيرجعوا عن غيهم، وفسادهم، ولا يكونوا مثل أجدادهم ضلالاً وكفراً...

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٤.

- إذا جاءت الخاتمة عبرة وعظة ودعوة إلى الإيمان.
- وإذا أمعنا النظر والتفكير في الآيات التالية من سورة الأعراف نفسها.
- الآيات [١٧٩ - ٢٠٢] نجد المعاني التالية:
- أ - إن الذين يكفرون بالله من الجن والإنس كالأنعام لا يعقلون وهم في جهنم خالدون.
- ب - لله الأسماء الحسنى، ولا يجوز العدول عنها إلى دعاء غيره سبحانه.
- ج - من يكفر يستدرجه الله ثم يهلكه.
- د - الرسول منذر وليس مجنوناً.
- هـ - وجوب التفكير في ملكوت الله.
- و - الضال متحير متردد، لا يستقر على حال.
- ز - قيام الساعة غيب لا يعلمه إلا الله.
- ح - كل شيء بأمر الله، والإنسان ضعيف عاجز.
- ط - لا يرضى الله تعالى أن يكون له شركاء.
- ي - هذه الآلهة المزعومة لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع.
- ك - الله تعالى ولي المؤمنين الصالحين.
- وهناك نصائح قيمة ووصايا ذهبية:
- أ - اليسر في معاملة الناس.
- ب - الأمر بالمعروف والعمل الحسن.
- ج - عدم مقابلة المسيء بإساءة.
- د - الاستعانة بالله على نزغات الشيطان.

الخاتمة: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

فجاءت الخاتمة تؤكد أن هذا القرآن الكريم بما فيه من حجج بيّنة، وبراهين نيرة يغني عن غيره من المعجزات، فهو بمنزلة البصائر للقلوب يُبَصِّرُ الحق، ويُذَرِّكُ، وبه يهدي الله المؤمنين، ويرحمهم من زيغ الضلالة وفساد العقيدة.

- وفي سورة هود عليه السلام قصة إغراق قوم نوح مصورة تصويراً رائعاً، تبدأ بصنع السفينة فإذا ما اكتمل صنعها ركب فيها المؤمنون جميعاً، وأهل نوح إلا من كفر، ومن كل من المخلوقات زوجان اثنان، ذكرٌ وأنثى.

وسكبت السماء ماءها، وارتفع الماء يملأ الوديان والهضاب، ثم المرتفعات والجبال فلما غرقت المخلوقات.

أقلعت السماء وغاض الماء، ووقفت السفينة فوق جبل الجودي، .. لم يكن ابن نوح معه، فقد غرق لأنه كفر، لكن عاطفة الأب استنجزت وعد الله أن ابن نوح من أهله، فنبه سبحانه أنه ممن سبق عليه القول، وهو ليس من أهله، وإن كان من صلبه لأنه كافر... قصة تأخذ بالألباب وتشده العقول، وتقرر حقائق يتناساها الإنسان، لم يكن الرسول ﷺ يعرفها لكن الله سبحانه وتعالى أخبره بها ليتأسى بصبر نوح وليعلم أن العاقبة للمتقين. ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢).

حملت هذه الخاتمة في طياتها:

- ١ - قصة نوح قبل أن تُتلى كانت من الغيب.
- ٢ - أن رسول الله ﷺ نبي يوحى إليه، حاشاه أن يفترى على الله كذباً، فهو الصدوق الأمين.
- ٣ - أن مَنْ صبر ظفر.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٩.

- كما نجد الخاتمة في سورة يوسف تركز على الفقرتين الأولى والثانية،
 فقصة يوسف من الغيب والرسول الكريم ﷺ نبي يوحى إليه ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
 الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٢) وَمَا أَكْثَرُ
 النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَمَا تَشَاءُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢٤﴾^(١)، ونلاحظ أن الخاتمة في سورة يوسف كانت آيات متعددة بل
 إنها تستمر إلى الآية /١٠٨/ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
 عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٢٨).

- وفي سورة إبراهيم نجد في الآيات [٤٢ - ٥١].

١ - الأفكار التالية:

- أ - النهي عن سوء الظن في الله، والأمر في الاستمرار بالإنذار.
 - ب - توبيخ المشركين يوم القيامة، وتذكيرهم بما فعلوا في الدنيا.
 - ج - مكر الكفار بالرسول والدعاة.
 - د - إيفاء الله وعده لرسله بالانتصار لهم.
 - هـ - تغير الدنيا يوم القيامة.
 - و - ذل الكافرين في النار.
 - ز - كل ينال نصيبه يوم القيامة إن خيراً وإن شراً.
- ٢ - الخاتمة: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ
 أَتْلُوا الْأَلَكِبِ﴾ (٥٢)^(٢).

إذا تضمنت الخاتمة ملخصاً للأفكار:

- أ - فالرسول ﷺ مبلغ.
- ب - وهناك إنذار ووعيد.

(١) سورة يوسف، الآيات: ١٠٢ - ١٠٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

ج - لا إله إلا الله وحده.

د - العاقل من يتعظ.

- وقد تتكرر الخاتمة بعد كل فقرة كما ذكرنا، ومثال ذلك ما جاء في سورة الشعراء: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨) (١) جاءت هاتان الآيتان مكررتين سبع مرّات، بعد كل قصة من قصص الأنبياء الكرام، تركزان على العبرة العظيمة من كل قصة، وعلى تسليّة النبي ﷺ، والتسرية عنه، مع الوعيد للكفار المعاندين.

- والشيء نفسه نجده في سورة الصافات بعد كل قصة من قصص الأنبياء الكرام: ﴿سَلِّمْ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١) (٢) جاءت هذه الآيات الكريمة أربع مرّات باللفظ نفسه إلا حين تحدث عن إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

ففي هذه الخاتمة نجد التعظيم للأنبياء الكرام، والمدح والثناء والثواب الوافي والدعوة إلى السير على طريقهم في الدعوة إلى الله، والثبات على المبدأ.

- أما قصة قارون فقد كانت خاتمتها قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ حَقٌّ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٣) (٣).

وقد جاءت قاعدة لمن يريد الجنة ورضى الله سبحانه وتعالى، فيها:

أ - التنبيه إلى طلب الآخرة.

ب - الأمر بالتواضع.

(١) سورة الشعراء، الآيات: (٦٧ - ٦٨)، (١٠٣ - ١٠٤)، (١٢١ - ١٢٢)، (١٣٩ - ١٤٠)، (١٥٨ - ١٥٩)، (١٧٤ - ١٧٥)، (١٩٠ - ١٩١).

(٢) سورة الصافات، الآيات: (٧٩ - ٨١)، (١٠٩ - ١١١)، (١٢٠ - ١٢٢)، (١٣٠ - ١٣٢).

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٣.

ج - العبرة بالعواقب .

فقد بغى قارون على قومه حين رزقه الله الأموال الطائلة ، فكفر نعمة الله ، وأمره قومه بما يلي :

أ - أن يكون متواضعاً لا متكبراً بطراً .

ب - أن يعمل للدار الآخرة فهناك النعيم المقيم .

ج - أن ينال قسطه من الدنيا دون الانغماس فيها .

د - أن يشكر نعمة الله بالإحسان إلى عباده .

هـ - أن لا يطلب بهذا المال التطاول على عباد الله والفساد .

وكان خروجه الفاخر البطر فتنه لضعفاء الإيمان ، فلما خسفت الأرض به انتبه أولئك إلى أن نعيم الدنيا زائل .

- وأخيراً نقف في سورة القلم على خاتمة لقصة أصحاب الجنة حيث يقول الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ الْقَدَابُ وَالْقَدَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣) (١) .

فصاحب البستان المسلم كان يتصدق كثيراً على الفقراء والمساكين ، فلما مات ورثه أولاده الثلاثة وأبوا أن يعطوا الفقراء بخلاً وضناً ، فانطلقوا في الليل إلى البستان ليقطفوا ثمره دون أن يشعر بهم المساكين والفقراء ، لكن الله عاجلهم فأرسل عليه ناراً من السماء وهم نائمون ، فأحرق البستان ، أرضه ، وثماره ، وأشجاره ، فلما استيقظوا ذهبوا إليه ، فما عرفوه ، ثم أحسوا بخطئهم وأنهم نالوا عقوبتهم ، لكنه سبحانه ينهنا إلى أن هذه العقوبة وإن كانت كبيرة فهي عقوبة دنيوية ، أما عقوبة الآخرة فهي أشد وأنكى ، فتاب الأولاد إلى الله وأنابوا وقد وجدنا في الخاتمة تهويلاً في التهديد والوعيد .



(١) سورة القلم ، الآية : ٣٣ .

الجمال الموسيقية

الموسيقا في القرآن حركة متناغمة، تتولد عن التناسق في الجمال، والفواصل القرآنية، فتتحرك لها القلوب، وتطرب لها الجوارح، فتؤلف مع المعنى تساوقاً، تهتز له النفوس الواعية فهماً وتألفاً، والنفوس العادية تألفاً فقط..

فالسور القصيرة تتجلى فيها الجمال الصغيرة التي تمتاز بما يلي:

- ١ - الوزن الواحد أو المتقارب.
- ٢ - القافية الواحدة أو المنسجمة^(١).
- ٣ - الحروف المتقاربة همساً، وجهرأً وقلقلةً، وصفيراً.. وتكراراً، وليناً.
- فالمثال على الميزة الأولى سورة الأعلى في قوله:

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾	﴿٢﴾
﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾	﴿٤﴾ (٢)
﴿وَيَسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾	﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾	﴿٩﴾ (٣)
﴿سَيَذَرُكَ مَنْ يُخَشَى﴾	﴿وَيَجْنَبُهَا الْأَشْقَى﴾	﴿١١﴾ (٤)

-
- (١) كالميم والنون.
 - (٢) سورة الأعلى، الآيات: ١ - ٤.
 - (٣) سورة الأعلى، الآيتان: ٨، ٩.
 - (٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٠، ١١.

وكذلك سورة الغاشية:

﴿٩﴾ رَاضِيَةً	لَسَعِيهَا	﴿٨﴾ نَاعِمَةً	﴿١٠﴾ يَوْمَئِذٍ
﴿١١﴾ لَغِيَةً	لَا تَسْمَعُ	﴿١٢﴾ جَنَّةٍ	﴿١٣﴾ عَالِيَةٍ
﴿١٤﴾ مَوْضُوعَةً	وَأَكْوَابُ	﴿١٥﴾ مَرْفُوعَةً	﴿١٦﴾ جَارِيَةٍ
﴿١٧﴾ مَبْنُوءَةً	وَزَرَارٍ	﴿١٨﴾ مَصْفُوفَةً	﴿١٩﴾ وَغَارٍ
﴿٢٠﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ			

﴿٢١﴾ كَيْفَ خُلِقَتْ	﴿٢٢﴾ إِلَى الْإِبِلِ	﴿٢٣﴾ كَيْفَ نُصِبَتْ	﴿٢٤﴾ إِلَى الْجِبَالِ
﴿٢٥﴾ كَيْفَ سُلِطَتْ	﴿٢٦﴾ لَسْتُ عَلَيْهِمْ	﴿٢٧﴾ بِمُصِيطِرٍ	﴿٢٨﴾ فَعَذِبُهُ
﴿٢٩﴾ اللَّهُ الْعَذَابُ	﴿٣٠﴾ الْأَكْبَرُ	﴿٣١﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا	﴿٣٢﴾ حِسَابَهُمْ

- والمثال على الميزة الثانية، سورة الإخلاص التي تنتهي فاصلاتها بحرف واحد هو الدال، وهو حرف متفجر شديد، فيه قلقلة كبرى.

وسورة الناس، التي تنتهي بحرف السين في كل آياتها وهو حرف همس، فيه صفير متقطع يوحى بالاستمرار لتعددده، ويساعد على التنفيس.

وسورة الفلق التي تراوحت فاصلاتها بين القاف والباء والدال، وهي من حروف القلقلة، وفيها انفجار بعد احتباس، جاءت أولاً بحرف القاف، وهو حرف استعلاء يخرج من أعلى الحلق وآخره، ثم حرف الباء من الشفة مع ملء الفم بالهواء ثم تفجيده، ثم الدال يخرج من بين القواطع الأمامية ومقدمة اللسان، وقد جاءت القاف وهي الأقوى أولاً ثم الباء وهي الأوسط في الانفجار والقوة، ثم الدال... ترتيب بديع...

(١) سورة الغاشية، الآيات: ٨ - ٢٦.

- والمثال على الميزة الثالثة سورة الكوثر فيها الراء المتصفة بالتكرار وكأنها عجلة تدور، وسورة العصر مثلها.

وسورة الفيل المنتهية كل آياتها بحرف اللام وهو حرف لينّ يسبق حرف لين (مدّ) مما يوحي بكثرة الفيلة، وشدة التضليل، وكثافة الأبايل من الطيور، والحجارة المقذوفة، والأثر الشديد الذي خلفه الرمي في «مأكول».

وسورة الهمزة تتقارب فيها مخارج حروف الفاصلة. فالزاي والذال والميم مخارجها إما من الشفة أو قريباً من مقدّمة الفم، وتتراوح بين صغير الزاي، ودمدمة الميم، وقلقلة الذال.

وسورة الماعون فيها حرف الشين المعروف بالتفشي في كلمتي قريش، الشتاء، كما أن فاصلتها تتراوح بين التاء والفاء، وهما حرفا رخاوة وهمس.

فإذا جئنا إلى السور المتوسطة فإنها لا تقل موسيقية عن السور الصغيرة ففيها يشيع القسم، والتناسق في الوزن، وحجم السورة، وأحياناً وحدة الفاصلة كقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۝١﴾ فَالْحَمَلَتِ وَقَرًا ۝٢﴾ فَالْجَرِيَتْ يَسْرًا ۝٣﴾ فَأَلْمَسْنَ أَمْرًا ۝٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَفَّعُوا ۝٦﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُوبِ ۝٧﴾ إِنَّكَ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ۝٩﴾ ﴿^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ۝٢﴾ فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ ۝٣﴾ وَالْيَتِ ۝٤﴾ وَالْمَعْمُورِ ۝٥﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٦﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَافِعٌ ۝٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ ﴿^(٢).

ففي هذه الآيات فواصل متشابهة وأوزان متقاربة أو واحدة مما يولد الموسيقا الداخلية في وجدان السامع فينفع مع الكلمات وزناً ومعنى وهذا أسلوب من أساليب التعليم التي بدأ العلماء يتحدثون فيها وقد سبق القرآن إلى ذلك بأكثر من قرون وأباد.

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١ - ٩.

(٢) سورة الطور، الآيات: ١ - ١٠.

وسورة الشعراء مثال صارخ على توافق أوزان الجمل، وعلى تقارب الفاصلة، فالسورة على ضخامة عدد آياتها (٢٢٧) آية تجد الفاصلة فيها تتراوح بين النون والميم، وهما حرفا إذلاق وتوسط في الرخاوة.

أما السور الكبيرة الطوال: فمثالها سورة الأعراف التي تجد فاصلتها تتراوح بين النون وهو الأكثر والميم.

ولا نغوص كثيراً فيها إلا أننا نقف بك على أواخر سورة البقرة من الآية ٢٨٢ إلى آخر السورة، فإنك تستطيع أن تقف عند كل معنى من آية الدين مثال ذلك:

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾

﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾

﴿وَأَذِّنْ لِلْعَذَابِ أَلاَّ تَرْتَابُوا﴾ . . . وهكذا دون أن تشعر بانقطاع المعنى وتلمس موسيقا واضحة تنبع من الداخل.

واقراً الآية الأخيرة من سورة البقرة لتلمح بوضوح الموسيقا الداخلية:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ، إِن كُنتُمَا رَحِيمَانِ﴾ (١)

﴿وَأَعِزَّنَا ، وَارْحَمْنَا﴾ (٢)

فأنت تلاحظ تقطيعاً عروضياً والعروض موسيقا صدحت - من خلاله - شعراء العرب، فكان الشعر بحق - كما قال الفاروق عمر رضي الله عنه -

(١) الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

(٢) مكرر الآية ٢٨٦ من سورة البقرة.

ديوان العرب - ووصل إلينا من شعرهم أضعاف أضعاف ما وصل من نثرهم فالشعر موسيقا، والنثر ليس كذلك.

وأنت تقرأ القرآن تجد بعض أوزان الشعر، وليس القرآن بالشعر ولكنه نسيج وحده إنما فيه هذه الأوزان التي تجعلنا نتنعم بها كما نتنعم بيت من الشعر.

- لاحظ معي هذه الآية:

﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنِ بِالْناصِيَةِ﴾^(١)
 ٥/٥/ ٥// ٥// ٥// ٥/ ٥// ٥// ٥// ٥//
 مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ
 فهذا من مجزوء الرجز، ولكنه جاء في جزء من آية.

- ولاحظ كذلك هذه الآيات:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾
 مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾^(٢)
 فالوزن فيها واضح تماماً.

- وعُدْ إلى الآية الأولى واقرأ بعدها:

﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِبَةٍ﴾^(٣)
 ٥/// ٥/ ٥/// ٥/ ٥/// ٥/
 فاعِلُنْ فاعِلُنْ فاعِلُنْ

ومن الموسيقى في القرآن الكريم ظاهرة التكرار:

أ - ﴿فَبَآئِيَ ٱلْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾^(١٣) في سورة الرحمن.

(١) انظر: سورة العلق، الآية: ١٥.

(٢) سورة المسد، الآيتان: ١، ٢.

(٣) سورة العلق، الآية: ١٦.

ب - ﴿الْحَاقَّةُ﴾ (١) ﴿مَا لَهَا﴾ (٢) ﴿وَمَا أَزْنَىٰ مَا لَهَا﴾ (٣) ﴿١﴾ ، ﴿الْقَارِعَةُ﴾ (٤) ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٥) ﴿وَمَا أَزْنَىٰ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (٦) ﴿٢﴾ وأمثالهما كثير.

ج - تكرار بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى النَّبِيِّينَ﴾ (٧٩) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١) ﴿٣﴾ .

ولو كنت ذا أذن موسيقية لرأيت في القرآن الكريم من هذا المنوال كمًا هائلًا وموسيقا رائعة، فكن من الذين يتدبرون القرآن بكل أحواله تجد العجب العجيب.

- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



(١) سورة الحاقة، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة القارعة، الآيات: ١ - ٣.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ٧٩ - ٨١، وفي مدح إبراهيم ١٠٩ - ١١١، وفي مدح موسى وهارون ١٢٠ - ١٢٢، وفي مدح آل ياسين ١٣٠ - ١٣٢ ويمكن العودة إلى ظاهرة التكرار في هذا البحث لتعيش موسيقاه المعبرة.

المصادر المعتمد عليها في هذا الكتاب

- ١ - البلاغة الواضحة قسم البديع: لعلي الجارم ومصطفى أمين، مطابع دار المعارف.
- ٢ - البلاغة العربية في ثوبها الجديد: لبكري شيخ أمين، دار العلم للملايين - الطبعة الرابعة ١٩٩٦.
- ٣ - صفوة التفاسير: للشيخ محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم - بيروت - الطبعة السادسة ١٩٨٥، ألمانيا شتوتجارت.
- ٤ - صور من تأذي الرسول ﷺ في القرآن: لعثمان قدري مكانسي، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- ٥ - التريية النبوية: لعثمان قدري مكانسي، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٧.
- ٦ - المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق - بيروت، توزيع المكتبة الشرقية - الطبعة السابعة والعشرون ١٩٨٤.
- ٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٧.
- ٨ - الشعر العربي في الفتوحات العثمانية: لعثمان قدري مكانسي، تحت الطبع.
- ٩ - القصص الفني في المثل العربي «عصور القوة الأدبية»: لطلال الدرويش، تحت الطبع.
- ١٠ - الظلال: للشهيد سيد قطب.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
الثقة بالله واللجوء إليه	٩
التعظيم	١٤
ذكر الصالحين	٢٠
التذكير بفضل الله تعالى	٢٥
الأسوة الحسنة	٣١
الصحبة الحسنة	٣٧
القول الحسن	٤١
حُسن الأدب	٤٥
الأمان والحرية	٥٢
الصبر	٥٧
العُدل	٦٤
الغفران والصفح	٦٩
الالتزام بالوعد والعهد	٧٤
التحجب	٧٩
بذل المساعدة	٨٤
النصيحة والحضُّ	٨٩
المشورة	٩٥

٩٩	التلطف والاعتذار
١٠٣	العتاب
١٠٨	عدم التدخل فيما لا يعني
١١٣	الكتمان والسرية
١١٧	المعاملة بالمثل
١٢٥	الترغيب والترهيب
١٣٩	المديح
١٤٤	الذم
١٥١	السخرية
١٥٩	التقريع والتوبيخ
١٧٠	فضح المواقف
١٨٣	التحدي
١٩٢	الاستعلاء
١٩٨	الجزاء
٢٠٧	الحذر والحيطه
٢١٤	أساليب القتال
٢١٨	تطهير الصف
٢٢٤	التمييز والمفاصلة
٢٣٠	الاعتراف بالخطأ
٢٣٤	التعريض والتلميح
٢٣٩	القصد والاعتدال
٢٤٦	أسلوب الحكيم
٢٥١	الحكمة
٢٥٨	التفكير المنطقي (المحاكمة العقلية)
٢٦٦	التسلسل المنطقي
٢٧٤	التجريب
٢٧٩	التخطيط واتخاذ الأسباب

٢٩٢	الإشهاد . . والشهادة
٣٠١	التقعيد
٣٠٧	العظة والعبرة
٣١٥	الدقة في العلم والتصرف
٣١٩	الوضوح في المعاملة
٣٢٦	اغتنام الفرص
٣٣٣	إيصال الأمر إلى أهله
٣٣٧	التزام الوقت
٣٤٢	الاستبعاد
٣٤٩	دحض الافتراء
٣٥٧	الدعاء
٣٦٢	أسلوب القصص «القصّة»
٣٧٧	الحوار
٣٨٥	التصوير
٤٠٣	ضرب المثل
٤٠٩	استعمال المثل والحكمة
٤١٤	التعليل
٤٢٤	الأمر والنهي
٤٣٨	السؤال
٤٤٤	التعجب
٤٥١	التنبيه
٤٥٦	الإصرار
٤٦٣	التأكيد
٤٦٩	التكرار
٤٧٨	التفصيل
٤٨٨	الاستقصاء
٤٩٦	الإيجاز بالحذف

الموضوع	الصفحة
المقارنة والاختيار	٥٠٢
ذكر الأهم فالأقل أهمية	٥١١
التدرج	٥٢٠
حسن الخاتمة	٥٢٩
الجميل الموسيقية	٥٣٩
المصادر المعتمد عليها في هذا الكتاب	٥٤٥
المحتويات	٥٤٧